بسم الله الرحمن الرحيم

ميقات الحج

العدد: ٥٦

شهر محرم الحرام ١٤٤٣ هـ

السنة : ٣٩

Issn : 2538 - 1733

مجلة علميّة تخصصيّة نصف سنويّة تعنى بالشؤون الثقافية والتّاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ

هيْئةُ التَّحْريـر:

الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني

الشيخ محمد القايني

الشيخ محمدهادي اليوسفي الغروي

الشيخ رضا المختاري

المُـديـرُ المسؤُول:

السيّد عبدالفـتّـاح نـوّاب

مُـديـرُ التحْـرِير:

الشيخ محمدعلي المقدادي

الفهرس:

فقه الشيعة الإمامية و أكذوبة تلويث الكعبة المقدسة ٥

الشيخ محمدعلي المقدادي

﴿... فَاذكرُوا اللهَ ...﴾ (١) ٢٧

حسن الحاج.

ميقاتُ العقيق (٢) ٦١

الشيخ جواد الفضلي

تقديم واختيار: محسن الأسدي.

شخصيات من الحرمين الشريفين(٤٦) أُمُّ هانئ (١) ١١٧

محمد سليمان.

«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي(١) ١٤١

إدارة التحرير

من أدب الحجّ ١٨٩

إعداد : الشيخ حسين الواثقي

الرسم البياني لمجلة «ميقات الحج» ١ ـ ٥٠ ٢٠٣

ملخصات انجليزية ٢٠٧

ملاحظات :

يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الراغبين في التعاون مع المجلة مراعاة النقاط التالية:

١. ذكر المصادر والهوامش بدقّة.

٢. أن تكون المقالة مكتوبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أو أن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كلّ ورقة.

٣. أن تكون المادّة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.

٤. تقوم المجلة بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إليها، ولها الحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.

٥. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة.

٦. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

٧. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر كتّابها و آرائهم.

٨. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.

٩. ترحّب إدارة التحرير في مجلة «**ميقات الحج**» بملاحظات القرّاء الكرام ومقترحاتهم.

فقه الشيعة الإمامية
و أكذوبة تلويث الكعبة المقدسة

الشيخ محمدعلي المقدادي

ملخّص البحث :

في القرون الأخيرة اتهموا الشيعة بأكاذيب... منها: تلويث الكعبة المقدسة! هذه المقالة ستردّ تلك التهمة بالدلائل الفقهية المحكمة، ولايخفى أنّ الوثائق والمستندات حول هذا الموضوع كثيرة جدّاً استفدنا من بعضها في مقالتنا هذه.

فالاعتصام بحبل الله المتين القوي في هذه الظروف الصعبة التي صارت أيادي أعداء الإسلام يداً واحدة ضدّ المؤمنين و المسلمين واجب و لازم، ﴿**وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَميعاً وَلَاتَفَرَّقُوا**...﴾.[1]

الكلمات المفتاحية:

تنجيس المساجد، الكعبة المعظمة، الآيات، الروايات، أقوال الفقهاء، الوثائق والمستندات.

***

١. سورة آل عمران : ١٠٣ .

إنّ عظمة وحرمة المسجدالحرام وخصوصاً الكعبة المشرفة ممّا لاريب فيه وقد صرّح القرآن الكريم والسنة الشريفة بذلك (التعظيم والحرمة)، إضافة إلى دليلي الاجماع والعقل.

أقول على ضوء ذلك، إنّ تنجيس المساجد حرام نصاً وفتوًى.

أمّا نحن الشيعة الإمامية لانرضى تأخير تطهير مسجد من المساجد العادية حينما يتنجّس، فكيف بالمسجد الحرام؟! نلوّثه؟! ﴿... **إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾!!!.[1] وفقهاء الشيعة الإمامية كلّهم أفتوا بحرمة تنجيس المساجد.

فما صدر من اتهامات للشيعة بتلويثهم الكعبة المقدسة ومسجدها الحرام، إن هو إلّا أكاذيب منبعها الحقد والكراهية والبغضاء والجهل، سنردّها ونُبطلها بالأدلة والأسانيد الموثقة والمعتبرة إن شاء الله تعالى.

فالمسلمون جميعاً مأمورون بالتمسك بالقرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، والشيعة بالذات أشدّ التزاماً بحديث الثقلين الداعي إلى التمسك بكتاب الله تعالى وبعترة النبي صلى الله عليه وآله أو سنته في قول ، والوارد بألفاظ عديدة، منها: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتم به ، لن تضلوا بعدي ـ أحدهما أعظم من الآخر ـ : كتاب الله ، حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، و عترتي أهل بيتي ، و لن يتفرَّقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[2]

وتلويث المسجد الحرام وكعبته المباركة عمل مخالف لما يحمله هذا الحديث المبارك من التمسك بالقرآن الذي يؤكد عدد من آياته طهارة المسجد وتدعو إلى حرمته وتطهيره، و كذا الحال مع الأحاديث النبوية و روايات أهل البيت عليهم السلام، فلا يمكن أن يتعمد أتباع أهل البيت عليهم السلام، تنجيس أو تلويث أي مسجد فضلاً عن أن يكون

١. سورة ص : ٥ .

٢. مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ٣ : ١٧؛ سنن الترمذي ٥ : ٦٦٢ ؛ الخلاف، الشيخ الطوسي ١ : ٢٧.

القرآنُ الكريم:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَـا الْبَيْـتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًـا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيـمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّـجُودِ﴾.[1]

﴿...وَلَا تُبَاشِرُوهُـنَّ وَأَنْتُـمْ عَاكِفُـونَ فِي الْمَسَـاجِدِ تِلْـكَ حُدُودُ اللَّهِ فَـلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِـكَ يُبَـيِّنُ اللَّهُ آيَاتِـهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَّقُونَ﴾.[2]

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.[3]

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمشْـرِكُونَ نَجَـسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْـجِدَ الْحَـرَامَ بَعْدَ عَامِهِـمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَـوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَـاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[4]

﴿لَمَسْـجِدٌ أُسِّـسَ عَلَى التَّقْـوَى مِـنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَـقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَـالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِـبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.[5]

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَـا لِإِبْرَاهِيـمَ مَـكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْـرِكْ بِي شَـيْئًا وَطَهِّرْ بَيْـتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِـينَ وَالرُّكَّعِ السُّـجُودِ﴾.[6]

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.[7]

---

١. سورة البقرة: ١٢٥.

٢. سورة البقرة: ١٨٧.

٣. سورة آل عمران: ٩٦.

٤. سورة التوبة: ٢٨.

٥. سورة التوبة: ١٠٨.

٦. سورة الحجّ: ٢٦.

٧. سورة المدثّر: ٤.

الروايات:

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «مَنْ تَنَخَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَدَّهَا فِي جَوْفِهِ لَمْ تَمُرَّ بِدَاءٍ إِلَّا أَبْرَأَتْهُ». [١]

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ كَنَسَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مِنَ التُّرَابِ مَا يُذَرُّ فِي الْعَيْنِ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ». [٢]

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «مَنْ مَشَى إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ يَضَعْ رِجْلَيْهِ عَلَى رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا يُسَبِّحُ لَهُ إِلَى الْأَرَضِينَ السَّابِعَةِ». [٣]

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: «صَلَاةٌ فِي بَيْتِ الْمَقدِسِ تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ وَ صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ تَعْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْقَبِيلَةِ تَعْدِلُ خَمْساً وَ عِشْرِينَ صَلَاةً وَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ السُّوقِ تَعْدِلُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ صَلَاةً وَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَعْدِلُ صَلَاةً وَاحِدَةً». [٤]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ». [٥]

أحمد بن محمد عن محمد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: «إنّ علياً عليه السلام قال: البزاق في المسجد خطيئة وكفارته دفنه». [٦]

محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن الحسين عن موسى ابن يسار عن علي بن جعفر السكوني عن إسماعيل بن مسلم الشعيري عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «من وقر بنخامته المسجد لقى الله يوم القيامة ضاحكاً قد أعطي كتابه بيمينه». [٧]

---

١. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ١: ٢٣٣.

٢. م.ن، ١: ٢٣٣.

٣. م.ن، ١: ٢٣٣.

٤. م.ن، ١: ٢٣٥.

٥. م.ن، ١: ٢٣٦.

٦. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٣: ٢٥٦.

٧. المصدر نفسه.

محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان عن العيص بن القاسم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن البِيَع والكنايس هل يصلح نقضها لبناء المساجد؟ فقال: نعم».[1]

محمد بن علي بن محبوب عن الحسن بن علي بن النعمان عن محمد بن حسان عن إسحاق بن يشكر الكاهلي عن الحكم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في المسجد ضوء من ذلك السراج.[2]

عن فضيل بن عثمان عن عبد الله بن الحسن قال: إذا دخلت المسجد فقل: «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرجت فقل: «اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب فضلك».[3]

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة، قال أبو عبيدة: فمرّ بي أبو عبد الله عليه السلام في طريق مكة وقد سويت أحجاراً لمسجد فقلتُ جُعلت فداك: نرجو أن يكون هذا من ذاك، فقال: نعم».[4]

محمد بن علي بن الحسين قال: روي أنّ في التوراة مكتوباً: «ألا إنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إنّ على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة».[5]

---

١. م.ن.

٢. م.ن، ٣ : ٢٦١.

٣. م.ن، ٣ : ٢٦٣.

٤. م.ن، ٣ : ٢٦٤.

٥. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي ٥ : ٢٤٤.

الإجماع :

وجـوب إزالة النجاسـة عن المسـجد قد بحث في علـم الأصول مفصـلاً، مثل مبحث الترتـب ومبحـث اجتـماع الأمـر والنهـي و...، وهـذا يـدلّ بدلالـة واضحـة علـى أهمية وجـوب إزالـة النجاسـة عـن المسـجد فضـلاً عـن تنجيسـه وتلويثـه! فكيـف بالكعبة؟! ولذلـك كلّـه ثبتت أهمية طرح هـذا البحـث، ﴿... **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَـى مَـنْ حَيَّ عَـنْ بَيِّنَـةٍ وَإِنَّ اللَّه لَسَـمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.[1]

قـال آقـا رضا الهمـداني في المصباح: ثـمّ إنّ وجوب إزالة النجاسـة عن المسـجد على الفـور بـلا خلاف فيـه على الظاهر بل عـن المدارك أو الذخيرة نسـبته إلى الأصحـاب، فإنّ المسـتفاد مـن الفتاوى ومعاقـد الاجماعات المحكيّة على وجوب تجنيب المسـاجد النجاسـة إنّـما هو وجوب حفظ المسـجد عن النجاسـة وحرمة إحـداث النجاسـة أو إبقائها فيه.[2]

وقـال السـيد الگلپايـگاني: ثـمّ إنّـه كـما يحرم تنجيـس المسـاجد، كذلك يجـب إزالة النجاسـة عنها إجماعـاً...[3]

وقال الميرزا القمي: ... الظاهر ثبوت الإجماع على حرمة التنجيس مطلقاً...[4]

***

العقل:

بـل دلالـة بعـض تلـك الأدلّة عـلى وجـوب التطهير أوضـح مـن دلالتها عـلى حرمة

---

١. سورة الأنفال : ٤٢.

٢. آقا رضا الهمداني، مصباح الفقيه، ١ : ٥٨٦.

٣. السـيد الگلپايـگاني، كتـاب الطهـارة، دار القـرآن الكريـم، قم ـ ايـران، الطبعة الأولـى، ١٤٠٧ ه ق، : ٣٢٢.

٤. الميرزا القمي، غنائم الأيام في مسائل الحلال و الحرام، ١ : ٣١٢.

تنجيس المساجد بل يستفاد من بعضها أوّلاً و بالذات وجوب التطهير و دلالة هذين قوله تعالى: ﴿... **فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**...﴾. وقوله تعالى: ﴿...**وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ**...﴾. وقوله ﷺ: «جنّبوا مساجدكم النجاسة»، على حرمة التنجيس على نحو الاستلزام.[1]

قال السيد الإمام الخميني ﷺ: ... المقدّمة الثالثة: أنّ التزاحمات الواقعة بين الأدلّة بالعرض لأجل عدم قدرة المكلّف على الجمع بين امتثالها ـ كالتزاحم بين وجوب إزالة النجاسة من المسجد ووجوب الصلاة، حيث تكون متأخّرة عن تعلّق الحكم بموضوعاتها وعن ابتلاء المكلَّف بالواقعة ـ لم تكن ملحوظة في الأدلّة، ولا تكون الأدلّة متعرّضة لها، فضلاً عن التعرّض لعلاجها، فقوله: «أزل النجاسة عن المسجد» – مثلاً – لا يكون ناظراً إلى حالات الموضوع ـ كما عرفت في المقدّمة المتقدّمة ـ فضلاً عن أن يكون ناظراً إلى حالاته مع موضوع آخر ومزاحمته معه، فضلاً عن أن يكون ناظراً إلى علاج المزاحمة، فاشتراط المهمّ بعصيان الأهمّ ـ الذي هو من مقدّمات الترتّب ـ لا يمكن أن يكون مفاد الأدلّة إن كان المراد شرطاً شرعياً مأخوذاً في الأدلّة... فظهر أنّ الأمر بالشيء لا يقتضي عدم الأمر بضدّه في التكاليف الكلّية القانونية، كما فيما نحن فيه.... وثانيهما: أنّ المكلّف مع ترك الأهمّ والمهمّ يستحقّ عقابين؛ لما تقدّم تفصيله. ولو تأمّلت فيما تقدّم تأمّلاً صادقاً، وتدبّرت فيه تدبّراً أكيداً، يسهل لك التصديق بما ذكرنا، والله وليّ الأمر.[2]

قال السيد مصطفى الخميني ﷺ:... في الواجبين اللذين يكون أحدهما أهمّ، والآخر مهماً، وكان زمان وجوب الأهم والمهم واحداً، ولكن يتقدم أحدهما على الآخر نحو التقدم بالعلية، قالوا: بأنه لا يلزم منهما الجمع بين الضدين مثلاً، إذا كان أول زوال

١. السيد الگلپايگاني، كتاب الطهارة، دار القرآن الكريم، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ. ق، : ٣٢٢.
٢. لمحات الأصول، تقرير بحث السيد البروجردي، للسيد روح الله الخميني، في التعليقة : ١٧٦.

يـوم الجمعـة إزالـة النجاسـة مـن المسـجد واجبـاً، وكان فيها وجـوب الصلاة مشـروطاً بالعصيـان، فإنـه بعصيـان الأهـم تكون العبـادة مأمـوراً بها، مع وحـدة زمـان التكليفين، وترتـب أحدهما عـلى الآخر. وهذه الصـورة من الصـور الكثيرة التي أجـري فيها الترتب عنـد أربابه...[1]

هكـذا يبحـث علماؤنـا حول وجـوب إزالـة النجاسـة عن المسـجد، فأكذوبـة تلويث الكعبـة أكذوبـة مدسوسـة مجعولـة، وأكذوبـة مفضوحـة، وأكذوبـة دنيئـة قبيحـة التـي قذفوهـم بهـا لإيجاد التفرق في صفوف المسـلمين، قال الله تعالـى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[2]

***

أقوال الفقهاء:

وإن احتلمت في مسـجد من المسـاجد فاخرج منه واغتسـل، إلّا أن يكون احتلامك في المسـجد الحرام أو في مسـجد رسـول اللهﷺ، فإنك إذا احتلمت في أحد هذين المسجدين، تيمّمت وخرجت، ولم تمش فيهـما إلّا متيمّماً.[3]

... يكـره النـوم في المسـاجد كلهـا وخاصة في المسـجد الحرام ومسـجد النبـيﷺ وإذا احتلـم في أحـد هذين المسـجدين تيمـم في مكانـه وخرج واغتسـل، وليس عليـه ذلك في غيرها، ويسـتحب كنس المسـاجد وتنظيفها. ويسـتحب الإسراج في المسـاجد كلّها، ومن أكل شـيئاً مـن المؤذيـات مثـل الثـوم والبصل وما أشـبههما نيّاً، فلا يحضـر المسـجد حتى تـزول رائحتـه، وإن كان مطبوخـاً لا رائحـة لـه لم يكن به بـأس، وإذا أراد دخول المسـجد

١. تحريرات في الأصول، السيد مصطفى الخميني ٣ : ٤٧٣.
٢. سورة الأنفال : ٤٦ .
٣. الهداية، الشيخ الصدوق : ٩٧.

ينبغـي أن يتعاهـد نعلـه أو خفّـه أو غـير ذلك لئـلا يكون فيها شـيء من النجاسـة.[1]

مسـألة ٢١٧ : طهـارة البـدن والثياب وموضع السـجود شرط في صحـة الصلاة، وبه قـال جميـع الفقهـاء، وزاد الشـافعي: موضع الصـلاة أجمع، وأبـو حنيفة موضع السـجود والقدمـين. وقـال مالك يعيد في الوقت، كأنـه يذهب إلى أن اجتناب النجاسـة ليس شرطاً في صحـة الصـلاة. وذهبـت طائفة إلى أن الصـلاة لا تفتقر إلى الطهارة من النجاسـة، روي ذلـك عن ابـن عباس، وابن مسـعود، وسـعيد بن جبـير، وأبي مجلز...

دليلنـا: إجماع الفرقـة، وطريقة الاحتياط. وأيضـاً قوله تعالى: ﴿**وَثِيَابَـكَ فَطَهِّرْ**﴾ معناه مـن النجاسـة لأن هذا حقيقتـه، وروي ذلك عن ابن سـيرين.[2]

... وإذا احتلمـت في المسـجد الحـرام، أو في مسـجد الرسـول صلى الله عليه وآله فتيمّـم، ولا تمـرّ في المسـجد إلاّ متيمّـماً...[3]

... وعليك بالسّـكينة والوقار والتخشّـع إذا دخلت المسـجد، فإنّه روي: «أنّ في التوراة مكتوبـاً: إنّ بيـوتي في الأرض المسـاجد، فطوبـى لمن تطهّـر في بيته ثـمّ زارني في بيتي، وحقّ للمزور أن يكـرم الزائر».[4]

... لا يجوز الدفن في شيء من المساجد... ويستحب الإسراج في المساجد كلها.[5]

... الثامن: يحرم إدخال النجاسة إليها (إلى المساجد) و إزالتها.[6]

بـل الـكلام إنـما هـو في العناويـن المخصوصـة المعنونـة في كتـب الفقهاء مـن وجوب

---

١. المبسوط، الشيخ الطوسي ١ : ١٦١.

٢. الخلاف، الشيخ الطوسي ١ : ٤٧١ .

٣. المقنع، الشيخ الصدوق : ٢٨ .

٤. م.ن : ٨٩ .

٥. النهاية، الشيخ الطوسي/ المحقق الحلي ١ : ٣٤٣ .

٦. الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ٣ : ١٢٨.

الوضـوء عنـد وجـوب الصّـلاة وحرمة الصـلاة عند نجاسـة المسـجد...[1]

تجـب إزالة النجاسـة عن المسـاجد داخلها وسـقفها وسـطحها والطـرف الداخل من جدرانهـا ، بـل والطـرف الخارج على الأحـوط...[2]

مسـألة: إذا رأى نجاسـة في المسـجد وقـد دخل وقت الصـلاة تجب المبـادرة إلى إزالتها مقدمـاً عـلى الصـلاة مع سـعة وقتهـا، ومـع الضيـق قدّمها، ولـو تـرك الإزالة مع السـعة واشـتغل بالصـلاة عـصى لـترك الإزالـة ، لكـن في بطـلان صلاتـه إشـكال ، والأقـوى الصحـة، هـذا إذا أمكنـه الإزالـة، وأمـا مـع عـدم قدرتـه مطلقـاً أو في ذلـك الوقـت فـلا إشـكال في صحـة صلاته، ولا فرق في الإشـكال في الصـورة الأولى بـين أن يصلي في ذلك المسـجد، أو في مسـجد آخـر، وإذا اشـتغل غـيره بالإزالة لا مانع مـن مبادرتـه إلى الصلاة قبـل تحقـق الإزالة.[3]

مسألة: إذا توقف التطهير على بذل مال وجب...[4]

وروى بكـير في الحسـن عـن أحدهمـا عليهما السلام قـال: «إذا كان الحـدث في المسـجد فلا بأس بالوضـوء في المسـجد»، ولعل المـراد بالحدث في المسـجد مثل النوم والريح مثـلاً، ومفهوم الروايـة عـلى مـا ذكرنـا أنه لـو كان النوم في غير المسـجد كره الوضـوء له في المسـجد ، ولا ينـافي ذلـك مفهـوم الرواية الأولى بنـاء على حمـل الوضوء فيها عـلى الرافع للحـدث، لأن ذلك مفهـوم لقب.[5]

أمـا الوجـوب لدخـول المسـجد فعنـد البعـض مقيـد بالتلويـث ، والأدلـة ظاهـرة في

---

١. مطارح الأنظار، الشيخ الأنصاري : ٢٣٠ .

٢. العروة الوثقى، السيد اليزدي ١ : ١٧٨

٣. م.ن، ١ : ١٧٩ .

٤. م.ن : ١٨٤ .

٥. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني ٢ :٤١٢ .

المطلق كما هو رأى المصنف إن تمت وهو قوله صلى الله عليه وآله: «جنّبوا مساجدكم النجاسة». وقوله تعالى: ﴿**إنّما المُشرِكُون نَجسٌ فَلَا يَقرَبُوا**...﴾. والاجماع على منعهم، والظاهر أنّ العلة هي النجاسة، وكذا قوله تعالى: ﴿**أن طهّرا بيتيَ للطائفين**...﴾.[1]

وفي الوسائل باب ٢٤ حديث ٢ من أبواب أحكام المساجد من كتاب الصلاة قال: روى جماعة من أصحابنا في كتب الاستدلال عن النبيﷺ أنه قال: «جنّبوا مساجدكم النجاسة».

مسألة ٤: إذا رأى نجاسة في المسجد وقد دخل وقت الصلاة تجب المبادرة إلى إزالتها مقدّماً على الصلاة مع سعة وقتها...[2]

مسألة ٤٤: تجب المبادرة إلى إزالة النجاسة من المسجد، وآلاته وفراشه حتى لو دخل المسجد ليصلي فيه فوجد فيه نجاسة وجبت المبادرة إلى إزالتها مقدماً لها على الصلاة مع سعة الوقت، لكن لو صلى وترك الإزالة عصى وصحت الصلاة، أما في الضيق فتجب المبادرة إلى الصلاة مقدّماً لها على الإزالة.[3]

قال في المنتهى: ويحرم إدخال النجاسة إليها لقولهﷺ: «جنّبوا مساجدكم النجاسة»، وغَسل النجاسة فيها: لأنه ينجسها.[4]

كما أنّه لا إشكال في حرمة تنجيس المسجد حدوثاً و وجوب إزالة نجاسته بقاءً، لامكان استفادته ممّا ورد بالعموم، نحو قولهﷺ: «... جنّبوا مساجدكم النجاسة»، ولا ميز في ذلك بين الحدوث و البقاء أيضاً، حيث إنّ المستفاد منه عرفاً، هو مبغوضيّة

---

١. المحقق الأردبيلي، مجمع الفائدة و البرهان في شرح إرشاد الأذهان، جماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ق ١: ٣٢٣.

٢. مستمسك العروة الوثقى، السيد محسن الحكيم ١: ٤٩٦.

٣. منهاج الصالحين، السيد محسن الحكيم ١: ١٥٧.

٤. المحقق الداماد، كتاب الصلاة، جماعة المدرسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ق ٣: ١٦٤.

تنجّس المسجد بما هو مسجد، فلو كان الموضع نجساً قبل الجعل ثمّ جعل مسجداً يلزم تطهيره بلا كلام.[1]

... بضرورة المذهب إن لم تكن من الدّين، و في النبويّ «جنّبوا مساجدكم النجاسة».[2]

ثم انّه كما يحرم تنجيس المساجد كذلك يجب إزالة النجاسة عنها إجماعاً و مستند ذلك- بعد الإجماع- هي الأدلّة المتقدّمة، أعني قوله تعالى: ﴿... **فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**...﴾. وقوله تعالى: ﴿... **وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ**... ﴾. وقوله ﷺ: «جنّبوا مساجدكم النجاسة» بل دلالة بعض تلك الأدلّة على وجوب التطهير أوضح من دلالتها على حرمة تنجيس المساجد بل يستفاد من بعضها أوّلاً و بالذات وجوب التطهير كقوله تعالى: ﴿**وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ**﴾ و قوله ﷺ: «جنّبوا مساجدكم النجاسة»، و دلالة هذين على حرمة التنجيس على نحو الاستلزام.[3]

وجوب إزالة النجاسة عن المساجد و المشاهد و المصاحف و التربة.[4]

مسألة : لا فرق في المسجد (حرمة تلويثه و وجوب إزالته عنه) بين المعمورة والمخروبة والمهجورة.[5]

مسألة: تجب إزالة النجاسة عن المساجد.[6]

---

١. السيد عبد الأعلى السبزواري، مهذب الأحكام، مؤسسة المنار، قم ـ ايران، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ ق ١: ٤٦٣.

٢. م.ن، ٥ : ٥١٣.

٣. السيد الگلپايگاني، كتاب الطهارة، دار القرآن الكريم، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ. ق، : ٣٢٢.

٤. الإمام الخميني، كتاب الطهارة، ط ـ الحديثة، ٤: ١٢٣.

٥. الفاضل اللنكراني، الشيخ محمد، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، : ٣١٩.

٦. موسوعة الإمام الخوئي، ٣ : ٢٥١.

مسألة: يحرم تنجيس المساجد.[1]

مسألة ٤٣٦: إذا توقف تطهير المسجد على بذل مال وجب، إلّا إذا كان بحيث يضر بحاله، ولا يضمنه من صار سبباً للتنجيس كما لا يختص وجوب إزالة النجاسة به.

مسألة ٤٣٧: إذا توقف تطهير المسجد على تنجس بعض المواضع الطاهرة وجب، إذا كان يطهّر بعد ذلك.

مسألة ٤٣٨: إذا لم يتمكن الانسان من تطهير المسجد وجب عليه إعلام غيره إذا احتمل حصول التطهير بإعلامه.[2]

مسألة: في جواز تنجيس مساجد اليهود والنصارى اشكال، وأما مساجد المسلمين فلا فرق بين فِرقهم.[3]

مسألة ٤٣٢: تجب المبادرة إلى إزالة النجاسة من المسجد إذا استلزمت هتك حرمته...[4]

***

الوثائق والمستندات:

لقد وجدت وثائق ومستندات حاكية عن كذب تلويث الكعبة، وتلك الوثائق والمستندات، وبتلك رُفع الستار بوضوح عن التهمة والافتراء والحقد، وبيّنت أنّ هذا الاتهام ليس طريقاً صحيحاً، فيلزم على كلّ المسلمين اجتماعهم تحت ظلّ الوحدة الإسلامية، وعدم التنازع كما قال الله عزّوجلّ في كتابه الكريم ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ**

١. الشيخ لطف الله الصافي، هداية العباد، ١: ٩٤.

٢. منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني ٢: ١٢٧.

٣. حسن السعيد، تقرير بحث الشيخ حسين الحلي، ٢: ١٣٩.

٤. منهاج الصالحين، الشيخ محمد إسحاق الفياض ١: ١٨٠.

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[1]

وفي رواية زيد الشحّام أمر الإمام الصادق عليه السلام أصحابه بحسن الجوار مع أهل السنة: محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا زيد! خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا فى مساجدهم، وعودوا مرضاهم، و اشهدوا جنائزهم، و إن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذّنين فافعلوا، فإنّكم إذا فعلتم ذلك قالوا هؤلاء الجعفرية، رحم الله جعفراً ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه و إذا تركتم ذلك قالوا هؤلاء الجعفرية فعل الله بجعفر ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه».[2]

الافراط والتفريط كلاهما غير صحيح من أي شخص، ولايفعل ذلك إلّا من كان في قلبه مرض، وكيف إذا كان تهمة وافتراءً؟! أعاذنا الله وإيّاكم.

ومع الأسف قذفوا الشيعة بهذه الاتهامات الواهية مرّات، ولكلّ مرّة قتلوا عدداً من حجاج الشيعة الأبرياء من أي بلد، ليشوهوا وجه الشيعة عند المسلمين.

***

بعض هذه المستندات:

تلطيخ الكعبة ـ العياذ بالله ـ

وفي شوال ١٠٨٨ هـ. ق أصبح الناس فإذا بالكعبة ملطخة بما يشبه العذرة فاتهم الناس الشيعة بهذا جرياً على اعتقاد قديم لا أدري كيف تجيزه عقولهم، وهكذا اشتدت حمية الأتراك المجاورين والحجاج فأوقعوا ببعض الشيعة وقتلوا منهم أشخاصاً رمياً بالحجارة وضرباً بالسيوف. وينقل السيد دحلان عن العصامي في تاريخه أنه رأى بعينه

١. سورة الأنفال: ٤٦.

٢. وسائل الشيعة، (آل البيت) الحرّ العاملي ٨: ٤٣٠.

ما تلوثت به الكعبة فإذا هو ليس من القاذورات وإنما هو من أنواع الخضروات عجن بعدس وأدهان معفنات فصارت رائحته كريهة، وسواء صحّ هذا أو لم يصح فالواقع أن الإسلام في حاجة إلى التواد الذي يجمع كلّ المخالفين في جادة واحدة، وأن أبناءه في غنىً عن أن يوسعوا شقة الخلاف بينهم بما يتوهمونه في المخالفين منهم.

وشدّ ما يؤسفني أن يتوهم العامة إلى اليوم أنّ الشيعة العجم لايتم حجّهم في مذهبهم إلّا إذا لوث الكعبة الحاج! لو كنا نحتكم إلى منطق العقل لعلمنا أن صحة الفكرة تقتضي أن تلوث الكعبة في كلّ عام بالألوف المؤلفة من القاذورات تبعاً لعدد الشيعة من الحجاج وهو ما لا يسلم به الواقع الملموس، ولكننا نلغي عقولنا بالنسبة لمخالفينا.[1]

محنة الشيعة:

... فزعم بعض العامة أنهم وضعوا نجاسة في الكعبة المعظمة وثاروا لذلك، وثار بثورتهم العسكر وقصد الثائرون القاضي فهرب خوفاً من فتنتهم، ثم قصدوا إلى بيت المفتي فأخرجوه من بيته كما أخرجوا غيره من العلماء ذوي الهيئات واجتمعوا عند وزير الإمارة وطلبوا إليه إقامة الدعوى دون أن يعينوا خصماً معلوماً ثم استطاعوا بتألبهم أن ينتزعوا أمراً من الوزير بإبعاد الشيعة من مكة وخرجوا إلى السوق ينادون بطردهم ونهب بيوتهم وذهبوا في اليوم الثاني إلى بيت القاضي وطلبوا منه أن يتوسط لدى أمير مكة في التصديق على أوامر الوزير التي بأيديهم إبعاد الشيعة فامتنع الأمير ثم ما لبث أن اضطر إلى مجاراتهم خوف الفتنة العامة.

وهكذا خفّ بعض الشيعة إلى الطائف وبعضهم إلى جدة ومكثوا مدة على ذلك حتى هدأت الفتنة واستطاع أمير مكة أن يقبض على دعاتها ثم أرسل إلى الهاربين

١. تاريخ مكة، أحمد السباعي: ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

فعـادوا إلى مكة.

وينقـل الدحـلان عـن تاريـخ الـرضي أن ماحـدث كان نتيجـة لتعصب بعـض أراذل النـاس والأتـراك وأن أهـل مكـة الحقيقيـين لم يكونوا راضين عـن ذلـك، وإني لا أميل إلى اتهـام أشـخاص معنيين بقدر ما أميـل إلى نعي الجهـل المتأصل في عامة المسـلمين من جميع الأجنـاس والمذاهـب، وقد كان ولا يزال سـبباً قوياً من أسـباب تفرقة المسـلمين وتشـتيت كلمتهم.[1]

وقـال أحمـد السـباعي في كتابه (تاريخ مكة): و شـدّ ما يؤسـفني أن يتوهـم العامة إلى اليـوم أنّ شـيعة العجم لا يتمّ حجّهـم في مذهبهم إلاّ إذا لـوث الكعبة الحاج!!![2]

وفي ذي الحجـة عـام ١٣٦٢ق، ١٣٢٢ش، (قبـل ٧٨ سـنة) وقعت حادثـة مؤلمة أدت إلـى قتـل أحـد الأبرياء الحـاج أبي طالـب اليـزدي بتهمـة تلويث البيـت الشـريف، نأتي ببعـض الوثائق حـول هـذا الموضوع:

١. تاريخ مكة، أحمد السباعي: ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

٢. تاريخ مكة، أحمد السباعي: ٣٨٤ .

زونوشت نامه آقای سید ابوالحسن اصفهانی (نمونه ۹)

مورخه.....

شماره.....

بخت وزیر

بسم الله الرحمن الرحیم

تهران حضورمبارك اعلیحضرت اقدس شاهنشاهی عزسلطانه مشرف شود بعرض اعلی میرساند همواره دوام صحت و عافیت و مزید رافت و پیشرفت عصرسلطنت ذات اشرف همایونی را از حضرت باری عزت کبریائه سائل وتلوا خاطرمبارك را قرین التفات میداریم البته چکونکی قتل دلخراش طالب نام ایرانی درحجاز به بهانه یك تهمت مغرضانه بی اساس بعرض اعلی رسیده وبدیهی است که سکوت در تکذیب تهمت چنانسی و از چنین ظلم فاحش و ازطرفداری ان مظلوم فلك زده منافی رافت ورعیت پروری ذات اقدس ملوکانه است لهذا از اصدار اوامر مطاعه دایربه تعقیب قانونی مرتکبین و مواخذه و محاکمه آنها هر طورکه مقتضی است برای تدارك حادثه غم انکیز وتامین آتیه وجلوکیری از وقوع نظیرآنرا منتظر و مدیر عصرجهانی ذات خسروانه را از حضرت باری جل جلاله سائلیم ۱۴ محرم الحرام ۱۳۶۳

الاحقر حسین طباطبائی محل مهر الاحقر ابوالحسن موسوی الاصفهانی

محل مهر

رونوشت برابراصل است

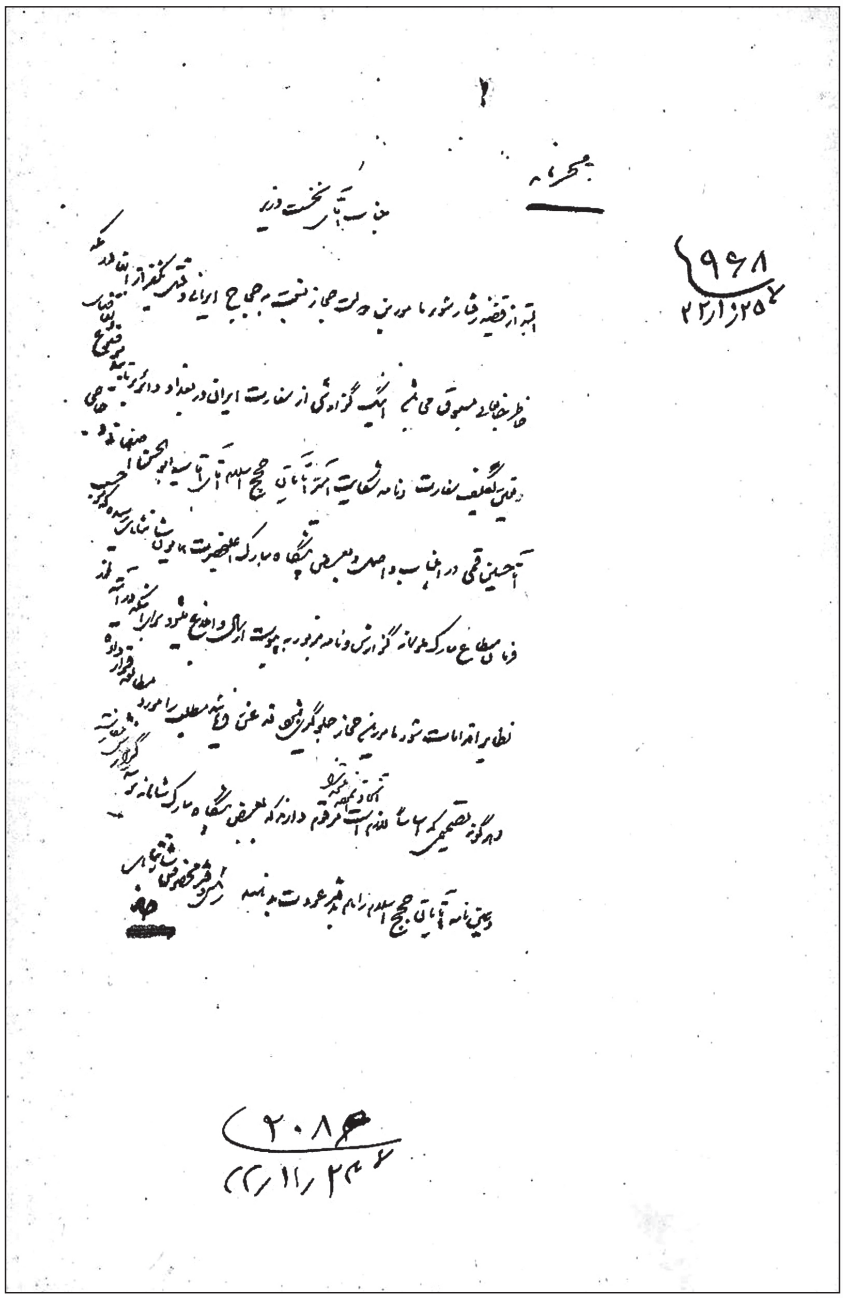

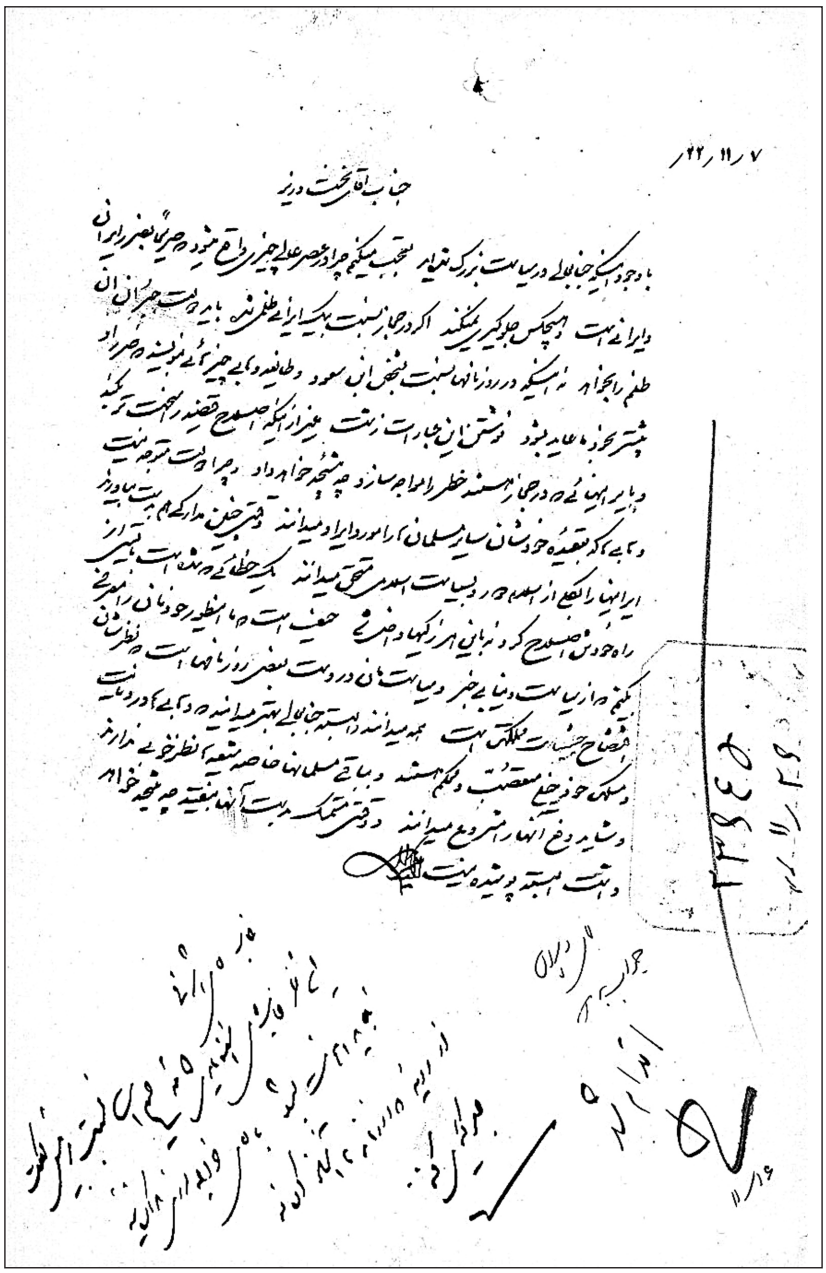

۷ ر ۱۱ ر ۴۲ ر

جناب آقای محترم دریز

با وجود یکه جنابعالی در سیاست بزرگ هستید تعجب میکنم چرا در عصر علم چیز را واقع نمیبینید و چیزها بعقیده را بر ایران و ایرانیت هیچکس جلوگیری نمیکند اگر در چهار نسبت بیگانه ایرانی ظلمی نشده باید دولت چیزان ان ظلم را جبران نماید نه اینکه در روزنامه‌ها نسبت بقبض ان سعود و طایفه وابی چیزهائی نوشته شود چرا در بیشتر مجله‌ها عاید بشود نوشتن این عبارات زشت عیناً همان است که صلح قضیه را بهتر کند و باید اینهائی که در چهار هستند خطر را احساس کنند چه نتیجه خواهد داد و چرا دولت متوجه نیست و بابی که بعقیده خودشان سایر مسلمان کافر و ایراد میدانند و در جنگ مدارکی هم بدست بیاورند ایرانیها را کلیه از اسلام و در سیاست اسلامی متحق میدانند یک جمله‌ئی که هیچ ضرر ندارد راه خودش را صلح کند و بزبان هر رکنهای و ضرر حیف است ما نظر خودمان را بعرض نکنیم و از سیاست و بنا بی خبر و سیاست ان در دولت بعضی روزنامه‌ها است که نظر شان را بقضاح جنایات ملکت است همه میدانند وابسته جنابعالی بهتر میدانید و بابی که در دولت مسلمان خودش مقصب و کافر هستند و بابی مسلمانها خاصه شیعه را نظر خوبی ندارند و شاید دفع انها را شروع میدانند و در ضمن ممکن است آنها بعقیده چه نتیجه خواهد دولت وابسته پوشیده نیست

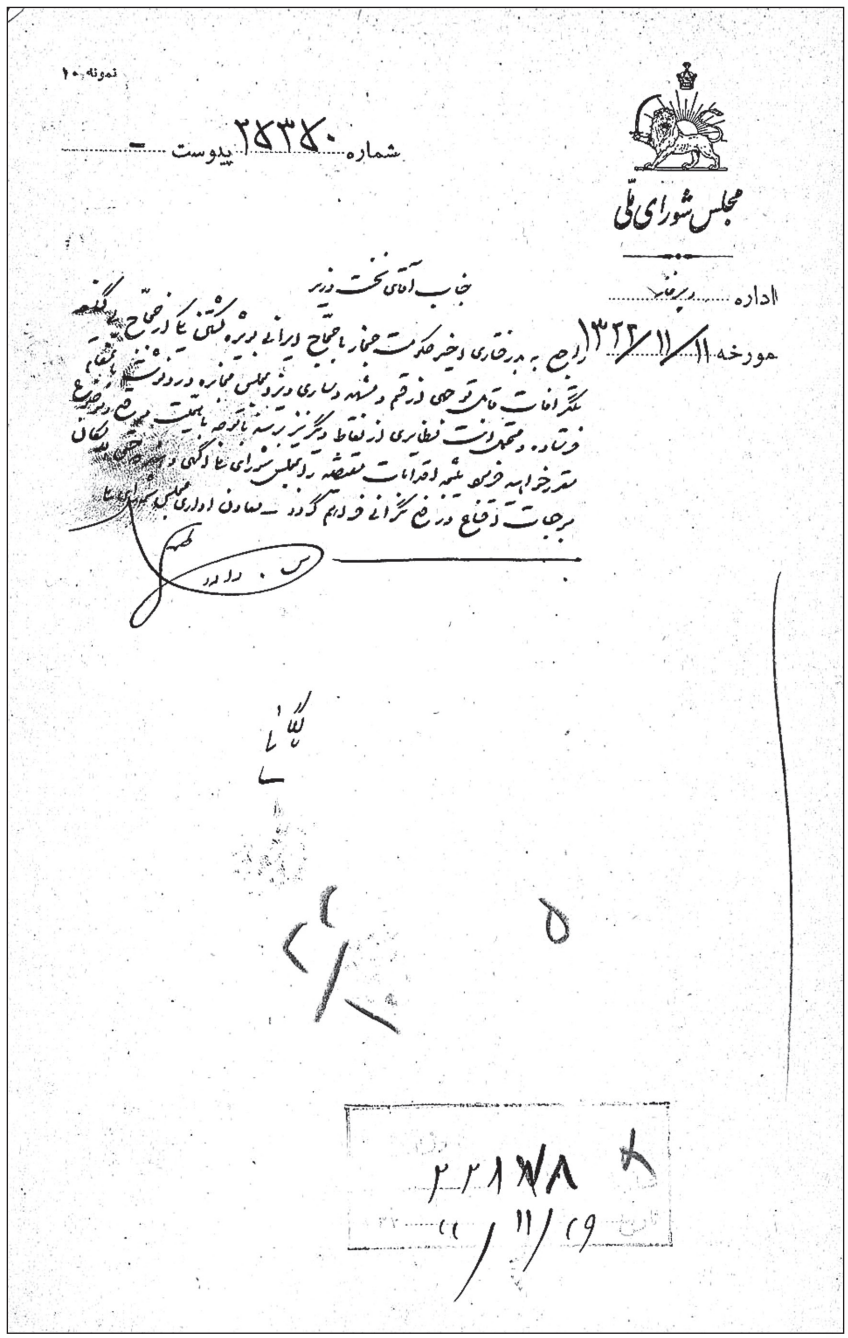

نمونه ۱۰

شماره ۲۵۳۷۰ پیوست

مجلس شورای ملی

اداره

مورخه ۱۳۲۲/۱۱/۱۱

جناب آقای نخست وزیر

راجع به بدرفتاری وحشیانه حکومت جبار با حجاج ایرانی در بیشه کشتن یا زخمی نمودن

تلگرافات قاطع تلگرافی از قم و مشهد و سایر شهرها و در مجلس شورای ملی

فشرده و محتوی است نظر به اینکه از نقاط دیگر نیز به همین مضمون

مقدر خواهد فرمود اقدامات مقتضیه را مجلس شورای ملی

برجات دفاع در رفع گرفتاری خواهد نمود

معاون اداری مجلس شورای ملی

س. ر. ر.

۲۲۱۷۸

۱۳۲۲/۱۱/۱۹

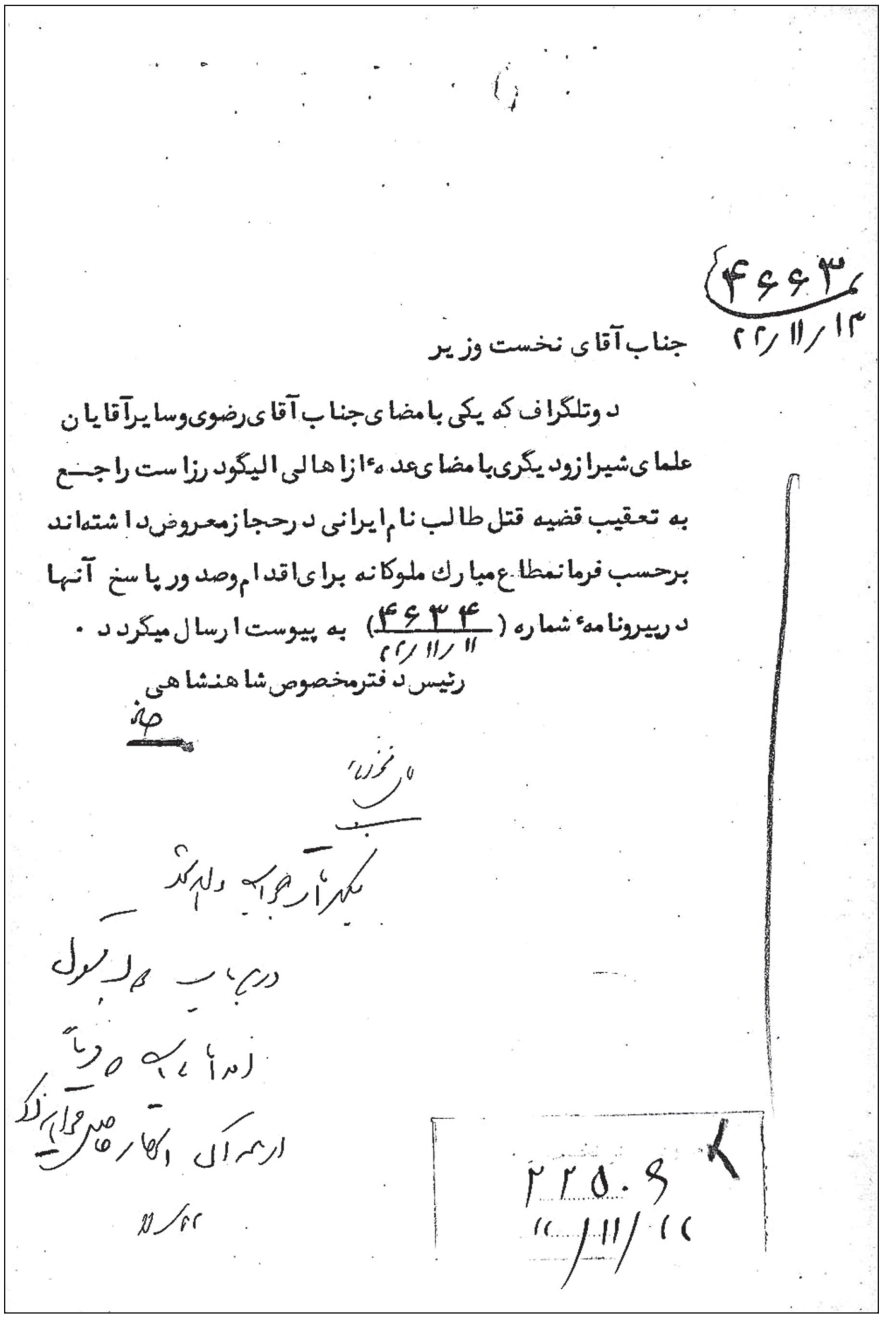

۴۶۶۳
۱۳/۱۱/۴۲

جناب آقای نخست وزیر

دوتلگراف که یکی بامضای جناب آقای رضوی وسایرآقایان علمای شیراز ودیگری بامضای عده ازاهالی الیگودرز راست راجع به تعقیب قضیه قتل طالب نام ایرانی درحجاز معروض داشته‌اند برحسب فرمانمطاع مبارك ملوکانه برای اقدام وصدور پاسخ آنها درپیرونامه شماره (۴۶۳۴ ۱۱/۱۱/۴۲) به پیوست ارسال میگردد.

رئیس دفترمخصوص شاهنشاهی

۲۲۵۰۶
۱۱/۱۱/۱۱

وللحصـول علـى كلّ الوثائـق والمسـتندات في هـذا الموضـوع راجـع مكتبـة الحـج والزيـارة بقـم المقدسـة، رقـم الوثائـق:٣٠٩٢ .

يـا كاذبـاً أصبـح في كذبـه أعجوبـة أيـة أعجوبـه

وناطـق ينطـق في لـفظــة واحـدة سـبعين أكذوبـه.[1]

***

١. مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني ؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي ٥ : ٥٠ .

﴿... فَاذكرُوا اللّهَ ...﴾

(١)

حسن الحاج.[١]

ملخـّص البحث:

﴿لَيْـسَ عَلَيْكُـمْ جُنَـاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْـلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَـإِذَآ أَفَضْتُم مِّـنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُـرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمشْـعَرِ الْحَـرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَـا هَدَاكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِّـن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّـينَ * ثُـمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَـاضَ ٱلنَّاسُ وَاسْـتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَـإِذَا قَضَيْتُـمْ مَّنَاسِـكَكُمْ فَاذْكُـرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُـمْ آبَآءَكُـمْ أَوْ أَشَـدَّ ذِكْـراً فَمِنَ النَّـاسِ مَـن يَقُـولُ رَبَّنَـآ آتِنَـا فِي الدُّنْيَـا وَمَـا لَهُ فِي الآخِـرَةِ مِـنْ خَـلاَقٍ* وَمِنْهُمْ مَّن يَقُـولُ رَبَّنَـآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَـنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَـنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُولَـٰـئِكَ لَهُمْ نَصِيـبٌ مِّمَّـا كَسَـبُواْ وَاللهُ سَرِيـعُ الْحِسَـابِ *وَاذْكُـرُواْ اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْـدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّـلَ فِي يَوْمَـيْنِ فَـلاَ إِثْـمَ عَلَيْـهِ وَمَـن تَأَخَّرَ فَـلاَ إِثْـمَ عَلَيْهِ لِمَـنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُـواْ اللهَ وَاعْلَمُـوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْـشَرُونَ﴾.[٢]

---

١. محقق و باحثٌ ديني .

٢. سورة البقرة : ١٩٨ـ٢٠٣.

إنَّ تكرار الذكر مرّات في هذا المقطع القرآني المختصّ بالحجّ؛ لعلّه يُراد منه بيان شدّة العناية الإلهيّة بخلقه سبحانه وتعالى، وبما ينفعهم؛ خاصة بأولئك الوافدين لأداء مناسك الحجّ في هذه البقاع المباركة: عرفات والمشعر الحرام ومنى، فضلاً عن المسجد الحرام وكعبته المباركة..، وحضّهم وتشجيعهم لترك ما لا ينفع، وترغيبهم وتوجيههم لفعل ما هو كثير فائدةٍ وعظيم ثوابٍ لهم، فإنَّ خير ما يقع في هذه البقاع والأوقات المباركة هو ذكر الله تعالى والاستزادة منه من قبل أولئك الذين يقصدون البيت الحرام وما حوله من بقاعٍ مشرّفة؛ حجّاجاً وعمّاراً، أفراداً وأفواجاً، ذكوراً وإناثاً، ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا**﴾!

***

هناك على رمال عرفات، وعلى مقربة من جبلها يتجسّد مشهدٌ مهيبٌ، جليلٌ فضلُه، موقفٌ مباركٌ؛ يوم عرفة، لا يتمُّ الحجُّ إلّا به، حيث ركن الحجّ الأكبر، ملتقى الذاكرين المتعبّدين، ومأوى الوافدين المتأملين آياته سبحانه، الراجين رحمته ومغفرته، وقد ركنت قلوبهم إلى جنبه، وسكنت إلى ذكره أنساً به واعتماداً عليه ورجاءً منه؛ ليكونوا جزءًا من ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.[1]

جزءًا من مشهد مشرق لقلوبٍ مؤمنةٍ مطمئنةٍ بذكره عزَّ وجلَّ، من لوحة لنفوس عارفة، تتحرك نحوه تعالى بقلوب وجلة خاشعة، وأكفٍّ متضرّعة، وعيون باكية، وألسن تردّد ذكره المبارك، تعيش أجواءه، وقد تجلّت سلاماً وأماناً، فتضفي عليها الطمأنينة، وكيف لا تطمئن هذه النفوس، وهي ترى أنَّها بجواره سبحانه وفي حفظه ورعايته، فلا وحدة توحشها، ولا حيرة تقلقها، ولا خوف ينتابها، آمنة من أي تجاوز أو اعتداء، أو ضرّ أو سوء إلّا بما يشاء ويرضى، تزداد تسليماً واطمئناناً أنَّ ما يختاره

١. سورة الرعد: ٢٨.

لها ربُّها من خيرٍ أو ضرٍّ، من نعمة أو بلاء يعود عليها بالمنفعة، إن في الدنيا وإن في الآخرة، خاصةً إذا قابلت ذلك بالشكر ورضيت به، وتحلّت بالصبر الجميل، وبالتالي تكمن السعادة وديمومتها بذكره تعالى، فيما يُغادر الضنك والمشقّة والسأم عن ذكره سبحانه؟!

إذن فالتنزيل العزيز بآياته الآمرة بالذكر والدّاعية إليه؛ ومنها الآية المذكورة: يرسم صورة شفيفة للقلوب المؤمنة، في جوٍّ من الطمأنينة والأنس والبشاشة والسلام، تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه؛ تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدإ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كلّ اعتداء، ومن كلّ ضرٍّ ومن كلّ شرٍّ إلّا بما يشاء، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة.

ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة، يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله؛ ... وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون؛ لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لِم جاء؟ ولِم يذهب؟ ولِم يعان ما يعاني في الحياة؟ وإنَّ هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر، إلّا أن يكون مرتكناً إلى الله، مطمئناً إلى حماه، مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد.. ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كلّه، فلا يصمد لها إلّا المطمئنون بالله! هؤلاء المنيبون إلى الله، المطمئنون بذكر الله، يحسن الله مآبهم عنده، كما أحسنوا الإنابة إليه، وكما أحسنوا العمل في الحياة..![1]

لقد تكرر الذكر مرتين، وكذا اطمئنان القلوب هو الآخر تكرر مرتين في الآية المباركة: ﴿...**وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.

١. السيد قطب، في ظلال القرآن الآية: ٢٨ من سورة الرعد. باختصار.

لعلّ فيه حثًّا على مداومة ذكر الله تعالى في جميع الظروف الزمانية والمكانية والأحداث والوقائع، سواء أكان العبد المؤمن في سرّاء أم ضرّاء، في فرج أم عسر، في نعمة أم بؤس..؛ فما دام إحسانه عزَّ وجلَّ في جميع الحالات، وهو إحسان لا ينقطع، فذكره تعالى ينبغي، بل يجب أن لا ينقطع ولا يتوقف... ذكرٌ يغني عن كلّ شيء، وكافٍ عن جميع المخلوقات، به نحظى برضا الله عزَّ وجلَّ، فنسعد في الدنيا والآخرة..

ولعلَّ فيه إغراءً بالإكثار منه، خاصةً الحجيج وهم في ضيافة الرحمن ووفادته، يناجون ربَّهم وحده لا شريك له، وقد تجرّدوا وابتعدوا عن كلّ ما يشدُّهم إلى الدنيا، وكيف لا؛ وهم في حشرٍ يذكرهم بيوم الحشر الأكبر، ومشهدٍ من مشاهد يوم القيامة حيث لا قوة ولا سلطان ولا جاه ينفعهم، ولا مال ينقذهم، ولا معين ولا سند ولا حسب يركنوا إليه..؟!

إنَّ عرفة موقفٌ بين يدي الله تعالى، وذكرٌ يجسد الاعتراف بربوبيته سبحانه، وتعهدٌ بالتزام أوامره ... نعم هو غنيٌّ عن كلّ ذلك، وليس بحاجة إليه ﴿**وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾.[1]

ولكنها مكابدة يومية وشهرية وموسمية، فرضتها شريعة السماء ودعت إليها، غايتها تنقية النفوس من أدرانها والتحرر من أغلالها، ولا يتمُّ ذلك إلّا بالمزيد من ذكر الله تعالى والتفاعل مع هذا الذكر، وما فصول الأدعية المأثورة عند المسلمين؛ ومنها دعاء الإمام الحسين ودعاء ابنه عليّ عليهما السلام التي يستحب الدعاء بها في البقاع المشرفة، وبالذات في عرصة عرفة ويومها، إلّا جزءٌ مبارك من ذكر الله تعالى والثناء عليه ومناجاته والتوسل به وسؤاله المغفرة؛ لتطهير النفوس واستعادة حريتها من الأهواء وقيود الدنيا وملاذها التي تشدّها إلى الأرض... ثمَّ ينطلقون عبر إفاضة مباركة حاشدة إلى موقف آخر إلى المزدلفة حيث المشعر الحرام؛ ليُلبّوا أمره: ﴿...**فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ**

١. سورة فاطر: ١٥.

﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾.

ذكراً حسناً؛ صلاةً ودعاءً، استغفاراً وتوسلاً، تكبيراً وتهليلاً وتلبيةً، إنَّه ذكر يخالط اللسان والقلب، ويحفظ إحسانه تعالى، وعظيم ما أنعم به علينا، فذكره عزَّوجلَّ شرف للعبد ما بعده ولا قبله شرف ولا فضل، تسمو به روحه، وتعلو به منزلته، ويتجذر به إيمانه، وتنفتح به بصيرته ...، تمهيداً لإفاضة أُخرى تبدأ من المزدلفة إلى حيث منى يرافقها ذكر الله سبحانه...

وفي هذه المواقف نجد ذكر الله هو الأكبر والأعظم، وقد ورد بآيات قرآنيّة كثيرة العدد، وهو من العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى بل العبادات قائمة عليه، بل الحياة بكلّ مفاصلها بدون ذكر الله تُعدُّ حياةً بلا معنى، بل هي الموت بعينه حتى نُسب إلى رسول اللهﷺ أنَّه قال: «مثل الذي يذكر ربَّه، والذي لا يذكر ربَّه، مثل الحي والميت»!

وحقيق بالعبد ألَّا يفتُرَ لسانه من ذكر الله سبحانه، وألَّا يزال لَهِجًا بذكره تعالى، فبالذكر يغادر اللسان اليبوسة ويبقى رطباً، وقد ورد أنَّ رجلاً سأل النبيَّﷺ قائلاً:

إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، وأنا قد كبرتُ، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تُكثر عليَّ فأنسى!

قالﷺ: «لا يزال لسانُك رطباً بذكر الله تعالى»![1]

فما أجمل أن يكون لسان العبد رطباً بذكره تعالى، بمعنى أن يكون مشغولاً بذكره عزَّ وجلَّ استغفاراً وتسبيحاً وتهليلاً... فيكون العبد ممن تصدق عليه الآية الكريمة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾.[2]

١. صحيح البخاري: ٦٤٠٧، الترمذي ٣٣٧٥.

٢. سورة الأحزاب: ٤١.

ويكون من أولئك ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ...﴾.[1] لا من المنافقين الذين وإن ذكروا الله، يذكرونه خداعاً وكسلاً، وعلى قلّة وندرة ورياء ... ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.[2]

علماً بأنَّ الصلة بين المؤمنين وخالقهم لا بدَّ لها من وسائل تتحقق بها؛ وبما أنَّ الإنسان مهما بلغ من القدرة والمعرفة عاجز عن إيجادها كما تُريدها السماء، وبما تحفظ بها تلك الصلة الطيبة، ويحقق له الفوز في الدنيا والآخرة، فقد تكفّل الله سبحانه ببيانها، ومن أهمها: الذكر، .. وبالتالي لا ينبغي أن يغفل المؤمن عن ذلك، فيفقد هذه العلاقة وطرقها ويخسر مضامينها، وأن لا يشغله شاغل من تكاثر بالأموال والأنفس عن هذا الذكر المبارك والأدب العظيم وأقوى الصلات بالله عزَّ وجلَّ، وإلّا فهو ممن خسروا ثواب الله ورحمته ورضوانه، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

مع المقطع القرآني:

بعد كلّ هذا وغيره الكثير يدعو للوقوف عند المقطع المختار الذي تّعدُّ آياته من أهم آيات الحجِّ التي نزلت في حجّة الوداع، آخر حجّة حجّها رسول الله ﷺ وفيها تشريع حجّ التمتع، والمسبوقة بأحكام الحجّ والملحوقة بها، نقف عند جزئية مهمة منه؛ عند الذكر المأمور به، وقد تكرّر مرّات في ثلاث آيات من هذا المقطع: ﴿فَاذْكُرُواْ .. وَاذْكُرُوهُ.. فَاذْكُرُواْ .. كَذِكْرِكُمْ .. ذِكْراً .. وَاذْكُرُواْ ...﴾. لما له من أهمية عظيمة وفضل جليل؛ ولأنه يُعدُّ أرفع أدبٍ و ألزم سلوكٍ لأداء مناسك هذه العبادة المباركة،

١. سورة آل عمران: ١٩١.

٢. سورة النساء: ١٤٢.

فذكره جلّ جلاله ليس فقط يُشكّل أدباً عظيماً، بل يُعدُّ من أقوى الصلات بالله سبحانه وتعالى، إنَّه عبادة، اختارها الله وارتضاها، وأمر بها عباده المؤمنين في مواضع من القرآن الكريم، كما أنَّه ذو علاقة وثيقة بالتقوى التي هي الهدف الخاتم للحجّ ولموسمه وأيامه التي كانوا يسمونها أيام ذكر؛ لعظمة الذكر وبركاته وأهميته، فكانوا يمتنعون عن البيع والشراء فيها وهما عصبا الحياة؛ فقد ورد عن ابن عباس أنَّه قال: «كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحجّ، يقولون: أيام ذكر. فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾، فَاتَّجَرُوا».[1]

نقف عنده بآياته لغةً وإعراباً وبلاغةً ومراداً وفضلاً ودرساً فقهيًّا..، ونبدأ بالآية:

الأولى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾.

جموع بشرية راحت الآية المباركة تصورهم، وهم يتدفقون من عرفات إلى المزدلفة أجلَّ وأهيب تصويرٍ كفيضان بحرٍ وانسياب ماءٍ كثير في منظر مهيب عظيم، تهتزُّ له المشاعر والقلوب والأذهان، وعيونهم ترمق السماء حيث الرحمة الإلهية التي لا يحدُّها حدٌّ، إنَّها إفاضة كبرى قد تجردوا فيها من ذنوبٍ كثيرة، وتطهروا من أدرانٍ أصيبوا بها، وها هم الآن يتضرعون؛ يأملون مغفرةً من ربِّهم ورضواناً، فما أعظم هذه الظاهرة، وما أروعها حين يصورها التنزيل العزيز بالإفاضة، وكأنَّهم خيرات أرضٍ تجمّعت ثمَّ فاضت، أو مياه نهر سالت من ضفتيه، فشكّل فيضان ماءٍ غزيرٍ أتى على نفوسهم؛ ليُطهرها كما يُطهر الفيضان أعماق ما يأتي عليه من مخلفات، فيظهر كياناً صافياً رائقاً.

---

١. الواحدي، أسباب النزول، الآية.

الإعراب :

... ﴿فَإِذا﴾: الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب.

﴿أَفَضْتُمْ﴾: فعل وفاعل والجملة في محل جرٍّ بالإضافة .

﴿مِنْ عَرَفاتٍ﴾: الجار والمجرور متعلقان بأفضتم.

﴿فَاذْكُرُوا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، واذكروا فعل أمر وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿اللهَ﴾: مفعول به.

﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ﴾: الظرف متعلق باذكروا.

﴿الْحَرامِ﴾: صفة للمشعر، ولك أن تعلق الظرف بمحذوف حال أي: كائنين عند المشعر الحرام .

﴿وَاذْكُرُوهُ﴾ : الواو عاطفة وكررها للتوكيد. واذكروه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به.

﴿كَما هَداكُمْ﴾: الكاف حرف جرٍّ وما مصدرية، وهي مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أو حال، أي : اذكروه ذكراً حسناً، أو اذكروه مثل هدايته إياكم، وجملة هداكم لا محل لها ؛ لأنها واقعة بعد موصول حرفي .

﴿وَإِنْ﴾ : الواو حالية، وإن مخففة من الثقيلة.

﴿كُنْتُمْ﴾: كان الناقصة واسمها.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال.

﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ اللام هي الفارقة. ومن الضالين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم.[1]

---

١. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم ١ : ٢٩٥ـ٣٠٣ .

﴿أَفَضْتُمْ﴾ لغةً :

فـاض الماءُ ، يفيض فَيْضـاً، وفُيُوضاً، وفَيَضاناً: كثر حتى سـال. فهـو فائض، وفيّاض. ويقـال: فـاض النهـر، وفاض السـيل. وـ الإناءُ: امتلأ حتـى طفح. وـ عينه: سـال دمعها. و الـشيء: كثر. يقـال: فاض الخَيْر... ومنـه الإفَاضَة ..

ومصدر أفاض: إفاضة ، والإفاضة : انصراف الحجيج عن الموقف في عرفة.

دفعتـم أنفسـكم وسرتـم للخـروج منهـا، والإفاضـة دفـع بكثرة مـن أفضت المـاء إذا صببتـه بكثرة.

وفي المصباح المنير: فاض السـيل يفيض فيضاً: كثر وسـال من شَـفة الـوادي .. وفاض الخير: كثـر. وأفاضه الله: كثّره.

وأفـاض النـاس من عرفـات دفعـوا منهـا، وكلّ دفعـة إفاضـة. وأفاضوا مـن منى الى مكـة يـوم النحـر رجعـوا إليهـا، ومنـه طـواف الإفاضـة أي طـواف الرجوع مـن منى إلى مكة .

الطـبري: ﴿فـإذَا أَفَضْتُـمْ﴾ فـإذا رجعتـم مـن حيـث بدأتـم؛ ولذلـك قيـل للذي يضرب القداح بـين الأيسار مفـيض، لـجمعه القداح ثم إفـاضته إياها بـين المـياسرين، ومنـه قـول بشر:

فَقُلْـتُ لَهَـا رُدّي إلَـيْهِ جَنَانَـهُ فَرَدَّتْ كَمَا رَدَّ الـمَنِـيحَ مُفِـيضُ

الزمخـشري: دفعتـم بكثـرة، وهـو مـن إفاضة المـاء وهـو صبه بكثـرة، وأصلـه أفضتم أنفسـكم، فـترك ذكـر المفعـول كما تـرك في دفعـوا من موضـع كـذا وصبوا.

الطـبرسي: «... والإفاضـة مأخـوذة مـن فيـض الإنـاء عـن امتلائـه، فمعنـى أفضتم: دفعتـم مـن عرفـات إلى المزدلفة عن اجتـماع وكثـرة، ويقال: أفـاض القوم في الحديـث إذا اندفعـوا فيـه وأكثروا التـصرف، وأفاض الرجـل إناءه إذا صَبَّـه، وأفاض الرجـل بالقداح

إذا ضرب بها؛ لأنها تقع متفرقة، قال أبو ذُؤيب:

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يُفيضُ عَلَى الْقِداحِ وَيَصْدَعُ

وأفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقة كثيرة، قال الراعي:

وَأَفَضْنَ بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرةٍ مِنْ ذِي الأَباطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقيلا

فالإفاضة في اللغة لا تكون إلاَّ عن تفرق أو كثرة ...

أما عرفة فهي مصدر لفعل عرف يعرف ... وتعني كلمة عرفة: الرمل والمكان المرتفع.

وعرفات في تسميتها أقوال عديدة، سمّيت كذلك إمّا لأنها نعت لإبراهيم عليه السلام، لمّا أبصره عرفه، أو لأنَّ جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر، فلما أراه إياه قال قد عرفت، أو لأنَّ آدم وحواء التقيا فيها فتعارفا، أو لأنَّ الناس يتعارفون فيها.. وقيل: سميت بذلك لعلّوها وارتفاعها ومنه عرف الديك...

وقد وردت «عرفات» في التنزيل العزيز مرة واحدة في الآية ١٩٨ البقرة، فيما وردت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله عرفة مفردة: «الحجُّ عرفة» «الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج».

وعرفة؛ قيل: اسم لموقف الحاج ذلك اليوم، وهي اثنا عشر ميلاً من مكة. وسمي عرفات أيضاً: ﴿فَإِذَا أَفَضتُم مِن عَرَفَاتٍ﴾.

وقال النيسابوري: عرفات جمع عرفة. وكلاهما علم للموقف، كأنَّ كلَّ قطعة من تلك الأرض عرفة، فسمّي مجموع تلك القطعة بعرفات. وكذا قال ابن الحاجب في شرح المفصل.

قال الطبرسي: عرفات: اسم للبقعة المعروفة التي يجب الوقوف بها، ويوم عرفة يوم الوقوف بها. و وافق على ذلك الفيروزأبادي. وهذا القول مبنيٌّ على إنكار كون

عرفة اسماً للموقف. وهو قول الفراء.(اللغات).

وأما المشعر الحرام فهو الآخر في تسميته أقوال عديدة؛ المَشعَرُ: المعلم؛ لأنه معلم العبادة.. موضع مناسك الحجّ، وجمعها مشاعر، ومشاعر الحجّ: مناسكه والأعمال التي تُتمّمه.. والمشعر الحرام: المزدلفة.. ووصف بالحرام؛ لحرمته..

وسميت جمعاً؛ عن ابن عباس أنه نظر إلى الناس ليلة جمع، فقال: لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون. وقيل: سميت المزدلفة وجمعاً؛ لأنّ آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها، أي دنا منها. وعن قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين.

ويجوز أن يقال: وصفت بفعل أهلها؛ لأنّهم يزدلفون إلى الله أي يتقرّبون بالوقوف فيها.[1]

الذكر لغةً:

ذَكَرَ الشيءَ ـُ ذِكْراً، وذُكْراً، وذِكْرَى، وتَذكاراً: حَفِظَه. و ـ اسحضَرَهُ. فالذكر مصدر ذكَر الشّيء يذكره ذِكْراً وذُكْراً، و ـ جَرَى على لسانه بعد نسيانه، و ـ اللهَ: أثنى عليه. و ـ النعمةَ: شكرها

و ـ الشيءَ له: أعلمه به. و ـ حَقَّه: حَفِظه ولم يُضَيِّعْه.) ذَكِرَ (ـَ ذَكَراً: جاد ذِكْرُه وحِفظه. فهو ذَكِرٌ، الحقَّ عليه: أظهره وأعلنه. و ـ فلاناً الشيءَ: جعله يذكُرُه، ... (ذكَّرَ) و ـ فلاناً الشيءَ، وبه: أَذْكَرَهُ.(اذَّكَرَهُ): ذكره. ويُقال: اذدكَرَهُ، وادَّكَرَهُ.(تَذَاكَرُوا) في الأَمر: تفاوضوا فيه. و ـ الشيءَ: ذكروه...

---

١. المعجم الوسيط: ٤٨٥؛ والمصباح المنير، للفيومي: ٢٥٧: فاض؛ جامع البيان في تفسير القرآن؛ مجمع البيان، للطبرسي؛ الكشاف، للزمخشري: الآية؛ معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري رقم: ١٤٣٠؛ وانظر مقالة: إفاضة بل إفاضتان في العدد ١٩ من هذه المجلة.

(اسْتَذْكَرَ) فلاناً: ربط في إِصْبَعِه خيطاً ليذكرَ حاجتَهُ. و ـ الشيءَ: ذكَرَه. (الذَّاكِرَةُ): قدرةُ النَّفْسِ على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها. .. (التَّذْكِرَةُ): ما تُسْتَذْكر به الحاجةُ. و ـ ما يدعو إِلى الذكر والعبرة. ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.

وكما للتذكّر مرادفات مثل: استذكار وادِّكار وذِكر .. وللفعل ادّكَرَ، استذكَرَ، ذَكَرَ، له أضداد كالنسيان والغفلة والسهو.

والتذكر والنسيان تشكلان ثنائية لابدّيّة في النفس البشرية، كما أنَّ للفعل ذَكَرَ أصلين كما يذهب إليه أهل اللغة يتفرّع عليهما جميع معانيه، الأول هو الذَكَرُ مقابل الأُنثى كما في الآيتين الكريمتين:

﴿... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ ...﴾.[1]

﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾.[2]

فيما الأصل الآخر: الذِكر مقابل النسيان.

ابن منظور: ... وذَكَرْتُ الشيء بعد النسيان،... وتَذَكَّرْتُه وأَذْكَرْتُه غيري وذَكَّرْتُه بمعنًى. قال الله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ﴾. أَي ذَكرَ بعد نِسْيان، وأَصله اذْتَكَرَ فَأُدغم...

ابن فارس: ذَكَرَ: ... الذَّالُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ، عَنْهُمَا يَتَفَرَّعُ كَلِمُ الْبَاب. الَّتِي وَلَدَتْ ذَكَرًا... فَالْمَذْكِرُ.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ.

وَيَقُولُونَ: ... اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لَا تَنْسَهُ.

وهذا الأكثر وروداً في الآيات القرآنيّة المباركة.

وقال الكسائيّ: الذّكر باللّسان ضدّ الإنصات ذاله مكسورة، وبالقلب ضدّ النّسيان

١. سورة آل عمران: ٣٦.

٢. سورة النساء: ١١.

وذالـه مضمومـة، وقال غيره: بـل هما لغتان.

وفي شرح لفـظ الذكـر، يقـول أبو الحسـن الواحدي: أصـل الذكر في اللغـة: التنبه على الـشيء وإذا ذكرتـه، فقـد تنبهـت عليـه، ومن ذكـرك شـيئًا، فقد نبهـك عليـه، وليس من لازمـه أن يكون بعد نسـيان.

ثـمَّ قـال: ومعنـى الذكـر حضـور المعنـى في النفـس، ويكـون تـارةً بالقلـب، وتـارةً باللسـان، وتـارةً بهـما، وهـو أفضـل الذكـر، ويليـه ذكـر القلـب، والله أعلـم.[1]

هذا في اللغة، وأما الذكر اصطلاحاً:

فهنـاك تعريفـات ذُكـرت؛ يمكـن أن نسـتفيد منهـا بيانـاً للذكـر اصطلاحـاً، فقد يأتي كـما ذكـروا بمعنـى ذكـر الإنسـان لربِّـه تعالى إخبـاراً عـن صفاتـه عـزَّ وجـلَّ أو أفعاله أو أحكامـه، أو تـلاوةً لكتابـه تعالى أو دعاءً بأن يدعوه ويسـأله، أو ثناءً عليه سـبحانه أوصافاً وآلاءً وأسـماءً، أوتقديسـاً وتمجيـداً وتوحيداً وشـكراً وتعظيماً لـه... أو أنّ الذكر هو كلّ ما تكلـم بـه اللسـان وتصـوره القلـب مما يقـرب إلى الله عـزَّ وأجلَّ مـن تعلم علـم وتعليمه، وأمـر بمعـروف ونهـي عن منكـر... أو هو مـا وضعه الشـارع ليتعبد به، أو هـو ما مدلوله الثنـاء عـلى الله تعـالى، بمعنـى أنَّ الذكر اصطلاحـاً مخصوص بذكـر العبد ربّه إخبـاراً عن ذاتـه المقدسـة، أو صفاتـه، أو أفعالـه، أو أحكامـه، أو بتـلاوة كتابـه، أو بمسـألته ودعائه، ويتجـلّى بشـكل أخـصّ بالثناء عليه عـزَّ وجلَّ عبر تقديسـه، وتمجيده، وتوحيـده، وحمده، وشـكره وتعظيمه...

إضافةً إلى هذا الإيجاز نذكر بعض تعريفاتهم للذكر اصطلاحاً:

الراغـب يقـول: الذكـر تارةً يقـال ويراد بـه هيئة للنفس بهـا يمكن للانسـان أن يحفظ

١. انظـر لسـان العـرب، لابـن منظـور؛ مقاييـس اللغـة، لابـن فـارس: ذكـر؛ المعجـم الوسـيط: ذكر؛ التفسـير البسـيط، للواحـدي؛ والمجمـوع شرح المهـذب، للنـووي ١ : ٧٤ .

ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ، إلّا أنَّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارةً يقال لحضور الشيء القلب أو القول... ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكلّ واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ. وكلّ قول يقال له ذكر...

أما أبو البقاء: فبعد كلامه أنَّ الذّكر بِالْكَسْرِ لَهُ مَعْنيانِ: أَحدهمَا: التَّلَفُّظ بالشَّيْء، وَالثَّانِي: إِحْضَاره فِي الذِّهْن بِحَيْثُ لَا يغيب عَنهُ، وَهُوَ ضد النسْيَان. والذكر بِالضَّمِّ للمعنى الثاني لا غير. وَإِذا أُرِيد بِالذكر الْحَاصِل بِالْمَصْدَرِ يجمع على أذكار. يقول: الذكر وَهُوَ الْإِتْيَان بِأَلْفَاظ ورد التَّرْغِيب فِيهَا، وَيُطلق وَيُرَاد بِهِ الْمُوَاظبَة على الْعَمَل بِمَا أوجبه أَو ندب إِلَيْهِ كالتلاوة وَقِرَاءَة الْأَحَادِيث ودرس الْعلم، وَالنَّفْل بِالصَّلَاةِ.

هذا وجاء هذا اللفظ القرآني بمشتقاته، وتكرر بصيغ عديدة في التنزيل العزيز، فهي لفظة متواترة الحضور في القرآن الكريم، لعلّها ذكرت مائتين واثنتين وتسعين مرةً في مائتين وتسع وستين آية، منها مائة واثنتان وتسعون آية مكية، وسبع وسبعون آية مدنية في إحدى وسبعين سورة من كتاب الله تعالى؛ منها ثلاث وخمسون سورة مكية، وثماني عشرة سورة مدنية، وبعدة صيغ واشتقاقات: مائة وخمس وخمسون بصيغة الفعل بأنواعه الثلاثة: الماضي: ثمان وعشرون مرةً. المضارع: واحد وسبعون مرةً، ولعلّ الإكثار من صيغة المضارع لما في هذه الصيغة من التجدد والاستمرار والدوام، وبالتالي ففيها حثٌّ على دوام الذكر والتفكر والاعتبار حتى حظي الذاكرون بمنزلة طيبة ومدح رفيع كما في الآية: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾.[1]

فيما الأمر: ست وخمسون مرةً، وهي صيغة أمر وحثٍّ وتفيد الاستقبال.

وأما بالصيغة الاسمية، فقد جاء هذا اللفظ مائة وسبعاً وثلاثين مرةً، وأريد به

١. سورة الأحزاب ٣٥.

معـاني عديـدة، لعلّهـا تجاوزت عنـد بعضٍ عشريـن معنًى، فيما آخر ذكر لها خمسـة عشـر وجهاً... نكتفـي ببعضها:

القـرآن الكريـم: ﴿وَهَذَا ذِكْـرٌ مُبـارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾.[1] ذكر لمـن تذكر به، موعظـة لمن اتعظ به.

القـرآن أو الـشرف أو النبـيّ المرسـل: ﴿فَاتَّقُـواْ اللهَ يـا أُوْلِي الأَلْبَـابِ الَّذِيـنَ آمَنُـواْ قَـدْ أَنـزَلَ اللهُ إِلَيْكُـمْ ذِكْـراً * رَّسُـولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُـمْ آيَـاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَـاتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِيـنَ آمَنُـواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَـاتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـاتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾. يعني القرآن ﴿رَسُـولاً﴾ بـدل مـن الذكر، وقيـل: أنـزل إليكم قرآناً وأرسـل رسـولاً. وقيـل: مع الرسـول، وقيل: «الذكـر» هـو الرسـول. وقيـل: «ذكـراً» أي شرفاً.

﴿وَالقُرآنِ ذِى الذِّكرِ﴾.[2] أي ذي البيان.

صـلاة الجمعة أو خطبتهـا التي تتضمن ذكر الله تعـالى: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُـواْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّـلاَةِ مِـن يَـوْمِ الْجُمُعَـةِ فَاسْـعَوْاْ إِلَى ذِكْـرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْـعَ ذَلِكُـمْ خَـيْرٌ لَّكُـمْ إِن كُنتُـمْ تَعْلَمُونَ﴾.[3]

الصلـوات الخمـس المفروضـة، أو جميـع طاعاته تعـالى، أو شـكره على نعمائـه والصبر عـلى بلائـه والرضا بقضائه: ﴿يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تُلْهِكُـمْ أَمْوَالُكُـمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُـمْ عَـن ذِكْرِ اللهِ وَمَـن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَـاسِرُونَ﴾.[4]

الشرف: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.[5]

---

١. سورة الأنعام: ٥٠.

٢. سورة ص: ١.

٣. سورة الجمعة: ٩.

٤. سورة المنافقون: ٩.

٥. سورة الزخرف: ٤٤.

التذكـر: اسـتحضار الـشيء بعـد نسـيانه. ﴿وَالَّذِيـنَ إِذَا فَعَلُـواْ فَاحِشَـةً أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُسَـهُمْ ذَكَـرُواْ اللهَ فَاسْـتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِـرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَـمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَـا فَعَلُـواْ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ﴾.[1]

العـبرة والعظـة: ﴿وَذَكِّـرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[2] ﴿فلَـمَّا نَسُـوا مَـا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.[3]

وهذا الوجه كثير في التنزيل العزيز.

الطاعة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾.[4]

هـذا وذكـروا أنَّ لمفهـوم الذكـر عـدّة معـانٍ وأنـواعٍ ووجـوه، لعـلّ جميعها تنضـمُّ إلى معنيـين؛ عـام وخاص:

والأول يتوفّـر عـلى العبادة؛ واجبهـا ومسـتحبها، وبأنواعهما من صـلاة وصيام وحجّ و... فهـي طاعـات وبلا شـك تُقـام لذكره تعـالى، وعبـادات يُتقرّب بها إليه سـبحانه.

فيـما الثـاني يتوفّـر على ألفـاظ ومفردات، منهـا ما ورد عن الله سـبحانه وتعـالى في كتابه العزيـز، ومنهـا مـا جـاء عـن رسـول الله وآل بيته صلـوات الله عليهـم، وعـن الصالحين؛ وفيهـا ثنـاء وتمجيـد، وتنزيـه، وتقديس، ويعـود كلاهما إلى نوعين رئيسـيين مـن الذكر:

الذكـر القلبـي والذكر اللسـاني: بمعنـى ذكـر في القلب يقابلـه ذكر باللسـان. والذي بالقلـب يوصـف عـادةً بالقـوة، أما ذكـر اللسـان فيوصـف بالكثرة؛ ومـا توافقـا فيه فهو

١. سورة آل عمران: ١٣٥.

٢. سورة الذاريات: ٥٥.

٣. سورة الأنعام: ٤٤.

٤. سـورة البقـرة: ١٥٢؛ انظر: مفردات غريـب القرآن، للاصفهـاني ١: ٣٢٨ـ٣٢٩؛ الوجوه والنظائر، لأبي هـلال العسـكري: ٢٢١ـ٢٢٥. ذكـر؛ تفسـير معـالم التنزيـل، البغـوي؛ تفسـير مجمـع البيـان، للطـبرسي الآيـة؛ كتاب الكليـات، لأبي البقاء الكفـوي ١: ٤٥٦؛ الموسـوعة الفقهيـة الكويتية ٢١: ٢٢٠؛ القامـوس الفقهـي لغـةً واصطلاحاً، سـعدي أبـو جيب.

مـن أعظـم العبـادات وأجلّها، نعـم قد يقلُّ الثـواب والأجـر إن لم يتوافق كلّ من اللسـان والقلب.

ويبـدو أنَّ الذكـر بـكلا الأداتين هو الـذي حثَّ اللهُ سـبحانه وتعالى عبـاده على الإكثار منـه بقولـه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَـبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾. يقـول الفـراء: الذِّكْرُ ما ذكرته بلسـانك وأَظهرتـه. والذُّكْرُ بالقلب. يقـال: ما زال مني على ذُكْرٍ أَي لم أَنْسَه.

فالذكـر يـأتي ويُـراد منه ما يجـري على اللّسـان، أي ما ينطق بـه، يقال: ذكرت الشـّيء أذكـره ذِكـراً وذُكـرًا إذا نطقـت باسـمه أو تحدّثـت عنـه، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿**ذِكْـرُ رَحْمَةِ رَبِّـكَ عَبْـدَهُ زَكَرِيَّـا**﴾. أو يُـراد منه اسـتحضار الـشّيء في القلـب، وهو ضدّ النّسـيان.

قال تعالى حكايةً عن فتى موسى: ﴿**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾.

يقـول الشـيخ السـيوري: الذكر يراد به اللّسـاني تـارة والقلبـيّ أخرى، لكـنّ المقصود بالـذات هـو الثـاني، وأمّـا الأوّل فترجمـان للثـاني ومنبّـه للقلب عليـه؛ لكونـه في الأغلب مأسـوراً في يـد الشـواغل البدنيّـة والموانـع الطبيعيّـة، وهـذا هو السـرّ في تكـرار الأذكار والتسـبيحات والتحميـدات وغيرها.

وكـما ذكـر الراغـب في مفرداتـه: الذكـر ذكـران، ذكـر بالقلـب وذكـر باللسـان، وكلّ واحـد منهما ضربـان، ذكر عن نسـيان، وذكر لا عن نسـيان بل عـن إدامة الحفـظ... ومن الذكـر عـن النسـيان قولـه: ﴿... **فَـإِنِّي نَسِـيتُ الْحُـوتَ وَمَـآ أَنْسَـانِيهُ إِلاَّ الشَّـيْطَانُ أَنْ أَذْكُـرَهُ** ...﴾.[1]

ومـن الذكـر بالقلب واللسـان معاً قوله تعـالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُـم مَّنَاسِـكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُـمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَـدَّ ذِكْـراً**﴾، وقوله تعالى: ﴿... **فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْـعَرِ الْحَـرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَـا هَدَاكُمْ**...﴾.

١. سورة الكهف: ٦٣.

الذكـر في قـول القـاضي عياض نوعـان، أحدهما: ذكـر بالقلب، وهو ضربـان: الأول: التفكـر في عظمـة الله تعـالى، وجلاله، وجبروتـه وملكوته، وآياته في سـمواته وأرضه وهو أرفـع الأذكار وأجلها.

الثـاني: ذكـره سـبحانه بالقلـب عنـد الأمـر والنهي، فيمتثـل ما أُمـر به ويُـترك ما نهى عنـه، ويقـف عما أشـكل عليه. الآخـر: ذكر اللسـان مجـرداً. وهو أضعـف الأذكار.

أقـول: إذن فالذكر القلبي والذكر اللسـاني اجتمعـا في الآيتين مورد كلامنـا: ﴿**فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِنـدَ الْمَشْـعَرِ الْحَـرَامِ وَاذْكُـرُوهُ كَمَـا هَدَاكُمْ**...﴾.﴿**فَاذْكُـرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُـمْ آبَآءَكُـمْ أَوْ أَشَـدَّ ذِكْـراً**﴾. وهـو صريـح قـول الراغـب في مفرداته.

القرطبـي: وأصـل الذِّكر التَّنبه بالقلـب للمذكور والتيقظ له. وسُـمي الذِّكر باللسـان ذِكـراً؛ لأنـه دلالـة عـلى الذكـر القلبي غـير أنه لمـا كثر إطـلاق الذكر عـلى القول اللسـاني صار هـو السـابق للفهم.

ومعنـى الآيـة: اذكـروني بالطاعـة أذكركـم بالثـواب والمغفرة قاله سـعيد بـن جبير. وقـال أيضـاً: الذكـر طاعة الله فمـن لم يطعه لم يذكـره وإن أكثر التسـبيح والتهليل وقراءة القـرآن، وروي عـن النبـيّ ﷺ: «مـن أطـاع الله فقـد ذكـر الله، وإن أقلَّ صلاتـه وصومه وصنيعـه للخـير، ومـن عـصى الله فقـد نـسي الله وإن كثّـر صلاتَـه وصومَـه وصنيعَـه للخير». [1]

ويقـول سـيد قطـب: وإن كان ذكـر الله أشـمل مـن الصـلاة، فهـو يشـمل كلّ صورة يتذكـر فيهـا العبـد ربَّـه، ويتصـل بـه قلبـه سـواء جهـر بلسـانه بهـذا الذكـر أم لم يجهـر، والمقصـود هـو الاتصال المحرك الموحـي على أية حـال، وإنّ القلب ليظل فارغـاً، أو لاهياً أو حائـراً حتـى يتصـل بـالله ويذكـره، ويأنس به، فـإذا هو مليء جـاد قار، يعـرف طريقه، ويعـرف منهجـه، ويعـرف من أيـن والى أيـن ينقل خطـاه، ومن هنا يحـضُّ القـرآن كثيراً،

١. الجامع لأحكام القرآن، الآية: ١٥٢ سورة البقرة.

وتحضُّ السنة كثيراً على الكثرة من ذكر الله.[1]

فيما أضاف آخر : ذكر الروح. حتى قالوا: إنَّ للذكر ثلاثة مقامات: ذكر باللسان وهو ذكر العامّة، ذكر بالقلب وهو ذكر خواصّ المؤمنين، وذكر بالروح وهو لخاصّة الخاصّة وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم إلى ذاكرهم ومنّته عليهم.

أما الشعراوي: فقد أضاف ذكر الجوارح، يأتي هذا بعد أن يقول: ذكرُ الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان.

وذكر القلب نوعان: أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها التفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه، وفي أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، ومنه الحديث «خير الذكر الخفي».

والثاني: ذكر بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أُمر به ويترك ما نهي عنه ويقف عما أشكل عليه. وأضيف إلى نوعي الذكر القلبي الذكر بالجوارح، وهو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمّى الله الصلاة ذكرًا فقال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾. وأما ذكر اللسان مجردًا، والمراد به الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد...، فهو وإن كان أضعف الأذكار، لكن فيه فضل عظيم كما جاءت به آيات وأحاديث. ثم الذكر يقع تارةً باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر، وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالًا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالًا، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك

١. سيد قطب، في ظلال القرآن ٥ : ٢٨٧١ .

فهـو أبلـغ الكمال.[1]

وقـد جـاء كثـير مـن الآيـات القرآنيّـة يحـثُّ عـلى ذكـر الله سـبحانه باللسـان في جميع الظـروف والأحـوال والأوضـاع منهـا:

﴿فَـإِذَا قَضَيْتُـمُ ٱلصَّـلَاةَ فَاذْكُـرُواْ اللَّهَ قِيَامـاً وَقُعُـوداً وَعَلَى جُنُوبِكُـمْ فَـإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُـواْ الصَّـلَاةَ إِنَّ الصَّـلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِـينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾. ﴿فـإذا قضيتم الصَّلاة﴾ معنـاه فـإذا فرغتم مـن صلاتكم أيهـا المؤمنون وأنتـم مواقفو عدوّكـم ﴿فاذكـروا الله قياماً وقعـوداً﴾ أي في حـال قيامكم وقعودكـم ﴿وعلى جنوبكم﴾ أي مضطجعين فقولـه: ﴿وعلى جنوبكـم﴾ في موضـع نصب عطفـاً على ما قبله مـن الحـال أي ادعوا الله في هـذه الأحوال لعلَّـه ينصركم عـلى عدوّكم ويظفركم بهم مثل قولـه: ﴿يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُـوا وَاذْكُـرُوا اللَّهَ كَثِـيرًا لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُونَ﴾. عـن ابن عباس وأكثـر المفسرين وقيل: معنـاه فـإذا أردتم الصَّـلاة فصلّوا قياماً إذا كنتم أصحـاء وقعوداً إذا كنتم مـرضى لا تقدرون عـلى القيـام وعـلى جنوبكـم إذا لم تقدروا عـلى القعود عن ابن مسـعود.

وروي أنـه قـال عقيـب تفسـير الآية لم يعـذر الله أحـداً في تـرك ذكـره إلاَّ المغلوب على عقله.[2]

ابـن عاشـور: وذكـر الله، المأمـور به هنـا هو ذكره باللسـان؛ لأنّـه يتضمّن ذكـر القلب وزيادة فإنّه إذا ذكر بلسـانه فقد ذكر بقلبه وبلسـانه، وسَـمِع الذكرَ بسـمعه، وذكَّر مَن يليه بذلـك الذّكـر، ففيه فوائـد زائدة على ذكـر القلب المجرّد، وقرينـة إرادة ذكر اللسـان ظاهرُ وصفـهِ بـ«كثير» لأنّ الذكـر بالقلب يوصف بالقـوة، والمقصود تذكر أنّـه الناصر...[3]

---

١. لسـان العـرب، لابن منظور؛ كنز العرفان، للسـيوري؛ مفردات الراغـب: ١٧٩؛ القاموس الفقهي، سـعدي أبوجيب، ذَكَرَ؛ خواطر محمد متولي الشـعراوي.

٢. تفسير مجمع البيان، للطبرسي: الآية.

٣. التحرير والتنوير، الآية.

ما هو الذِّكر؟

الـذي ورد في القـرآن الأمـر بـه والثنـاء عـلى أهلـه، ومـا رتب عليـه من الجـزاء يطلق عـلى جميع الطاعات الظاهـرة والباطنة، القوليـة والفعلية، فكلُّ ما تصوره القلـب أو أراده أو فعلـه العبـد أو تكلـم به مما يقـرب إلى الله فهو ذكـر الله، والله تعالى شرع العبـادات كلّها لإقامـة ذكـره، فهي ذكـر الله، ويطلق على ذكر الله باللسـان بذكـر أوصافه وأفعالـه والثناء عليـه بنعمـه وتسـبيحه وتكبـيره وتحميـده والتهليـل والصلاة عـلى النبي صلى الله عليه وآله، ومـن ذكره ذكـر أحكامـه تعلّمهـا وتعليمهـا، ولهـذا مجالس التعلـم والتعليم يقـال لها مجالـس الذكر، وأفضـل أنـواع الذكر مـا تواطأ عليـه القلب واللسـان.[1]

وقـد ذكـر المفـسّرون وغيرهـم مقاطـع ومفـردات لمفهـوم الذكر، حتـى عـدّوا التلبية والتهليل والتكبير والتسـبيح والتحميد والتمجيد والثناء والدعوات والتضـرع والشـكر ونحوهـا ذكـراً مبـاركاً، شريطة أن يكـون الذكر ذكـراً لا تُمليه العادة، بل تسـري فيه روح العبـادة، وبالتـالي يحظـى الذاكـر بالبركة والأجـر والقرب من ربِّـه تعالى!

فيـما آخـرون منهم توسـعوا في ذلك، فجعلوا جميع مـا تصوره القلب ونطق به اللسـان ممـا يقـرِّب إلى الله تعـالى مـن تعلّم علـم، وتعليمـه، وأمر بمعـروف ونهى عـن منكر، فهو مـن ذكر الله.

الطريحـي: الذكـر يشـمل الصلاة وقراءة القرآن والحديث و تدريس الصلاة ومناظـرة العلماء.[2]

الشـعراوي في خواطـره: وقيـل: الذكـر هـو الإتيـان بالألفـاظ التـي ورد الترغيب في قولهـا والإكثـار منها مثـل الباقيـات الصالحات وهي: «سـبحان الله والحمـد لله ولا إله إلا الله والله أكـبر» ومـا يلتحق بها من الحوقلة والبسـملة والحسـبلة والاسـتغفار ونحو ذلك،

---

١. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي ٢ : ٣٦٢ .

٢. مجمع البحرين ٢ : ٩٧ .

والدعـاء بخـيري الدنيـا والآخـرة، ويطلق ذكـر الله أيضًا ويـراد به المواظبة عـلى العمل بما أوجبـه أو نـدب إليه كتلاوة القـرآن وقراءة الحديث ومدارسـة العلم والتنفـل بالصلاة... وقيـل: المـراد بذكـر اللسـان الألفاظ الدالـة على التسـبيح والتحميـد والتمجيـد، والذكر بالقلـب التفكـر في أدلـة الـذات والصفـات، وفي أدلـة التكاليف مـن الأمـر والنهي حتى يطلع عـلى أحكامهـا، وفي أسرار مخلوقـات الله.

فضل الذكر :

فضـلاً عـن آيـات قرآنيّـة كثيرة، جـاءت روايـات تُبين فضل ذكـر الله تعالى وتحـثُّ عليه وحتـى يقـع الذكـر موقعـه في تربيـة النفـس، وتظهـر بركاتـه في تهذيبهـا، وثـماره في تقويـم سـلوكها، وزيـادة ارتباطهـا بخالقهـا..، وحتى يتحقـق كلُّ هذا وغـيره الكثـير، تعالوا معنا لنـرى مـا يذكـره الـرازي مـن ترتيـب أو مقدمـات لذلـك:.. إعلـم أنَّ الله تعـالى بـيّن أولاً تفصيـل مناسـك الحجّ، ثمَّ أمـر بعدها بالذكر، فقـال: ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُـم مِّنْ عَرَفَـاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِنـدَ الْمَشْـعَرِ الْحَـرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُـمْ**﴾. ثم بـيّن أنَّ الأولى أن يترك ذكر غيره، وأن يقتـصر عـلى ذكـره، فقـال: ﴿**فَاذْكُـرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُـمْ أَوْ أَشَـدَّ ذِكْرًا**﴾.

ثـمَّ يقـول الـرازي: وما أحسـن هـذا الترتيـب، فإنـه لا بدَّ مـن تقديـم العبادة؛ لكسـر النفـس وإزالـة ظلماتهـا، ثمَّ بعـد العبـادة لابدَّ من الاشـتغال بذكـر الله تعالى لتنويـر القلب، وتجـلّي نـور جلاله، ثـمَّ بعد ذلك الذكر يشـتغل الرجـل بالدعاء، فـإنَّ الدعاء إنـما يكمل إذا كان مسـبوقاً بالذكـر؛ كما حكـي عن إبراهيم عليه السلام أنـه قدّم الذكـر فقـال: ﴿**الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِيـنِ**﴾.[1] ﴿**رَبِّ هَـبْ لِى حُكْمـاً وَأَلْحِقْـنِى بِالصَّالِحِينَ**﴾.[2] فقدم الذكـر على الدعاء.[3]

---

١. سورة الشعراء : ٧٨ .

٢. سورة الشعراء : ٨٣ .

٣. انظر تفسير مفاتيح الغيب : ٢٠١ البقرة .

وأيضاً من فضل الذكر قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾.[1]

تفضّلٌ عظيمٌ وكرمٌ ودودٌ من الله جلَّ جلاله أن جعل ذكره لنا مكافئاً لذكرنا له، فذكر العبد لله تعالى، يؤدّي إلى ذكر الله تعالى لعبده. بمعنى أنَّ ذكر الإنسان لربّه سبحانه، يترتب عليه أنَّ الله تعالى يذكره، فالله يقابله بالذكر حقًّا: «مَن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومَن ذكرني في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خير منه». وشتّان شتّان بين الذكرين!

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «وجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره تعالى إياك، فإنّه ذكرك وهو غني عنك، فذكره لك أجلّ وأشرف وأسنى وأتمَّ من ذكرك له».

ومما قالوه في تفسير هذه الآية :

«أذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي... أذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة»!

«أذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها! أذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة»!

«أذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء! أذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم»!

«أذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ولذكر الله أكبر».

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلونهم ويقتلونكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ذكر الله عزَّ وجلَّ كثيراً».

و روي عنه صلى الله عليه وآله: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنَّه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض».

---

١. سورة البقرة: ١٥٢.

و روي عـن الإمـام عـليٍّ عليه السلام: «أفيضوا في ذكر الله جـلَّ ذكره، فإنَّه أحسـن الذكر، وهو أمـان مـن النفـاق، وبـراءة من النـار، وتذكير لصاحبـه عند كلِّ خير يقسـمه الله جـلَّ وعزَّ وله دوي تحـت العرش».

و عـن الإمـام الصـادق عليه السلام أنّـه قال لما سـئل: «من أكرم الخلـق عـلى الله؟ أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعته».

روى ابـن عبـاس عـن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه قـال: «من عجز عـن الليل أن يكابـده، وجبن عن العـدو أن يجاهـده، وبخل بالمـال أن ينفقه؛ فليكثر ذكـر الله عزَّ وجلَّ».

وروي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أحـبّ الأعـمال إلى الله أن تموت ولسـانك رطب من ذكر الله».[1]

قـال الطيبـي: رطوبة اللسـان عبارة عن سـهولة جريانه، أن يبسـه عبارة عـن ضده، ثم إنَّ جريان اللسـان عبارة عـن مداومة الذكر.[2]

تكرار الذكر:

سؤال صاغه الرازي حول قوله تعالى: ﴿...**فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**...﴾.

فلِمَ قال مرةً أخرى ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾. وما الفائدة في هذا التكرير؟.

ويجيـب الـرازي نفسـه عن هذا السـؤال الذي طرحه في تفسـيره بوجوه تسـعة، وذلك بعـد أن يذكـر أنَّ مذهبنا ـ والـكلام للرازي ـ أنَّ أسـماء الله تعالى توقيفية لا قياسـية. فقوله أولاً: ﴿**أُذْكُـرُواْ اللهَ**﴾ أمـر بالذكـر. وقولـه ثانيـاً: ﴿**وَاذْكُـرُوهُ كَمَـا هَدَاكُمْ**﴾ أمـر لنا بأن

١. بحارالأنـوار، العلامـة المجلسـي ٢٩ : ٧٤ بـاب ٤ ح ١؛ ٩٣ : ١٥٧ ؛ ٧٧ : ٢٩٠ ؛ ٩٣ : ١٦٤؛ الخصـال ٢ : ٥٢٥ ؛ المحاسـن، للبرقـي ١ : ٣٨ ثـواب فضـل ذكـر الله ؛ مجمـع البيـان، للطـبرسي ؛ مفاتيـح الغيـب، للـرازي، سـورة البقـرة : ١٥٢ ؛ سـورة الأحـزاب : ٤٧ .

٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ١ : ٢١٥ .

نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بيّنها لنا وأمرنا أن نذكره بها، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس.

وثانيها: أنه تعالى أمر بالذكر أولاً، ثم قال ثانياً: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة، ونظيره ما أمرهم به من التكبير إذا أكملوا شهر رمضان، فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾.[1]

وقال في الأضاحي: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكم﴾.[2]

وثالثها: أنَّ قوله أولاً: ﴿...فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ...﴾. أمر بالذكر باللسان. وقوله ثانياً: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أمر بالذكر بالقلب.

وتقريره أنَّ الذكر في كلام العرب ضربان: أحدهما: ذكر هو ضد النسيان. والثاني: الذكر بالقول.

فما هو خلاف النسيان قوله: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.[3]

وأما الذكر الذي هو القول فهو كقوله: ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.[4] ﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾.[5]

فثبت أنَّ الذكر وارد بالمعنيين: فالأول، محمول على الذكر باللسان، والثاني: على الذكر بالقلب، فإنَّ بهما يحصل تمام العبودية. ثمَّ يواصل الرازي إجابته، نكتفي ببعضها تلخيصاً:

---

١. سورة البقرة: ١٨٥.

٢. سورة الحج: ٣٧.

٣. سورة الكهف: ٦٣.

٤. سورة البقرة: ٢٠٠.

٥. سورة البقرة: ٢٠٣.

ـ أي اذكروه ذكراً بعد ذكر، كما هداكم هداية بعد هداية ...

ـ أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام، إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة، ثم قال: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام، بل عمّن سواه، فيصير مستغرقاً في نور جلاله وصمديته، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر؛ ولأنَّ هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالثناء عليه، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني، لأنَّ العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى، وهذا مقام شريف ...، ومن أراد أن يصل إليه، فليكن من الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر.

ـ المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنى، وبالثاني: الاشتغال بشكر نعمائه،.. والذكر المرتب على النعمة ليس إلّا الشكر.

ـ لما قال: ﴿...**فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**...﴾ جاز أن يظن أنَّ الذكر مختصٌّ بهذه البقعة وبهذه العبادة، فأزال الله تعالى هذه الشبهة فقال: ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾ يعني اذكروه على كلّ حال، وفي كلّ مكان، لأنَّ هذا الذكر إنما وجب شكراً على هدايته، فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة، فكذلك الشكر يجب أن يكون مستمراً غير منقطع.

ـ الذكر الأول الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء في المشعر، والثاني: التهليل والتسبيح.[1]

أبو حيان: ﴿**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**﴾ هذا الأمر الثاني هو الأول، وكرّر على سبيل التوكيد والمبالغة في الأمر بالذكر، لأنَّ الذكر من أفضل العبادات، أو غير الأول، فيراد

١. تفسير الفخر الرازي: الآية.

بـه تعلقـه بتوحيد الله، أي: واذكـروه بتوحيده كما هداكـم بهدايته، أو اتصـال الذكر لمعنى: اذكـروه ذكـراً بعـد ذكـر... ثـمَّ يقـول:.. والمعنـى: أوجـدوا الذكـر عـلى أحسـن أحواله مـن مماثلتـه لهدايـة الله لكـم، إذ هدايته إياكم أحسـن ما أسـدي إليكـم من النعـم، فليكن الذكـر مـن الحضـور والديمومـة في الغاية حتـى تماثل إحسـان الهدايـة، ولهـذا المعنى قال الزمخشـري: أذكـروه ذكـراً حسـناً كما هداكـم هداية حسـنة... أو بـأن ردّكم في مناسـك حجّكـم إلى سـنة إبراهيـم صلى الله عـلى نبينا وعليه، فـما عامة تتنـاول أنـواع الهدايات من معرفـة الله، ومعرفـة ملائكته وكتبـه ورسـله وشرائعه ...[1]

الزمخـشري: اذكـروهُ ذكـراً حسـناً كـما هداكـم هداية حسـنة، أو اذكـروه كـما علّمكم كيـف تذكرونـه، لا تعدلـوا عنه.[2]

وللشـيخ السـيوري كلام مفيـد أيضـاً حـول تكـرار الذكـر في آيـات هـذا المقطـع ، ولكـن بعـد أن يذكـر أنَّ هذه الآية: ﴿**فَـإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِـكَكُمْ فَاذْكُـرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُـمْ أَوْ أَشَـدَّ ذِكْـرًا**﴾. يحسـن ذكرهـا هنـا متابعـة لنسـق الكتـاب ، ويحسـن أيضاً ذكرهـا بعـد الطواف والسـعي وغيرهما لقولـه: ﴿مَنَاسِـكَكُمْ﴾، وهو جمع مضـاف، فيفيد العمـوم لـكلّ المناسـك، التـي هي أعـمال الحـجّ،... ثـمَّ راح يذكـر فوائد:

ـ لّمـا اشـتدّت عنايـة الله تعـالى بعبيـده بفعـل الأصلح لهـم، وكان اللطـف في ذلك يقع منـه تـارةً ومن العبيـد أُخرى، فـما كان منه فعله بحكمتـه، وما كان منهـم اقتضت الحكمة حضّهـم عليـه وإرشـادهم إلى القيـام به، فلذلك كـرّر الأمـر بالذكر في هـذه الآيات خمس (أربـع) مـرّات، وجعـل محـلّ الذكر الأزمنـة الشـريفة والأمكنـة المنيفة ضمـن العبادات العظيمـة؛ ليكثر لهم الجـزاء، كلّ ذلك إعلاماً بشـدّة العناية بعبيـده، وإلّا فالجناب القدسيّ أعظـم مـن أن يعود إليـه من ذلك نفـع أو ينتفـي عنه ضرر.

---

١. تفسير البحر المحيط، أبوحيان (ت ٧٥٤ هـ) .

٢. تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): الآية : ١٩٨ .

ـ الذكر يراد به اللّساني تارة والقلبيّ أخرى، لكنّ المقصود بالذات هو الثاني، وأمّا الأوّل فترجمان للثاني ومنبّه للقلب عليه؛ لكونه في الأغلب مأسوراً في يد الشواغل البدنيّة والموانع الطبيعيّة، وهذا هو السرّ في تكرار الأذكار والتسبيحات والتحميدات وغيرها.

ـ لا يتوهّم أنّ ذكره تعالى ينقطع بانقطاع المناسك؛ لتعليق الأمر بقضائها، بل هو دائم مستمرّ لا ينبغي للمكلّف أن يغفل عنه، ودلالة مفهوم المخالفة باطلة كما تقرّر في الأصول، وإنّما سبب التعليق ما كانت العرب تعتاده بعد قضاء مناسكها من الوقوف بمنى، وذكر محامد الآباء ومفاخرهم، فأمرهم بالعدول عن ذلك الّذي لا يفيد إلى ما هو المفيد.[1]

من الدرس الفقهي :

لقد استفيد من هذه الآية: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾. دليلاً على وجوب الوقوفين؛ الوقوف في عرفات، والوقوف في المزدلفة، وكلّ واحدة تشكل بقعةً من بقاع مناسك الحج وشعائره، وهو ما استفاده عدد من العلماء؛ فقهاء ومفسرين، فبعضهم ذهب إلى هذا فيما خالفهم آخرون، وبعض ذهب إلى أنَّ الذكر واجب فيما خالفهم بعض آخر وقال بعدم وجوب الذكر... هذا ما نجده فيما تيسر لنا من أقوال نوجزها، وقد نتصرف فيها قليلاً.

الشيخ الطبرسي: ﴿**فإذا أفضتم**﴾ أي دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها﴿**فاذكروا الله**﴾ وفي هذا دلالة على أنَّ الوقوف بالمشعر الحرام فريضة، كما ذهبنا إليه؛ ظاهر الأمر على الوجوب فقد أوجب الله الذكر فيه، ولا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلّا وقد أوجب الكون فيه؛ ولأنَّ كلَّ من أوجب الذكر فيه فقد أوجب الوقوف. وتقدير الكلام فإذا

١. كنز العرفان : الآيات .

أفضتم من عرفات، فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه.

ونوجز كلاماً مفصلاً للفقيه الراوندي في الآية: ﴿**فإذا أفضتم**﴾ يقول: بيّن تعالى فرض الموقفين عرفات والمشعر، أي إذا دفعتم من عرفات بعد الاجتماع بها، فاذكروا الله عند المشعر الحرام. أوجب الله على الحاج كلهم أن يذكروا الله بالمشعر؛ لأنَّ الأمر شرعاً على الوجوب، ولا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلّا وقد أوجب الكون فيه، ففي هذا دلالة على أنّ الوقوف بالمشعر الحرام ليلة العيد فريضة كما ذهبنا إليه... مما يدلّ على أنّ الوقوف بالمشعر الحرام واجب وهو ركن من أركان الحج.

والأمر شرعاً على الايجاب، ولا يجوز أن يوجب ذكر الله فيه إلّا وقد أوجب الكون فيه، ولأنَّ كلَّ من أوجب الذكر فيه أوجب الوقوف... فإن قالوا: نحمل ذلك على الندب، قلنا: هو خلاف الظاهر، ويحتاج إلى دلالة ولا دليل. فإن قيل: هذه الآية تدلّ على وجوب الذكر وأنتم لا توجبونه، وإنما توجبون الوقوف به كالوقوف بعرفة. قلنا: لا يمتنع أن نقول بوجوب الذكر بظاهر هذه الآية. وبعد، فإنَّ الآية تقتضي وجوب الكون في المكان المخصوص والذكر جميعاً، فإذا دلَّ الدليل على أن الذكر مستحب غير واجب أخرجناه من الظاهر، وبقي الآخر يتناوله الظاهر.

وتقدير الكلام: فإذا أفضتم من عرفات، فكونوا بالمشعر الحرام، واذكروا الله فيه. فان قيل: الكون في المكان يتبع الذكر في وجوب أو استحباب؛ لأنه إنما يراد له ومن أجله، فإذا ثبت أنَّ الذكر مستحب فكذلك الكون. قلنا: لا نسلم أنّ الكون في ذلك المكان تابع للذكر؛ لأنَّ الكون به عبادة مفردة عن الذكر والذكر عبادة أخرى، فلا يتبع الكون الذكر كما لا يتبع الذكر لله في عرفات الكون في ذلك المكان والوقوف به؛ لأنَّ الذكر بعرفات مستحب والوقوف بها واجب بلا خلاف.

على أنَّ الذكر لو لم يكن واجباً، فالشكر لله على نعمه واجب على كلِّ حال، وقد أمر الله أن يشكر عند المشعر الحرام، فيجب أن يكون الكون بالمشعر واجباً.

فـإن قيـل: مـا أنكرتم مـن أن يكون المشـعر ليـس بمحـل للشـكر وإن كان محـلاً للذكر، وان عطف الشـكر على الذكر. قلنـا: الظاهـر بخـلاف ذلـك، عطف الشـكر على الذكـر يقتضـي تسـاوي حكمهـما في المحـل وغيره، وليـس في الآيـة ذكر الشـكر صريحاً، ولكن الذكـر الأول عـلى عمومـه والذكر الثاني مفسـر بالشـكر؛ لقرينة قولـه: ﴿**كما هداكم**﴾ فالهدايـة نعمـة واجب الشـكر عليها؛ لأنَّ الشـكر على كلّ نعمـة واجـب. وعـلى هـذا لا تكـرار مسـتقبحاً في الـكلام أيضاً.

أمـا السـيوري فبعـد أن جعـل هذه الآيـة ضمن آيـات في أفعـال الحجّ وأنواعـه وشيءٍ مـن أحكامـه، يقـول: ﴿**فَإِذا أَفَضْتُـمْ**﴾ وأصله أفضتم أنفسـكم، وترك ذكـر المفعول، وفيه دلالـة عـلى وجـوب الكـون بعرفـة، وأنّه مـن فرائض الحـجّ؛ لأنّه سـبحانه أمـر بالإفاضة منـه بقولـه: ﴿**ثُـمَّ أَفِيضُـوا**﴾ وهو يسـتلزم الكـون بـه. ولا خـلاف في وجوبـه لقوله ﷺ: «الحـجُّ عرفـة». وهـو ركـن يبطل الحـجّ بتركـه عمـداً، وواصـل كلامـه عـن ﴿**فَاذْكُرُوا**﴾ قائـلاً: وفيـه دلالة عـلى وجوب الكون بـه كما يقوله أصحابنـا خلافاً للفقهـاء، وذلك لأنّ الذكـر المأمـور بـه عنده يسـتلزم الكـون فيه، فيكـون واجبـاً وهو ركـن كعرفة.

الزمخـشري: وقيـل، فيه دليل على وجـوب الوقوف بعرفـة؛ لأنّ الإفاضـة لا تكون إلّا بعـده. وعـن النبـيِّ ﷺ: «الحـج عرفة، فمـن أدرك عرفة فقـد أدرك الحـج». وقيل، بصلاة المغـرب والعشـاء، ﴿**فَاذْكُرُواْ اللهَ**﴾ بالتلبيـة والتهليل والتكبير والثنـاء والدعوات.

البيضـاوي: ... وفيـه دليل عـلى وجوب الوقوف بهـا؛ لأنَّ الإفاضة لا تكـون إلّا بعده وهـي مأمـور بهـا بقوله تعـالى: ﴿**ثُـمَّ أَفِيضُـواْ**﴾ أو مقدمة للذكـر المأمـور به، وفيـه نظر إذ الذكـر غـير واجـب بـل مسـتحب. وعلى تقديـر أنه واجـب فهـو واجب مقيـد لا واجب مطلـق حتـى تجـب مقدمته والأمـر به غـير مطلق.

﴿**فَاذْكُـرُواْ اللهَ**﴾ بالتلبيـة والتهليـل والدعـاء. وقيـل: بصـلاة العشـاءين. ﴿**عِنـدَ الْمَشْـعَرِالْحَرَامِ**﴾.

أمـا الـرازي، فيقول: الصحيـح أنَّ الآية تدلّ عـلى أنَّ الحصول بعرفـة واجب في الحجّ، وذلـك أنَّ الآيـة دالـة عـلى وجوب ذكر الله عند المشـعر الحـرام عند الإفاضة مـن عرفات، والإفاضـة مـن عرفـات مشروطة بالحصـول في عرفات، ومـا لا يتمّ الواجـب إلّا به وكان مقـدوراً للمكلـف فهو واجـب، فثبت أنَّ الآيـة دالة عـلى أنَّ الحصول في عرفـات واجب في الحجّ.

وتـدلّ الآيـة أنَّ الحصـول عنـد المشـعر الحـرام واجـب، ... وبعـض قـال بركنيتـه... حجتـه الآية نفسـها. وذلك لأنَّ الوقوف بعرفـة لا ذكر له صريحاً في الكتـاب، وإنما وجب بإشـارة الآيـة أو بالسـنة، والمشـعر الحرام فيه أمـر جزم، فيما قـال جمهور الفقهـاء: إنه ليس بركـن، واحتجـوا بقولـه عليه السلام: «الحـج عرفة فمن وقـف بعرفة فقد تـمَّ حجُّه». «مـن أدرك عرفـة فقـد أدرك الحـج، ومـن فاته عرفة فقـد فاته الحـج» وبقولـه: وفي الآية إشـارة إلى ما قلنـا؛ لأنَّ الله تعـالى قال: ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُـم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْـعَرِالْحَرَامِ**﴾، أمـر بالذكـر لا بالوقـوف، فعلم أنَّ الوقوف عند المشـعر الحـرام تبع للذكـر وليس بأصل، وأمـا الوقـوف بعرفـة فهـو أصل؛ لأنـه قـال: ﴿**فَـإِذَا أَفَضْتُم مِّـنْ عَرَفَـاتٍ**﴾، ولم يقل من الذكـر بعرفات.

ثـمَّ يكمـل كلامه فيقـول:.. الفـاء في قولـه: ﴿**فَاذْكُـرُواْ اللهَ عِنـدَ الْمَشْـعَرِالْحَرَامِ**﴾، تـدلّ عـلى أنَّ الذكـر عند المشـعرالحرام يحصل عقيـب الإفاضة مـن عرفات، ومـا ذاك إلّا بالبيتوتـة بالمزدلفـة. أما عن الذكـر فيقول: اختلفـوا في الذكر المأمور به عند المشـعرالحرام، فقـال بعضهـم: المـراد منـه الجمـع بين صـلاتي المغرب والعشـاء هنـاك، والصلاة تسـمّى ذكراً: ﴿**وَأَقِـمِ الصَّـلاَةَ لِذِكْرِى**﴾.[1]

والدليـل عليـه ﴿**فَاذْكُـرُواْ اللهَ عِنـدَ الْمَشْـعَرِالْحَرَامِ**﴾، أمر وهو للوجـوب، ولا ذكر هنـاك يجـب إلّا هـذا، وأمـا الجمهـور فقالـوا: المـراد منـه ذكـر الله بالتسـبيح والتحميـد

١. سورة طه: ١٤.

والتهليـل، وعـن ابن عبـاس أنه نظر إلى الناس في هـذه الليلة وقال: كان النـاس إذا أدركوا هـذه الليلـة لا ينامون.

الآلـوسي: ﴿فَاذْكُـرُواْ اللهَ﴾ بالتلبية والتهليـل والدعاء، وقيل: بصلاة العشـاءين؛ لأنَّ ظاهـر الأمر للوجـوب ولا ذكر واجب ﴿عِنـدَ الْمَشْـعَرِالْحَرَامِ﴾ إلّا الصلاة.

ابـن عاشـور:.. وذكـر الإفاضة مـن عرفات يقتضي سـبق الوقـوف به؛ لأنـه لا إفاضة إلّا بعـد الحُلـول بهـا، وذِكـر عرفات باسـمه تنويـه به يـدلّ عـلى أنَّ الوقوف بـه ركن، فلم يُذكـر مـن المناسـك باسـمه غـير عرفـة والصفـا والمـروة، وفي ذلـك دلالـة عـلى أنهما من الأركان... وذهـب علقمـة وجماعة من التابعـين والأوزاعـي إلى أنَّ الوقوف بمزدلفة ركن مـن الحـج، فمن فاتـه بطل حجّه تمسّـكاً بظاهـر الأمر في قولـه: ﴿فاذكـروا الله﴾.[1]

إذن فوجـوب الوقـوف بالمشـعر وركنيته يسـتفاد مـن ظاهـر الأمر: ﴿فاذكـروا الله﴾. وأمـا عـن جزء الآية الأخـير، المراد مـن الهداية في قولـه تعـالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَـا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُـمْ مِّـن قَبْلِـهِ لَمِـنَ الضَّآلِّـينَ﴾. تعديـداً لعظيم نعمه سـبحانه، وأمراً بشـكرها، وتذكـيراً لهـم بضلالهـم، وليوقفهم على عظيـم هدايته لهـم وإنعامه عليهم؛ جـاءت الآية: ﴿وَاذْكُرُوهُ﴾. ذكراً حسـناً؛ كما هداكم هداية حسـنة لدينه ولقرآنه ولرسـولهﷺ ولمناسـك الحـجّ الإبراهيمـي بعيـداً عمّا أصابها مـن انحـراف... اذكروه ذكـراً يوازي نعمـه عليكم، واشـكروه شـكراً جميـلاً، ولنعم مـا قاله الشـيخ الطبرسي: واذكـروه بالثناء والشـكر على حسـب نعمتـه عليكم بالـهداية، فإنَّ الشـكر يجب أن يكـون على حسـب النعمة في عظم المنزلـة، كـما يجـب أن يكـون عـلى مقدارها لو صغـرت النعمـة، ولا يجوز التسـوية بين من

١. انظـر مجمع البيـان، للطبرسي؛ فقه القرآن، قطـب الدين الراونـدي: ٢٧٧، ٢٨٦ـ٢٨٧؛ كنز العرفان في فقـه القرآن، للشـيخ جمال الدين السـيوري: ٣٠٣ـ٣٠٤؛ الكشـاف، للزمخشـري؛ أنـوار التنزيل وأسرار التأويـل، للبيضـاوي؛ مفاتيـح الغيب، الرازي: الآية، المسـائل: السادسـة والسـابعة والثامنة والتاسـعة؛ روح المعـاني، الآلـوسي؛ التحريـر والتنوير؛ ابن عاشـور: الآية.

عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته. وتقدير الكلام واذكروه ذكراً مثل هدايته إياكم.

﴿وإن كنتم﴾ أي وإنكم كنتم من قبله أي من قبل الهدى، وقيل: من قبل محمدﷺ، فتكون الهاء كناية عن غير مذكور ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن النبوّة والشريعة فهداكم إليه.

الشيخ السيوري: أي اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها... ﴿وَإِن كُنتُمْ مِّن قَبْلِهِ﴾ أي قبل الهداية، أو قبل محمدﷺ ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي الجاهلين بالإيمان والطاعة.

وأما الرازي فيجيب عن المراد من الهداية في قوله: ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾؟ منهم من قال: إنها خاصة، والمراد منه كما هداكم بأن ردّكم في مناسك حجّكم إلى سنة إبراهيمعليه السلام، ومنهم من قال: لا بل هي عامة متناولة لكل أنواع الهداية في معرفة الله تعالى، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وشرائعه.

ويجيب عن الضمير في: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ إلى ماذا يعود؟ والضمير يحتمل أن يكون راجعاً إلى ﴿الْهُدَى﴾ والتقدير: وإن كنتم من قبل أن هداكم من الضالين، وقال بعضهم: إنه راجع إلى القرآن، والتقدير: واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بيّن لكم معالم دينه، وإن كنتم من قبل إنزال ذلك عليكم من الضالين.[1]

و للبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاءالله تعالى

***

١. انظر: مجمع البيان، الطبرسي؛ كنز العرفان، السيوري ١: ٣٠٤؛ مفاتيح الغيب، للرازي: الآية.

ميقاتُ العقيق (٢)

الشيخ جواد الفضلي

تقديم واختيار: محسن الأسدي. [١]

نظراً لما تتبنّاه مجلة ميقات الحجّ من منهجٍ ؛ عنايته بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة .. ، فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به الكتّاب ، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة ، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم ، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك ؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية ؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة ، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي ، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة ؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من أماكن ومواقع ، وما فيهما من شخصيات إيمانية وجهادية وعلمية وأدبية ؛ سجلت مواقف مشهودة في تاريخنا الإسلامي ومراحل دعوته المباركة .. ، وفي بثٍّ كلّ ما يخصُّ فريضة الحج أحكاماً ومواقيت وآداباً ومفاهيم ، ولهذا رأت إدارتها أن لا تغادر دراسةً تاريخيةً ، ولا تتجاوز تحقيقاً ميدانيًّا لميقات العقيق للأستاذ جواد بن الشيخ عبدالهادي الفضلي ، عنوانه :

---

١. محقق و باحثٌ ديني .

من الدمام في ٤/ ٧/ ١٤٤٠هـ ٣/ ٣/ ٢٠١٩م

لما تحمله هذه الدراسة من أهمية تاريخية وجغرافية، وفوائد ميدانية، ومعرفة لهذا الميقات بحدوده وأحكامه، ودوره في فريضة الحج وفي العمرة، حتى عُدَّ واحداً من مواقيت الحج، التي ينبغي الاطلاع عليها بنواحيها المتعددة وأحكامها وآدابها، والتي تبدأ بها فريضة الحج وكذا العمرة، وبالتالي تصحُّ مناسك كلٍّ منهما وأولها الإحرام انطلاقاً من المواقيت، وإن صحّ الإحرام من المسجد الحرام للتوجه إلى موقف عرفات.

ولهذا جاء في ملخّص البحث:

«تُعدُّ معرفة مواقع المواقيت المكانية التي وقَّتها رسول الله ﷺ أحد أهمِّ مسائل الحجِّ؛ فقد أجمع المسلمون على وجوب الإحرام من أحدها؛ فلا يجوز لحاجٍّ أو مُعْتَمِرٍ تجاوزها.

وقد كتب حول مواقعها الجغرافية الكثير من الدراسات التاريخية والتحقيقات الميدانية، ونظراً لتغيّر تلكم المعالم عبر الزمن، فالأفضل قيام الباحثين بإعادة التحقيق بين فينة وأخرى لتكون رافداً للفقهاء في دراساتهم.

ويأتي بحثنا هذا حول ميقات العقيق، الذي وقع حوله خلاف بين فقهاء المسلمين، إن من ناحية التوقيت، أو من ناحية حدوده الذي نأمل أن يكون هو الآخر رافداً من تلكم الروافد».

الكلمات المفتاحية:

ميقات العَقِيق، بَرِيد البَعْث، المَسْلَح، غَمْرَة، ذات عِرْق، أَوْطَاس.

***

... **المنزل السادس والعشرون**: (ذَاتُ عِرْق)، والمسافة بينه وبين (البستان): ٢١ ميلاً.

والجدير بالذكر -هنا- أنَّ الإمام الحربي أفاض بالحديث عن هذا المنزل، فذكر عددًا من الأحاديث الواردة عن النبيﷺ بشأن توقيت ذَاتِ عِرْق، ونقل بعض الأقوال عن أشخاصٍ ذَكَرَ أسماءَهم بشأن موقعها، ونقل كذلك كرامةً حصلت للنبيﷺ في قريةٍ قريبةٍ منها يقال لها قديمًا وحديثًا (رهاط)، وسأوجز ما قاله عن (ذَاتِ عِرْق)، في النقاط التالية:

أولاً: التسمية والموقع:

١. ما ذكره الإمام الحربي بشأن التسمية، هو ما نقله عن عبدالله بن عمر البلخي أنَّه قال: «حدَّثنا عبدالله بن رباح بن الأحوص قال: أخبرني كثير بن يحيى بن سوادة عن أبيه قال: أقبل النبيﷺ حتى أشرف على ثنية مسجد النجد، فصلّى به، وأشرف على قرية ذَاتِ عِرْق، وكان يقال لها (عِرْق ذات)، فسأل عنها، ثمَّ جنَّبَ عنها ولم يدخلها، فسمَّاها رسول اللهﷺ (ذَاتَ عِرْق)، وسار حتى ورد قريةً يقال لها (رهاط)، فوقف ناقته، وضرب عصاه فأنبط عينًا، فهي تسقي الأدنى وادي النخل، برهاط وأثر ناقته في صفاة».[١]

ونقل أيضًا حديثًا آخر عن أبي محمد ابن زمام عن أبيه: «أنَّ ذَاتَ عِرْق سُمِّيت على عِرْق في جبلٍ أبيض، بوادٍ منها يقال له ذات الحل، وكان ذات عِرْق بها في جبل الجاهلية أبيات قليلة، فلما كَثُر الناس حُوِّلت إلى هنا، وكان المهدي بنى بها مسجد المحرم».[٢]

وفي شأن الموقع، نَقَلَ كلامًا عن ابن عُيَيْنَة عن أبيه، قال: «قلتُ لأهل ذَاتِ عِرْق

---

١. مناسك الحربي: ٣٤٩.

٢. م.ن.

مُنْجِـدُون أنتـم أم مُتْهِمُـون؟[1] قالـوا: لا مُنْجِدِيـن ولا مُتْهِمِين، نحن أهـل الغور».[2]

وقد ذكر البكيري الأندلسي هذا القول وأضاف بيت الشعر التالي:[3]

وَنَحْـنُ بِسَـهْبٍ مُـشْرِفٍ غَـيْرِ مُنْجِدٍ وَلَا مُتْهِـمٍ فَالعَـيْنُ بِالدَّمِـعِ تَـذْرِفُ

وقول آخر:

كَأَنَّ المَطَايَـا لَمْ تُنـخْ بِتُهَامَـةٍ إِذَا صَعَـدَتْ مِنْ ذَاتِ عِرْق صُدُورُهَا

ثانيًا: الأحاديث التي ذكرها الإمام الحربي في شأن توقيت (ذَاتِ عِرْق):

لقـد ذكـر الإمام الحربي سـتة أحاديث عـن النبيﷺ بشـأن توقيت ذَاتِ عِـرْق كمكان لإحـرام أهـل العراق، ومنهـا ما يلي:

أ) الحديـث المـروي عـن جابـر: «أنَّ النبـيﷺ وَقَّـتَ لأَهْـلِ العِـرَاقِ ذَاتَ عِـرْق».[4] وذكـر الأسـتاذ الجـاسر في الهامـش تعليـق صاحـب كتـاب (معجم مـا اسـتعجم) قوله: «والصحيـح أنَّـه توقيـت عمـر، وفي خلافتـه افْتُتِحَـتْ العـراق».[5]

ب) الحديـث المـروي عـن عائشـة: «أنَّ النبـيﷺ وقَّـت ذَاتَ عِرْق لأهل العـراق»،[6] وفي الهامـش نقـل المحقِّـق الجـاسر مـا جـاء في كتـاب (وفـاء الوفـاء) للسـمهودي، قـال الأسـدي: «في وصـف طريـق ذَاتِ عِرْق مـن جهة نجدٍ والعـراق: أنَّ بِرْكَـة أَوْطَاس يسرة عـن الطريـق، بائنة عن المحجَّة، وبعدها مسـجدٌ يُقـال إنَّ النبيﷺ صلَّى فيـه، ودون ذات

١. يقصد السائل: هل أنتم من (نجد) أم من (تهامة)؟.
٢. مناسك الحربي :٣٤٧ .
٣. معجم ما استعجم، البكيري الأندلسي١ :٩ـ١٠ .
٤. م.ن.
٥. مناسك الحربي، هامش ص٣٤٧.
٦. م.ن.

عِـرْق بميلـين ونصف مسـجد رسـول الله ﷺ، وهـو ميقـات الإحـرام، وهـو أوَّلُ تِهَامَة، فـإذا صِرْتَ عنـد الميـل الثامن رأيتَ هنـاك بيوتًا في الجبـل، خرابًا يمنة عـن الطريق، يُقال: إنَّهـا ذَاتُ عِـرْق الجاهليـة، وأهـل ذَاتِ عِرْق يقولـون: الجبل كلُّه ذات عِـرْق. وبعض أهل العلـم كان يحـبُّ أن يُحْرِم مـن ذَاتِ عِـرْق الجاهلية».[1]

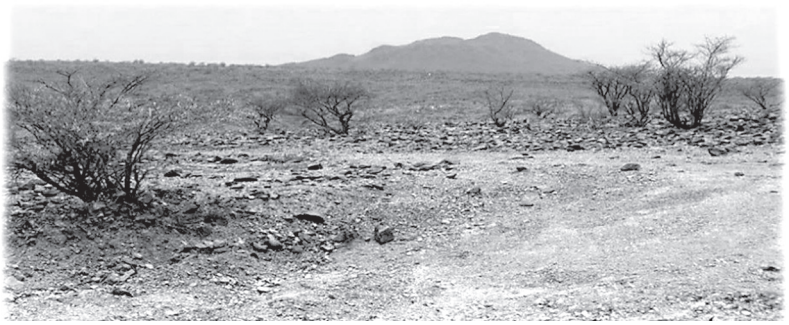

جبل عِرْق

ثالثًا: الكرامات النبوية التي ذكرها الإمام الحربي:

عن يحيى بن سوادة عن أبيه، قال:

«أقبـل النبـي ﷺ حتى أشرف ثنية مسـجد النجـد، فصلَّى بـه، وأشرف على قريـة ذَاتِ عِـرْق، وسـار حتى ورد قريـةً يُقَال لها (رهـاط)، فوقف ناقته، وضرب عصـاه فأنبط عينًا، فهي تسـقي الأدنـى وادي النخـل، برهاط وأثر ناقتـه في صفاة».[2]

١. م.ن.

٢. مناسك الحربي، تحقيق حمد الجاسر: ٣٤٩.

صورة حديثة لقرية رهاط وتبدو مزارع النخيل

المنزل السابع والعشرون: (البستان)، والمسافة بينه وبين (مكَّة)...

وإلى هنا انتهى كلام الإمام الحربي عن طريق الكوفة، والمظنون قويًا أنَّ الكلام عن هذا الجزء وما يليه مفقود.

دوافع تحويل طريق الحجِّ عن قرية البعث:

من البديهي أنَّ أيَّ شخصٍ يقوم بعملٍ مَّا يكون له دافعٌ أو سببٌ من وراء هذا العمل. ربَّما يكون الدافع عفويًا، هذا إذا كان القائم بالفعل شخصٌ عادي، أمَّا إذا كان هذا الشخص حاكمًا لبلادٍ كبيرةٍ وشاسعةٍ، وفي بداية نشوء الدولة وبداية تولِّيه السلطة، فالأكيد أنَّ دوافعه لن تكون عفوية وعادية، وهذا ما حاولت أن أُلخِّصَهُ بالنقاط التالية، والله أعلم:

١. رغبة المنصور الاستحواذ على بِرْكَةِ الماء الرئيسة الواقعة في أوَّل أمكنة الميقات.

٢. رغبة المنصور فرض سيطرته الكاملة على طريق الحُجَّاج العراقيين.

٣. قَطْعُ الطريق على أيِّ تجمُّعٍ للمعارضة قد يستغلُّه الإمام الصادق عليه السلام؛ لأنّه -أي المنصور- كان يعتبره زعيم المعارضة آنذاك.

٤. إظهار المنصور نفسه للناس كشخصيَّةٍ إسلاميَّةٍ متديِّنةٍ ترعى شؤون المسلمين.

ملحوظة:

أعتقد -والله أعلم- أنَّ سبب ذِكْرِ الإمام الحربي بريد البَعْث كمكانٍ يُحْرِم منه بعض الحُجَّاج يعود لكونه من كبار فقهاء بغداد، قبل أن يكون مؤرِّخًا جغرافيًّا، فهو معاصر للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) وتلميذه، والمظنون قويًّا أنَّه كان على علمٍ برأي الشيعة الإمامية حول أوَّل ميقات العقيق، ويظهر من كلامه أنَّه حتى بعد أن حَوَّل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (٩٥-١٥٨هـ) الطريق عن موقع (البَعْث) إلى (المَسْلَح) استمرَّ بعض الحُجَّاج بالإحرام من (البَعْث).

وقوله: «...يقال إنَّ بريد البعث أوَّل بطن العقيق...» فيه إشارةٌ غير مباشرةٍ على إطِّلاعه على صحيحة معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام.

أمَّا قول ابن خرداذبة أنَّ (المَسْلَح) هو ميقات أهل العراق فقط دون الإشارة ولو بكلمة لموضع بريد البَعْث كميقاتٍ خصوصًا وأنَّه سبق الإمام الحربي بالكتابة عن طريق الحاجِّ الكوفي فهذا قطعًا يسترعي انتباه الباحث ويدعوه للبحث والتحليل لمعرفة السبب!.

فإذا عَلِمْنَا أنَّه كان يتقلَّدُ منصب مدير البريد والخبر في بغداد خلال فترة حكم الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ)، وأنَّه قد بدأ في تدوين كتابه (المسالك والممالك) حوالي سنة (٢٣٢هـ)؛[1] فسيزول العَجَب.

١. انظر: درب زبيدة، الدكتور سعد الراشد: ٢٨، دار الوطن للنشر، الرياض.

وأخيرًا:

بعد هذا التطواف مع النصوص التي ذكرها كبار الجغرافيين العرب القدامى والمتأخِّرين؛ بغية معرفة الموقع الجغرافي لـ (بريد البَعْث) قديمًا وحديثًا، باعتباره يمثِّل الموضع الأوَّل من مواضع ميقات العقيق الذي وقَّته رسول الله ﷺ لأهل نجد والعراق، أقول:

من مجمل كلام الإمام الحربي والمؤرِّخين والشعراء حول وادي العقيق بصفةٍ عامَّةٍ، والمواضع التي يُعتقد أنَّها تمثِّل ميقات العقيق، وهي: (بَرِيد البَعْث)، و(المَسْلَح)، و(غَمْرَة)، و(أَوْطَاس)، و(ذَاتُ عِرْق)، يُفْهَمُ عدَّةُ أمورٍ:

١. أنَّ وادي العقيق وادٍ طويلٌ ومتشعِّبٌ، وله روافدُ كثيرةٌ، ويبدأ سَيْلُهُ من وادي السيل الصغير ووادي قران بالقرب من الطائف مارًّا بعددٍ من القرى ليس من بينها (ذات عِرْق) وصولاً إلى قرية حاذة شمالاً.

٢. أنَّ (ذَاتَ عِرْق) -بحسب ما ذكره ابن منظور في لسان العرب- تقع بالقرب من العقيق.

٣. أنَّ (ذَاتَ عِرْق) تقع على ضفاف وادي الضريبة، وليس على ضفاف العقيق.

٤. أنَّ قرية (البَعْث) تقع في أوَّلِ بطن العقيق.

٥. أنَّ (بَرِيدَ البَعْثِ) كانت أوَّل أمكنة الإحرام لأهل نَجْدٍ والعراق.

٦. أنَّ (بَرِيدَ البَعْثِ) كان أحد منازل طريق الحجِّ الكوفي.

٧. أنَّ (بَرِيدَ البَعْثِ) كان قريةً عامرةً، وتضمُّ بِرْكَةً يَغْتَسِلُ منها الحُجَّاج، وفيها قَصْرٌ لعلي بن عيسى.

٨. أنَّ قرية (المَسْلَح) أُنْشِئت في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ).

٩. أنَّ طريق الحاجِّ الكوفي قُلِبَ (حُوِّل) في عهد أبي جعفر المنصور من (بَرِيدِ

البَعْـثِ) إلى قريـة (المَسْـلَح) ، فَهُجِـرَتْ الأولى، وعُمِّـرَت الثانيـة.

١٠. أنَّ (غَمْرَة) كانت محلَّ الإحرام لكثيرٍ من الحُجَّاج.

١١. ومن قول الشاعر أبو وجزة السعدي:

يـا صَاحِبَـيَّ انْظُـرَا هَـلْ تُؤْنِسَـانِ لَنَا بَـين العَقِيْـقِ وَأَوْطَـاسٍ بِأَحْـدَاجِ

وقـول الشـاعر -هنـا- فيـه دلالـةٌ واضحـةٌ أنَّ أَوْطَـاس لا تقـع عـلى العقيـق، وأثناء زيارتنـا لموقـع أَوْطَـاس اتَّضـح لنـا أنَّها تقع عـلى ضفاف وادي سـلحة، وليس عـلى وادي العقيق.

١٢. أنَّ ميقـات ذو الحُلَيْفَـة يُعـدُّ أبعـد المواقيـت عـن مكَّـة المكرَّمـة، ويليـه في البُعْـدِ ميقات العقيـق.

الفصل الثاني

التسمية والموقع حديثًا

وادي العقيق:

يُعْرَفُ حديثًا بـ (عَقِيق عُشَـيْرَة)، وإن كان يشـار له على الخرائط الرسـمية للمملكة بـ (وادي العقيـق)، ويبلـغ طولـه (١١٥ كم)، ومنبعه من السـيل الصغـير بالقرب من الطائـف، ولـه روافـد كثيرة، وقـد أنشـأت الحكومـة السـعودية بِـرَكًا كثـيرة في مجرى سـيول الـوادي وقريبـةً مـن الـبِرَك التـي كانـت قائمـةً عـلى درب الحـاجِّ الكـوفي، كما أنشـأت سـدًّا حديثًـا عـلى الـوادي في فيضـة المَسْـلَح؛ بغيـة اسـتفادة أهـالي المنطقة من مياه السـيول.

أوَّلاً: قرية البَعْث:

تُسَـمَّى المنطقـة التـي يقـع فيها بريـد البعـث حاليًـا (جبال شـعر)، وهذه التسـمية تشـمل منطقـةً واسـعةً جـدًّا؛ بحيـث تشـمل مـكان القريـة قديـمًا، والجبـال والأودية حولها.

وتقع في الشمال الشرقي لقرية (فيضة المَسْلَح) الحالية على مساfة (١٠ كم).

ثانيًا: المَسْلَح أو المَسْلَخ:

لم يبـقَ مـن قريـة المَسْـلَح القديمة سـوى بِرْكَة أبي جعفـر المنصور التـي أُعِيـدَ إحياؤها

مـن قبل الحكومة السـعودية؛ ليسـتفيد منها أهـل المنطقة، وبعض آثـارٍ لبيوتٍ وبِئـرٍ قريبةٍ مـن البِرْكَـة، وتوجـد كذلك مقبرة مسـوَّرةٌ بشـبكٍ حديدي.

وتقع القرية بين أَكَمَاتٍ.[1] سُودٍ على بعد (٣ كم) غرب قرية فيضة المَسْلَح الحالية.

فَيْضَة المَسْلَح:

قريـةٌ حديثـةٌ تقـع بالقرب مـن القريـة القديمـة، بين طريقـي الحـاجِّ العراقـي الكوفي والبـصري، فيمـرُّ الأوَّلُ مـن شرقهـا وجنوبهـا، ويمـرُّ الثـاني من غربها وشـمالها.

ويمكـن الوصـول للقريـة من عدِّة طـرقٍ، جميعهـا مُعَبَّـدةٌ وحديثـةٌ، وتتبـع القرية إداريًّـا محافظـة الطائـف، وهـي تبعـد عـن مدينـة عُشَـيْرَة (٨٦ كـم)، وعـن مفـرق عُشـيرة-المحاني، مسـافة (٢٢ كـم تقريبًا)، وترتبـط القرية كذلك بطريـقٍ معبَّدٍ يصلها بقريـة حاذة.

وعـلى مسـافة (٥ , ١ كـم) شـمال شرق القرية يقع سـدُّ فيضة المَسْـلَح الذي أنشـئ من قبـل الحكومة السـعودية؛[2] للاسـتفادة من مسـيل وادي العقيق.

ثالثًا: غَمْرَة:

تُعْـرَفُ حاليًـا بـ (بِرْكَـة العَقِيق)، ولها مُسَـمَّياتٌ عـدَّة، منهـا: (بِرْكَة البركـة)، و(بِرْكَة زُبَيْدَة).

ذكـر الدكتـور الراشـد قريـة غَمْـرَة، فقـال: «وعـلى مسـافةٍ تُقَـدَّرُ بحـوالي (٣٥ كيلاً)

١. الأَكَمَـة: التَّـلُّ مـن القُفِّ مـن حِجَارَةٍ واحـدةٍ، أَو هـي دونَ الجبالِ، أَو الـمَوْضِعُ يكونُ أَشَـدَّ ارْتِفاعًا ممَّـا حَوْلَه.

٢. دليـل هـواة الرحـلات البريـة في المملكـة العربية السـعودية، الصـادر عن هيـأة المسـاحة الجيولوجية السعودية.

جنـوب المَسْـلَح تقع آثـار إحدى محطَّـات الحجِّ القديمـة، والتـي تُسَـمَّى الآن بالبركة، أو بركـة العقيـق، تقـع المحطَّـة عـلى الضفَّـة الشرقية لـوادي العقيـق الـذي تتجـه مياهه من الشـمال إلى الجنـوب».[1]

أمَّا الآثار الموجودة في الموقع فهي خير شاهدٍ على أنَّ القرية كانت كبيرةً وعامرةً.

ومـن أبـرز معـالم غَمْـرَة الأثريـة التـي لا زالـت قَيْـدَ الاسـتعمال (بركـة العقيـق)، أو (البركـة)، وهـي بحالـةٍ جيِّـدةٍ.

يقـول الدكتـور الراشـد عـن البركـة: «بُنِيَـتْ البِرْكَة عـلى شـكلٍ مربَّـعٍ، ومُدَرَّجة من كافَّـةِ أضلاعها إلى الأسـفل، بحيـث تصبح أبعادها عنـد القـاع (٣٥ × ٣٥م)، بينما تكون عنـد الحافـة (٤٩ × ٤٩م)، ويصـل عمـق البركـة حـوالي (٥ , ٥م)، ويرتفع جـدار البركة الخارجـي حـوالي (٥ , ١م) عـن سـطح الأرض...، وتنتـشر المنـازل السـكنية في منطقـةٍ مرتفعـةٍ إلى الغـرب مـن البركة، وتـدلُّ على أنَّ هذه المحطَّـة كانت مدينةً كبـيرةً في العصور المبكِّرَة».[2]

ووصـف تقريـر المسـح الأثري موقـع غَمْرَة بـما يلي: «الموقـع عبارة عن منحـدرٍ غرب وادي العقيـق الضيِّـق، والـذي لا يزيـد عرضـه عـلى مئـة مـتر، وتقـوم المبـاني والمنشـآت جميعهـا فـوق المنحـدر الغربي، حيـث تتمتَّـع بالحمايـة الطبيعية من السـيول».[3]

وتتبع غَمْرَة إداريًا منطقة مكَّة المكرَّمة.

وتقـع عـلى مفـترق الطـرق المعبَّـدةِ الحديثـةِ (مكـة – المدينـة المنـورة – الطائـف – الريـاض – القصيـم)، وتبعـد عـن محافظـة الطائـف باتجاه الشـمال بنحـو (١١٢ كم)،

١. درب زبيـدة طريـق الحـج مـن الكوفـة إلى مكَّـة المكرمـة، للدكتـور سـعد الراشـد :٢٧٥، دار الوطن للنـشر والإعـلام، الريـاض ١٤١٤هـ.

٢. درب زبيدة، الدكتور سعد الراشد : ٢٧٨، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض.

٣. أطلال، العدد٢ :٦٩ .

وعـن مركـز عُشَـيْرَة (٤٥ كم) شـمالاً، وعلى مسـافة (٤٥ كيلومترًا) شـمال شرق موقع وادي الضريبة.

وتقـع على دائرة عـرض (٢٢°١١،٩٤ , ٢٢) شـمالاً، وخطِّ طـولٍ (٤٠°٤٣،٧١ , ٥٢) شرقًا.

ومـا لفت نظرنا أثنـاء تجوالنا في القرية وجـود قبرين، أحدهما لرجـلٍ، والآخر لامرأة، ويـدلُّ عـلى ذلك الشـاهد الـذي يُوضَعُ على القـبر، فأهل الحجـاز يضعون شـاهدًا واحدًا عـلى القـبر إنْ كان المتـوفَّى رجـلاً، وشـاهدين إنْ كانـت المتوفَّاة إمـرأةً، ويبـدو أنَّ القبرين يعـودان لبعـض الحُجَّـاجِ الذين وافتهـم المنية عـلى الطريق، والقريـة مسـورَّةٌ بالكامل من قبل الحكومة السـعودية.

رابعًا: أَوْطَاس:

أُمُّ خُرْمَان:

يُعـرف جُبَيْـل أُمِّ خُرْمَان حاليًا باسـم (جبـل الزرابة)، وهو في الحقيقـة عبارة عن ثلاثة تـلالٍ صخريـةٍ متجـاورةٍ، وأثنـاء تجوالنا في المنطقـة لاحظنا بقايا أثـر لنُصْبٍ عـلى قِمَمِهَا، ويبـدو لي أنَّ شُـعْلَة النَّـارِ كانت تُوضَعُ عليهـا، ويقابل هذه التلال الثلاثة من جهة الشـمال بِرْكَـةُ ماءٍ قديمةٍ تُسَـمَّى قديمًا وحديثًا (البريكة)، التي أنشـأتها الدولة العباسـية، وبالقرب منهـا توجـد بِرْكَةٌ كبيرةٌ أنشـأتها الحكومة السـعودية، وبين التلال الثلاثـة والبركتين أرضٌ سـهلةٌ منبسـطةٌ وواسـعةٌ، وشرقيّهما على مسـافةٍ ليس بالقصـيرة يمكن رؤية جبـل المنبر، الـذي وُضِـع اسـمه عـلى الخريطـة التي أعدتهـا هيـأة المسـاحة الجيولوجية، وغـرب تلال الزرابـة والبركـة وعـلى مسـافةٍ قريبـةٍ يمكـن رؤية سلسـلةٍ مـن الجبـال متوسِّـطة الحجم تُسـمَّى جبال الزلامة.

أَوْطَاس:

تُعْرَفُ قرية أَوْطَاس حاليًا باسم (حزم الصريم)، وهي عبارة عن أرضٍ واسعةٍ ومنبسطةٍ تقع على ضفَّةِ وادي سَلْحَة بالقرب من جُبَيْل أُمِّ خُرْمَان (الزرابة).

ووصفها تقريرٌ حديثٌ لوكالة الأنباء السعودية كالتالي: «أَوْطَاس، أو ما يُعْرَفُ بجبل (أُمِّ خُرْمَان)، وهي ملتقى حُجَّاج طريقي البصرة والكوفة، وتبعد عن محطة

(الغَمْـرَة) مـا يقارب العـشرة كيلومـترات، وينحـرف الطريق من محطـة (الغَمْـرَة) ناحية الجنـوب الغـربي متجهًا نحـو وادي (الضريبـة)، وطريقها في منطقة خفيفـة التضاريس إلى الغـرب مـن وادي العقيـق وصـولاً إلى بركـة أَوْطَاس التي تعـرف أيضًا ببركـة (البريكة). وأَوْطَـاس تقـع عـلى أحـد أذرع وأكـبر روافـد وادي العقيق وهـو (وادي سـلحة)، الذي ينبـع مـن حـرَّة (بِسْ الأسـفل) المتاخـم لعُشَـيْرَة من الغرب مـرورًا بـوادي الرانـة، وهذه البركـة هـي واحـدة من سلسـلة الـبرك التي حفـرت عـلى درب زبيدة.

الصورة تشير بوضوح إلى موقع أَوْطَاس على ضفة وادي سلحة، وتشير كذلك إلى وادي سلحة كرافد من روافد العقيق

وتقع بِرْكَة (البريكة) بين سهل (ركبة، وحزم الصريم)، وحزم الصريم هو نفسه (أَوْطَاس)، أسماه أهل المنطقة بذلك؛ لكونه شهد قبل قرنٍ من الزمان وفاة عددٍ كبيرٍ من الحُجَّاج، الذين أطلق عليهم أهل المنطقة أهل الطرابيش نتيجة للبرد القارس، وكون المنطقة مفتوحة، وشاسعة وتضاريسها عبارة عن أحجارٍ ناعمةٍ بلون تربة المكان».[1]

ويقول الدكتور الراشد: «إذا اعتمدنا على المسح الأثري المسمَّى (سلحة) يتفق موضعه مع أَوْطَاس، وحدِّدت (سلحة) بأنَّها إلى الشمال الشرقي من الضريبة بحوالي ٢٦ كيلًا، والمسافة بينها وبين بركة العقيق -يقصد غَمْرَة- تقل عن ٢٠ كيلاً».

خامسًا: ذَاتُ عِرْق:

ذَاتُ عِرْق: وهو جبل صغير يُسَمَّى «عِرْق»، يُعْرَفُ حاليًا باسم القرية التي يقع فيها وهي (قرية الضريبة).

يُعبِّر الدكتور سعد الراشد عن الواقع الحالي لذَاتِ عِرْق، فيقول: «والواقع أنَّ ذَاتَ عِرْق لم تَعُدْ معروفةً بهذا الاسم، ويبدو أنَّها خُرِّبَتْ منذ قرونٍ مضت، وقامت بالقرب منها قرية تُسَمَّى (الضريبة)، وهي إلى الجنوب الغربي من بِرْكَة العقيق (الغمرة قديمًا) بحوالي ٤٥ كيلاً».[2]

والقرية التي ذكرها الدكتور سعد تقع في شمال شرق مكَّة، في وادٍ يقال له وادي الضريبة -أحد أودية الحجاز-، وهي الحدُّ الفاصل بين تهامة ونجد، كما ذكر ذلك أغلب المؤرِّخين، والوادي يقع ضمن منطقة جبلية، تبعد عن مكَّة مسافة (٩٢ كم

١. تقرير وكالة الأنباء السعودية، نشر حديثًا على موقعها الإلكتروني، بعنوان: (الطائف ملتقى طرق القوافل ودروب الحجِّ قبل ١٢٧٧ عامًا)، وتاريخ: ١/ ١٢/ ١٤٣٨هـ الموافق ٢٣/ ٠٨/ ٢٠١٧م.

٢. م.ن، الصفحة: ٢٨٣.

تقريبًا)، ويُعدُّ أحد روافد وادي (مر الظهران)، أو ما يُسمَّى حاليًا بوادي فاطمة.

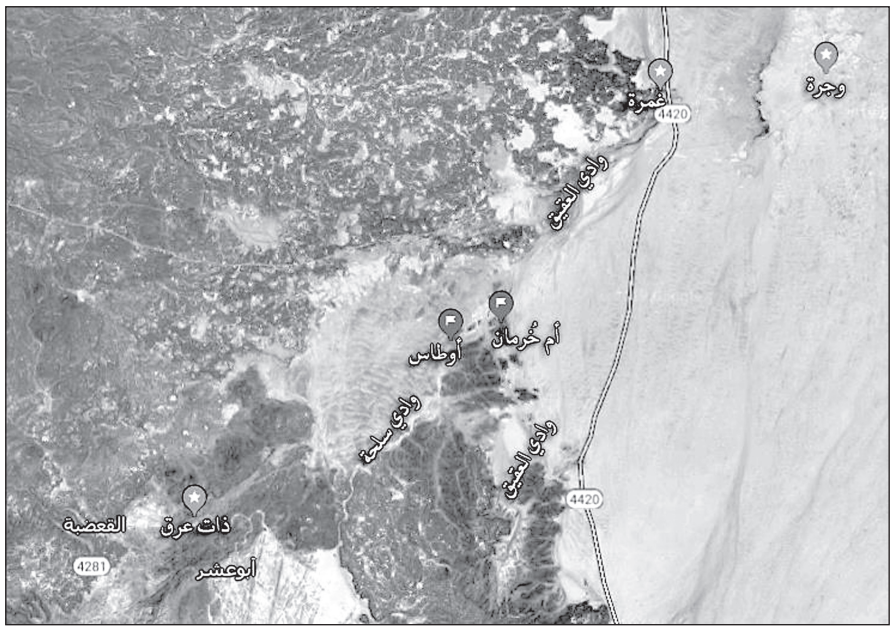

الصورة تشير إلى سير وادي العقيق وهو قادم من قرب الطائف ومتجه إلى غَمْرَة، وتشير كذلك إلى أنَّ ذَاتَ عِرْق وأَوْطَاس لا تقعان على العقيق، فالأولى تقع على ضفة وادي الضريبة، والثانية تقع على ضفة وادي سلحة

ويقول الدكتور عبدالله آل بسام: «وقد قمت بشهر محرم في عام (١٤٠٢هـ) من مكَّة المكرَّمة إلى هذا الميقات ومعي الشريف محمد بن فوزان الحارثي، وهو من العارفين بتلك المنطقة ومن المطلعين على التاريخ، وقصدي بحث طريق الحجِّ من الضريبة إلى مكَّة على الإبل، فوجدت الميقات المذكور شعبًا بين هضاب، طوله من الشرق إلى الغرب ثلاثة أكيال، وعرضه من الجنوب إلى الشمال نصف كيل، ويحدُّه من جانبيه الشمالي والجنوبي هضابه، ويحدُّه من الشرق (ريع أنخل)، ويحدُّه من الغرب وادي الضريبة الذي يصبُّ في وادي مرّ، ويعتبر هذا الميقات من الحجاز، فلا هو من نجد ولا من تهامة، ولكنَّه حجاز منخفض، يكاد يكون حرة فليس فيه جبال عالية، ويقع عنه شرقًا بنحو عشرة أكيال وادي العقيق، ثم يلي العقيق شرقًا صحراء ركبة

الواسعة حيث تبتدئ بلاد نجد.

ويحرم من العقيق الشيعة؛ مخالفةً لعمر الذي جعل ذَاتَ عِرْق ميقاتًا».[1]

وحدَّدت هيأة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية موقع ميقات ذَاتِ عِرْق بقرارٍ صادر عنها «برقم (١٧٧) وتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٤١٤هـ».[2]

١. تيسير العُلّام شرح عمدة الأحكام، عبدالله آل بسام، ص٣٦٢، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١٠، ٢٠٠٦م.

٢. «الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فإنَّ مجلس هيأة كبار العلماء قد اطّلع في دورته الأربعين على الرسالة المقدمة من بعض سكان الضريبة المتضمِّنة طلب بناء مسجد في ميقات ذات عِرْق يكون مَعْلَمًا للميقات، يحرم منه من يمرُّ بهذا الميقات من يريد الحجَّ أو العمرة؛ لأنَّ عدم وجود مسجد في الميقات أدّى إلى تجاوز الميقات من بعض مريدي الحجِّ والعمرة من غير أهل المنطقة قبل الإحرام؛ لعدم وجود ما يرشد إليه، ولأهمية الموضوع ومسيس الحاجة لإيضاح هذا الميقات رأى المجلس تكليف أصحاب الفضيلة: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضوي المجلس، والشيخ عبدالعزيز بن محمد العبدالمنعم الأمين العام للهيأة بزيارة موقع الميقات المذكور، والعناية بتحديده وبيان ما يحتاج إليه من مسجد ومرافقه وقد قاموا بالمهمة وأعدوا التقرير اللازم، وفي الدورة الحادية والأربعين للمجلس المنعقدة في الطائف في الفترة من ١٨/ ٣/ ١٤١٤هـ إلى ٢٩/ ٣/ ١٤١٤هـ. عرض الموضوع واطّلع المجلس على التقرير الذي أعدّه المشايخ الذي نصّه: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أمَّا بعد: فلمَّا كان ميقات (ذَاتِ عِرْق) مدرجًا في جدول أعمال الدورة الأربعين لمجلس هيأة كبار العلماء المنعقدة في الرياض ابتداءً من تاريخ ١٠/ ١١/ ١٤١٣هـ، وقد رأى المجلس -كما ورد في المحضر الأوَّل من محاضر هذه الدورة- تكليف كلاً من: عضوي المجلس الشيخين عبدالله بن عبدالرحمن البسام، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضوي المجلس، وأمين عام الهيأة الشيخ عبدالعزيز بن محمد العبدالمنعم، بزيارة ميقات (ذَاتُ عِرْق) وكتابة تقرير بشأنه يتضمن وصفًا له، وبيان حدوده، وتقديمه للمجلس في دورته الحادية والأربعين.

وانفاذًا لما رأه المجلس توجَّهت اللجنة المكلَّفة بالمهمة في يوم السبت الموافق ١٢/ ٢/ ١٤١٠هـ. إلى ميقات (ذَاتِ عِرْق)، وقد سلكت في ذهابها الطريق الموازي لوادي العقيق المتجه شمالاً من (عُشَيْرَة) إلى بلدة (المحاني)، وعند محاذاتها (ذَاتَ عِرْق) من الشرق تركت الطريق المزفت،

واتجهت غربًا مارةً بوادي العقيق عرضًا مع خط ترابي ممسوح يصلنا بين الطريق المزفت وذَاتِ عِرْق، وقد حسبت المسافة من وادي العقيق إلى ذَاتِ عِرْق فبلغت ثمانية وعشرين كيلومترًا حسب عدَّاد السيارة.

وقد وصلت اللجنة ذَاتَ عِرْق، وتجوَّلت فيها وفيما حولها من وديان ومزارع، ثم كتبت ما انتهت إليه من معلومات وحقائق معتمدة في ذلك على:

أ) ما ذكره بعض أهل العلم من مفسِّرين وفقهاء ومؤرِّخين عن هذا الميقات؛ حيث استعرضت اللجنة وهي في رحلتها قراءة كثير من أقوال أهل العلم في وصف هذا الميقات، وذكر بعض معالمه.

ب) مشاهدة معالم هذا الميقات من أودية وجبال، وتطبيق ما ذكره أهل العلم عليها، لا سيَّما ممَّن كتبوا في وصف طريق الحاجِّ، وأشاروا إلى كثيرٍ من المواضع مع ضبطها بالوصف والمسافات.

ج) الاستعانة ببعض أهل الخبرة من سكَّان تلك الجهة، فقد اتصلت اللجنة بثلاثة من كبار السنِّ من أهل تلك المنطقة، واصطحبتهم معها في جولاتها، ووقوفها على مختلف المعالم من جبالٍ وأوديةٍ وآبارٍ وخرائبَ، وتعرَّفت منهم على أسمائها، وعلى كلِّ ما يعرفونه عنها في القديم عندما كان الحاجُّ يستخدم الأبل في سفره، ويحرم بالنسك من هذا الميقات، وفي الحاضر حيث تغيَّرت وسائل المواصلات، فأصبح الإحرام منه منقطعًا، وذلك من أكثر من أربعين عامًا حيث ذكروا ذلك.

وتوصَّلت اللجنة إلى الحقائق التالية:

أنَّ (عِرْقًا) قمَّةُ جبلٍ مرتفعٍ يتميَّز عمَّا حوله بلونٍ يميل إلى السواد، ممتدٍّ من الشرق إلى الغرب بطول ٢٠٠٠ متر تقريبًا، يحدُّه من الشرق وادي (الحنو)، ومن الغرب وادي (العصلاء الشرقية)، وهذا الجبل هو الحدُّ الجنوبي للميقات.

أنَّ ميقات (ذَاتِ عِرْق) هو عبارة عن ريع -الريع: هو مَسيلُ الوَادِي من كُلِّ مكانٍ مُرْتَفِعٍ- يقعُ بين جبلين، فيه مجرى سيلٍ كبيرٍ متَّجهٍ من الشرق إلى الغرب (وادي الضريبة)، ويتسع هذا الريع في بعض نواحيه ويضيق في نواحي أخرى، ويبلغ اتِّساعه ما بين (٢٠٠-٥٠٠م)، وطوله من الشرق إلى الغرب ألفا مترٍ تقريبًا، ويطلق عليه اسم (الطرفاء)، وفي منتصفه بئر قديمة فيها ماء تُسمَّى (الخضراء)، يحرم عندها من يريد الإحرام من حُجَّاجِ أهل العراق وأهل البلد، أو من يمرُّ بها ممَّن حولها -حسب إفادة المرافقين للجنة من أهل المنطقة- وفي هذا المحدود يوجد خرائب وأساسات مباني قديمة لم يبق منها إلَّا ما هو ملاصق للأرض، وفي غربيِّه شمال مجرى الوادي نثار مقبرة قديمة، وتُغطِّي أشجار السلم والطلح والسمر عامَّةً أرض الميقات.

حدود الميقات: أمَّا حدود هذا الميقات كما وضح للجنة:

فيحـدُّه مـن الـشرق ملتقـى وادي (الحنـو) مـع وادي (أنخـل)، وعنـد مصبِّهـما يتكـوَّن وادي (الضريبـة)، وعنـد ملتقـى هذين الواديـين يبتدئ العِرْق المنسـوب إليـه الميقات، ويوجـد في هذا الحدِّ ثـلاث نصائـب، إحداهـا: في جنوبيه في سـفح (عِـرْق) المذكور عنـد ابتدائه من الـشرق، حيث مجرى وادي (الحنـو)، والثانيـة: فـوق ملتقـى وادي (الحنـو) ووادي (أنخـل) في المثلث الفاصـل بينهما قبيل التقائهـما، والثالثة: في سـفح الجبل الشـمالي المقابل لجبل (عِرْق) من الشـمال، وهـذه العلامات الثلاث ذكـر المرافقـون مـن أهل تلـك الجهة أنَّهـا وضعت منذ حوالي ثلاثين سـنة مـن قبل لجنـةٍ خرجت من مكَّـة؛ بقصـد تحديد الميقـات، ومنع التعـدِّي عليه.

ويحـدُّه مـن الغـرب وادي العصـلاء الشرقيـة المتجه من الجنـوب إلى الشـمال، حيث يصبُّ سـيله في وادي الضريبـة. ويمتـدُّ الحـدُّ الغـربي شـمالًا مسـامته وادي العصـلاء حتى يصل الجبـل المقابل من الناحيـة الشـمالية، ويوجـد مجـرى سـيلٍ متَّجه مـن الجنـوب إلى الشـمال مـوازٍ للعصـلاء الشرقية من الغـرب يدعـى (العصـلاء الغربية)، وبينهـما حوالي خمس مئـة مترٍ، ويصـبُّ سـيله في وادي الضريبة، وقـد وضعـت نصائب من قبل اللجنة السـابقة في الضفة الشرقيـة للعصلاء الغربية، وقـال المرافقون: إنَّ هـذا متجـاوزٌ للحـدِّ، وإنَّما وضعت هـذه الأنصاب؛ لتكون حمًى للميقات، إذْ أنَّ حـدَّ الميقات من الغـرب هـو العصـلاء الشرقية -كـما أوضحناه آنفًـا- لوجـود الآثار شرقيّهـا، ولأنَّ العِرْق المنسـوب إليـه هـذا الميقات ينتهـي عند هـذا الحدِّ.

ونـوصي بـأن يبقى ما بـين العصلاء الشرقيـة والعصلاء الغربيـة حمًى للميقات كـما وضعته اللجنة السـابقة، ولا يسـمح لأحـدٍ بإحيائه أو تملّكه؛ لئـلا يضيق الميقات بالتعـدِّي على حدوده.

ويحـدُّ الميقـات مـن الجنوب قمَّـةُ جبل عِـرْق ابتداءً مـن طرفه الشرقي عنـد مجـرى وادي الحنو إلى طرفـه الغـربي، حيث ينتهـي بمجرى العصـلاء الشرقية.

ويحـدُّه من الشـمال الجبـال المتصلة الواقعة شـمال وادي الضريبة مـن مصبِّ وادي أنخـل في وادي الضريبـة شرقًـا، ممتدًا حتى ملتقـى وادي الضريبة بـوادي العصـلاء الشرقية غربًا.

وطول الميقات شرقًا وغربًا ألفا مترٍ تقريبًا وهو طول العِرْق المذكور.

وعـرض الميقـات يختلـف باختـلاف ما بـين الجبلين ضيقًـا واتِّسـاعًا، ويـتراوح ذلك مـا بين مئتي مـتر وخمـس مئة مـتر، كما سـبقت الإشـارة إليه.

أمَّـا موقـع إقامة مسـجد الميقـات ومرافقه، فـترى اللجنة أن يقام في المتسـع الواقع شـمال شرق بئر (الخـضراء) لتوسّـطه، ولأنَّ جميـع من سـألناهم أجمعوا عـلى أنَّ الإحرام في المـاضي والحاضر هو قرب

هـذه البئـر التي يوجد حولهـا بقية الآبار المندفنـة، والغرف المتهدِّمة، والمقابر في سـفح الجبال الشـمالية الغربية ممَّا يـلي وادي الضريبة.

هـذا مـا توصَّلـت إليه اللجنة فيـما يتعلَّق بميقـات (ذَاتِ عِرْق). ونسـأل الله إصابة الحـقِّ في القول والعمـل، وصـلَّى الله على نبينـا محمد وآله وصحبه وسـلَّم».

ولمزيـد التأكُّـد طلب المجلس حضور الشريف شـاكر بن هـزاع (قائم مقام مكَّة سـابقًا)، واطِّلاعه عـلى تقريـر اللجنـة، ومعرفـة مـا لديه مـن معلومات عـن الميقـات المذكور؛ لما لـه من خـبرة في ذلك، وقـد حـضر عند هيـأة كبار العلـماء في يـوم السـبت الموافـق ٢٥/ ٣/ ١٤١٤هـ، وأفـاد أنَّ مـا تضمَّنه تقريـر اللجنـة موافق لما قرَّرته اللجنة التي شُـكِّلت في عـام (١٣٨٧هـ)؛ لتحديـد (ذَاتِ عِرْق)، وكان عضـوًا فيهـا ووضعـت علامـات حـدود الميقات في ذلـك الوقت التـي لا تـزال باقيـة إلى الآن، وهي نفـس العلامات التـي رأتها اللجنـة التي شـكَّلها المجلس.

كـما قـام كلٌّ مـن عضـوي المجلـس: فضيلة الشـيخ محمد بن سـليمان البـدر، وفضيلة الشـيخ بكر بـن عبدالله أبو زيـد يوم الجمعة الموافـق ٢٤/ ٣/ ١٤١٤هـ بزيارة لميقـات ذَاتِ عِـرْق، وأفادا المجلسَ بأنَّهـما اطَّلعـا عـلى الميقـات ومعالمه، وسـألا عددًا من سـكَان المنطقـة عن الميقـات، واتَّضح لهـما أنَّ ما جـاء في تقريـر اللجنـة -التـي كلَّفها المجلـس- فيه وصفٌ دقيـقٌ لـ(ذَاتِ عِرْق)، يوافـق واقعها على الطبيعـة، وبنـاءً على مـا تقدَّم فـإنَّ المجلس يـرى ما يلي:

أن تهتـمَّ الحكومـة بميقـات ذَاتِ عِـرْق الـذي هـو أحد المواقيـت المكانيـة المعتبرة للحـجِّ والعمرة مـن حيـث المحافظة عليـه، وذلـك بوضع علامـاتٍ واضحـةٍ وبـارزةٍ في بدايتـه من الـشرق، ونهايته مـن الغرب، حسـب الحـدود الموضحـة في تقرير اللجنـة المذكور ضمن هـذا القرار حتـى لا يتجاوزه أحـدٌ ممَّن يريـد الحـجَّ أو العمرة قبـل الإحرام.

يـوصي المجلـس بتكليـف اللجنـة المختصـة بالمبـادرة بإنفـاذ أمـر خـادم الحرمـين الشريفـين ببناء مسـجدِ ميقـاتِ ذَاتِ عِـرْق، وتأمـين مـا يحتاجـه من خدمـاتٍ ومرافـقَ حسـبما صرَّح به معـالي وزير الحـجِّ والأوقاف السـابق، ونشر في جريـدة الجزيرة في عددهـا (٧٤٧٠) الصـادر في ١٩/ ٩/ ١٤١٣هـ.

يقـام المسـجد في المـكان الـذي اقترحته اللجنـة في تقريرها للأسـباب التـي ذكرتها وبـالله التوفيق. وصـلَّى الله عـلى نبينـا محمد وآلـه وصحبه.

انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الجزء الخامس، القسم الأول، (٥ :٢٥١).

مالـك في الموطـأ ١ :٤١٩، والدارقطنـي ٢ :٢٤٤، والبيهقي ٥ :١٥٢. قـال الألباني: ثبت موقوفًا، وانظـر: إرواء الغليل ٤ :٢٩٩.

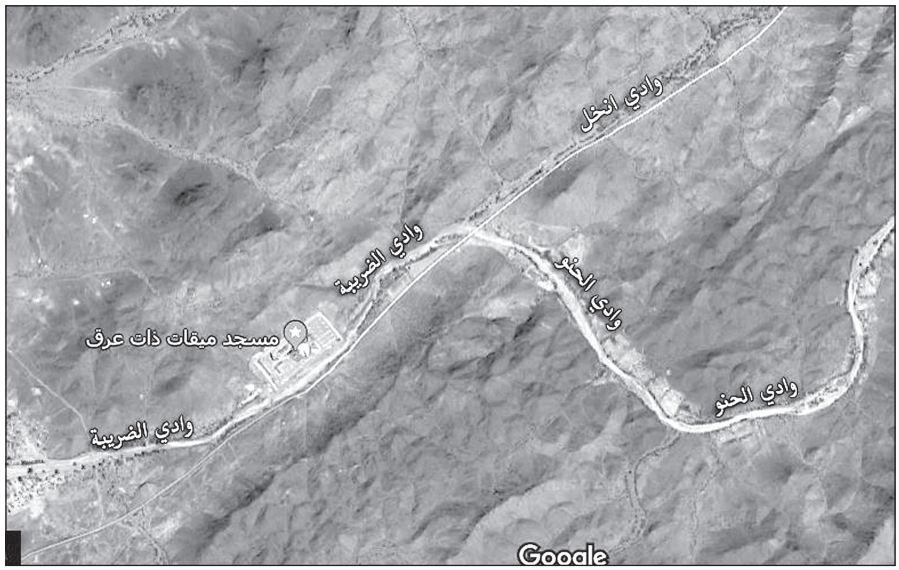

(الصورة تشير بوضوح لوقوع ذَاتِ عِرْق على ضفَّةِ وادي الضريبة وليس على ضفة وادي العقيق)

مسجد الميقات الحديث

جاء في تقرير وكالة الأنباء السعودية المذكور آنفًا: «تقدَّر مساحة المشروع بنحو (٦٥) ألف متر مربع، عملت بنظام صرفٍ لمياه الأمطار والسيول، وحوائط ساندة من الخرسانة المُسَلَّحة بهدف تغطية فروق المناسيب بالموقع العام، إضافةً إلى عمل خزَّاناتِ مياهٍ أرضيةٍ بمساحاتٍ كبيرةٍ، وأخرى علويةٍ ومواقفَ سيَّاراتٍ تتسع لنحو ٦٠٠ سيارة.

ويشمل مشروع ميقات ذَاتِ عِرْق مبنًى للمسجد، يتكوَّن من دورٍ أرضيٍّ بمساحة (٢٧٧٥م)، يتسع لأكثر (٢٧٠٠ مصلٍّ ومصلِّية)، وميزانين بمساحة (٧٥٠م)، يتسع لنحو (٩٠٠) مصلٍّ، والثالث دور القبو بمساحة (٣٢٠٠م)، ويستخدم مواقف سيارات يتسع لنحو (٢٠٠ سيارة)، ويشتمل المشروع على مبنى دورات المياه والمواضئ، بمساحة إجمالية تقدَّر بنحو (٢٥٠٠م)، تحتوي على (٤٥٠) دورة مياه

ومواضـئ، ويشـمل المـشروع أيضًـا عـلى عدد مـن الملاحـق تتضمَّـن مبنى سـكن الإمام والمـؤذِّن، وعـددٍ من المباني للمحـلات التجاريـة، ودور للمرافق الإيواء السـكني، ومبنى إداري، ومبنـى لخدمـة السـيارات وأعـمال صيانتهـا».[1]

صورة حديثة لمسجد ميقات ذَاتِ عِرْق، وهو لايزال قيد الإنشاء، ويقع في وادي الضريبة

حدود وادي العقيق:

يُعـدُّ وادي العقيـق (عقيـق عُشَـيْرَة) مـن الأوديـة العظيمـة والطويلـة والمتشـعِّبة في الحجـاز، وهـو ما دعا المـؤرِّخ الحجـازي (عاتق البـلادي) إلى وصفـه بوادٍ فحـل، أمَّا عن بدايتـه ونهايتـه فيقـول: «يأخـذ أعلى مسـاقط مياهه من شـمال الطائف حيث يسـيل وادي قُـرَّان مـن شـمال حويّـة الطائف، ثـمَّ يتَّجه العقيق مشـمّلاً بـين حرَّتي (بِـسّ).[2] غربًـا، ثمّ

---

١. تقريـر وكالـة الأنباء السـعودية، نُـشِرَ حديثًا على موقعها الإلكـتروني، بعنوان: (الطائـف ملتقى طرق القوافـل ودروب الحج قبـل ١٢٧٧ عامًا)، وتاريخ ١/ ١٢/ ١٤٣٨هـ الموافق ٢٣/ ٠٨/ ٢٠١٧م.

٢. حـرّة: هـي امتـداد حـرّة الحجـاز العظيمـة وآخرها مـن الجنـوب الشرقي، تشرف عـلى بلدة عُشَـيْرة شـمال الطائـف عـلى (٤٠ كيـلاً تقريبًـا)، تـشرف عـلى البلدة مـن الشـمال، يطيـف بهـا وادي (عقيق عُشَـيرة) مـن الجنـوب والـشرق، وكلُّ مياههـا فيـه، وهمـا حرَّتـان متصلتـان، بـس الجنوبيـة، وبـس الشـمالية، بينهـما وادٍ يصـبُّ شرقًـا في العقيق، وسـكَّانها اليوم من عتيبـة. (انظر: معجم معـالم الحجاز ١ :٢٢٠، ط١).

حـرّة الروقـة وحـرّة كشـب شرقًـا، حتى يدفـع في قـاع حاذة جنـوب مهـد الذهب».[1]

فبدايـة وادي العقيق أو منابعه تكون: من السـيل الصغير ووادي قُرَّان شـمال الطائف، ونهايتـه أو مصبّه، يكون: في قـاع قرية حاذة.

وكان النـاس يظنُّـون أنَّ العقيق يصـبُّ في المدينة المنـورة، إلَّا أنَّ المـؤرِّخ عاتق البلادي رأى أنَّ أقـصى مـا قد يصـل إليه سـيل وادي العقيق هي سـبخة أرن.[2]

الطرق المؤدِّية لميقات العقيق حديثًا:

توجد عدَّةُ طرقٍ يمكن الوصول عبرها لميقات العقيق:

أولاً: على طريق الطائف – الرياض السريع:

- الانطلاقـة تكـون من مركز مدينـة الطائف، ثمَّ السـير على طريق الرياض السـريع لمسـافة (٧٥ كـم)، ثـمَّ الانعطاف جهة اليسـار عند مفرق عُشَـيْرَة، ومن المفرق السـير على طريـق (عُشَـيْرَة – المحـاني)، مسـافة (٦٥ كـم تقريبًـا)، ثـمَّ الانعطـاف جهـة اليسـار عند مفـرق قريـة (مدركـة)، وعـلى بُعْـدِ أقـلٍّ من نصـف كيلومتر مـن المفرق تقـع قريـة غَمْرَة (بركـة العقيق).

- أمَّـا وَجْـرَة (بِرْكَـة الخرابـة) فيمكـن الوصـول لها عبر نفـس الطريـق، ولكن قبل مفـرق مدركـة بأقل مـن ألفي متر الانعطاف جهة اليمين، وعلى مسـافة تسـعة كيلومترات تقريبًـا تقع بِرْكَـة الخرابة، والتـي تُعدُّ من أجمـل البِرَك.

- وأَمَّـا مـن يريـد الوصـول لقريـة المَسْـلَح فعليـه السـير عـلى طريـق (عُشَـيْرَة –

١. معجـم معـالم الحجـاز، عاتق بن غيـث البـلادي ٦ : ١٢٨ـ١٣٦، دار مكَّة للنشر والتوزيع، ط١، سـنة ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

٢. انظر: الخريطة الجغرافية، والصورة الفضائية المرفقتين.

المحاني) لمسافة (٧٥ كم تقريبًا) وصولاً لمفرق المَسْلَح، ثمَّ الانعطاف يمينًا، والسير لمسافة (٢٢كم) وصولاً لقرية فيضة المَسْلَح، وعندها ينتهي الطريق المعبَّد.

- وعلى بعد (٣ كم) من جهة الجنوب الغربي لقرية فيضة المَسْلَح تقع قرية المَسْلَح.
- وعلى بعد (١٢كم) من جهة الشمال الشرقي لقرية فيضة المَسْلَح تقع قرية البَعْث.

ثانيًا: على طريق الطائف – مكة (المار بالسيل الكبير):

- من مفرق الزيمة مرورًا بقرى القفيف وأبو عشر.
- وصولاً لمفرق المَسْلَح على طريق (عُشَيْرَة – المحاني).
- ثمَّ إلى قرية فيضة المَسْلَح، ومنها إلى قرية المَسْلَح وقرية البَعْث.

ثالثًا: على طريق جدَّة – الطائف (المار بهدى الشام):

- من شمال جدَّة وعلى طريق عسفان مرورًا بالقرى التالية: (هدى الشام، مدركة، رهاط).
- وصولاً لمفرق المَسْلَح على طريق (عُشَيْرَة – المحاني)، ثمَّ إلى قرية فيضة المَسْلَح، ومنها إلى قرية المَسْلَح وقرية البَعْث.

رابعًا: على طريق جدة – الطائف (المار بالجموم):

- إمَّا من مفرق الزيمة إلى فيضة المَسْلَح.
- أو على طريق هدى الشام وصولاً لطريق (عُشَيْرَة – المحاني) إلى فيضة المَسْلَح.

خامسًا: على طريق المدينة – مكَّة السريع:

- من مفرق مهد الذهب إلى مدينة المهد.

- ومن ثمَّ السير على طريق (عُشَيْرَة – المحاني) إلى المَسْلَح.

سادسًا: على الطريق الحديث الرابط بين القصيم ومكَّة (قيد الإنشاء):

وحسب ما هو معلن فإنَّه سيمرُّ بذَاتِ عِرْق.

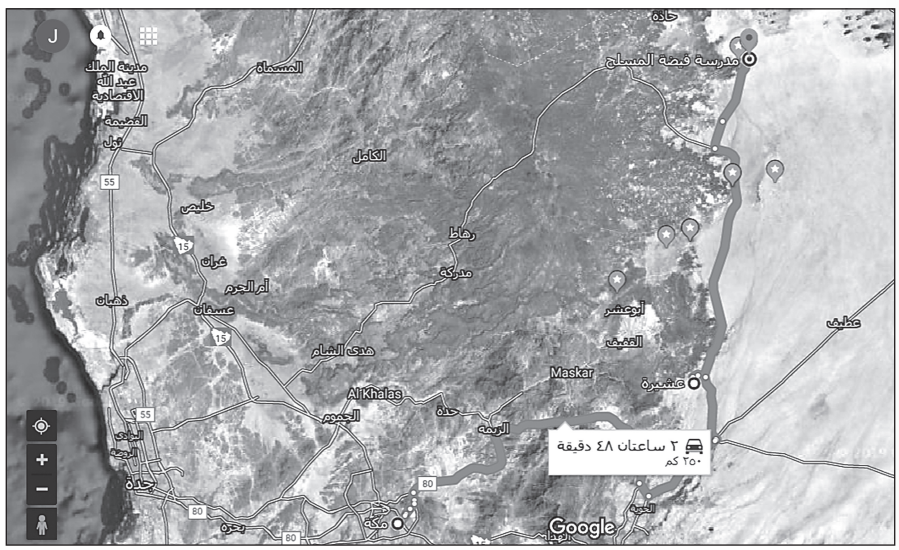

الطريق من مكة إلى فيضة المَسْلَح

الفصل الثالث:

أدلَّةُ شرعيَّةِ ميقات العقيق

لا خِـلَافَ بـين فقهـاء الإمامية عـلى أنَّ العقيـق (عَقِيق عُشَـيْرَة) هو ميقـات أهل نجد والعراق.

نعـم، بـدا ثمَّة خلاف حول: هـل وادي العقيـق بأكمله هو الميقات بحسـب الروايات الكثـيرة التـي صرَّحت بذلك؟، أم بطنه هـو الميقات، كـما ورد في صحيحة معاوية؟.

وأيًا يكن؛ فإنَّنا نستطيع أن نلخِّص شرعية الميقات بالتالي:

أ. اتفاق فتوى فقهاء الإمامية.

ب. النصوص الشرعية.

ج. السيرة العملية القطعية المتصلة بعصر التشريع.

فتاوى الفقهاء:

أفـاد فقهـاء الإمامية في فتاواهم التي اسـتفادوها مـن الروايات الشريفة عـن أئمة أهل البيـت عليهم السلام، وفيما يلي نسـتعرض بعـض النماذج من هـذه الفتاوى:

- ففـي (فقـه الرضـا)،[1]: «وَقَّـتَ لأهـل العـراق العَقِيـق، وأَوَّلُه المَسْـلَح، ووسـطه غَمْـرَة، وآخـره ذَاتُ عِـرْق، وأوَّلـه أفضل».

١. الينابيع الفقهية، علي أصغر مروارید، دار التراث والدار الإسلامية، بيروت، ٧: ٤.

● وفي (المُقنع)،[1] و(الهداية)،[2]: «وَقَّتَ لأهل العراق العَقِيق، وأَوَّلُ العَقِيق المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق».

● وفي (المقنعة)،[3] و(المسائل الناصريات)،[4] و(المراسم)،[5] وفي (الجمل)،[6] و(الكافي في الفقه)،[7]: «وَقَّتَ لأهل العراق بَطْنَ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق».

● وفي (النهاية)،[8]: «وَقَّتَ لأهل العراق، ومَنْ حجَّ على طريقهم: العَقِيق، وله ثلاثة أوقات: أَوَّلُهُ المَسْلَخ وهو أفضلها، ولا ينبغي أن يُؤَخِّرَ الإنسانُ الإحرامَ منه إلَّا عند الضرورة، وأَوْسَطُهُ غَمْرَة، وآخِرُهُ ذاتُ عِرْق، ولا يجعل إحرامَهُ من ذَاتِ عِرْق إلَّا عند الضرورة والتقيَّة، ولا يتجاوز ذَاتَ عِرْقٍ إلَّا مُحْرِمًا على حال».

● وفي (اللمعة)،[9]: «والعَقِيقُ وهو وادٍ طويلٌ يزيدُ على بريدين للعراق، وأفضله المَسْلَخ وهو أَوَّلُهُ من جهة العراق، ورُوِيَ أنَّ أَوَّلَهُ دونه بستة أميال، وليس في ضبط المَسْلَخ شيء يعتمد عليه».

● وفي (كشف الغطاء)،[10]: ذكر الشيخ جعفر كاشف الغطاء شيئًا من التفصيل،

---

١. م.ن، :٢٠.

٢. م.ن، :٤٨.

٣. م.ن، :٦٩.

٤. م.ن، :١٣٥.

٥. م.ن، :٢٣٩.

٦. م.ن، :١٠٤.

٧. م.ن، :١٥٠.

٨. م.ن، :١٧٤.

٩. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، للشهيد الأول، انتشارات دار التفسير، قم، :٢٥٨ .

١٠. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرَّاء، للشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي فرع خراسان، ٤ :٥٤٠ .

فـيرى أنَّ العَقِيـق ميقاتٌ لأهل نَجْـدٍ والعراق، إلَّا أنَّه قسَّـمَهُ على أربعـة مواضع، أحدها: بريـد البَعْث، والمَسْـلَح (المراد بـه أوَّل العَقِيق)، وغَمْـرَة، وذَاتُ عِرْق.

- وفي (الفتـاوى الواضحـة): «وادي العَقِيق، وهذا الميقات له أجزاءٌ ثلاثةٌ: المَسْـلَخ، وهـو اسـمٌ لأوَّلِـهِ. والغَمْرَة، وهو اسـمٌ لوسـطِهِ. وذَاتُ عِرْق، وهو اسـمٌ لآخِـرِهِ. ويُقَدَّرُ بعـد آخِـرِهِ عن مكَّة المكرَّمـة بحوالي أربعة وتسـعين كيلومـترًا -على ما قيـل-، والأَحْوَطُ وُجُوبًـا أن يُحْـرِمَ المُكَلَّـفُ قبل أن يصـلَ إلى ذَاتِ عِـرْقٍ فيما إذا لم تمنعه عـن ذلك تَقِيَّة».

العقيق في النصوص الروائية:

١. صحيحـة أبي أيـوب الخـزاز، قـال: قلـت لأبي عبـدالله عليه السلام: حَدِّثْنـي عـن العَقِيق، أَوَقْـتٌ وَقَّتَـهُ رسـول الله صلى الله عليه وآله أو شيءٌ صنعه النـاس؟، فقال: إنَّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وَقَّتَ لأهل المدينـة ذا الحليفـة، ووَقَّـتَ لأهـل المغـرب الجحفة، وهـي عندنا مكتوبـة مهيعـة، وَوَقَّتَ لأهـل اليمـن يَلَمْلَم، وَوَقَّـتَ لأهل الطائف قَـرْنَ المنـازل، وَوَقَّت لأهل نَجْـدٍ العَقِيق وما أَنْجَدت».[1]

٢. صحيحـة معاويـة بـن عمار، عـن أبي عبـدالله عليه السلام قال: «مـن تَمَام الحـجِّ والعمرة أن تُحْـرِمَ مِـنَ المَوَاقِيـتِ التـي وَقَّتَهَـا رسـول الله صلى الله عليه وآله، لا تُجَاوِزْهَـا إلَّا وَأَنْتَ مُحْـرِمٌ، فَإنَّـه وَقَّتَ لأهـلِ العِـرَاقِ -ولم يكن يومئذٍ عـراق- بطنَ العقيقِ مـن قِبَلِ أهل العـراق، ووقَّتَ لأهلِ اليمـنِ يَلَمْلَـم، ووقَّـتَ لأهل الطائف قـرن المنازل، ووقَّـتَ لأهل المغـرب الجحفة، وهي مهيعـة، ووقَّـتَ لأهل المدينة ذا الحليفـة، ومَنْ كَانَ منزلـه خَلْفَ هذه المواقيـت مِمَّا يلي مكة فَوَقْتُهُ منزِلُه».[2]

٣. صحيحـة أبـو حسـن الحلبـي، قال: قـال أبـو عبـدالله عليه السلام: «الإحرام مـن مواقيت

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي ١١ : ٣٠٧، باب المواقيت، ب١، ح١.
٢. م.ن، ح٢.

خمسة وَقَّتَهَا رسول الله ﷺ لا ينبغي لحاجٍّ ولا لمعتمرٍ أن يُحْرِمَ قبلها ولا بعدها، وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة، وهو مسجد الشجرة يصلّى فيه ويفرض الحجّ، ووَقَّتَ لأهل الشام الجحفة، ووَقَّتَ لأهل نجد العَقِيق، ووَقَّتَ لأهل الطائف قرن المنازل، ووَقَّتَ لأهل اليمن يَلَمْلَم، ولا ينبغي لأحدٍ أن يرغب عن مواقيت رسول الله ﷺ».[1]

٤. صحيحة علي بن رئاب قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الأوقات التي وَقَّتَهَا رسول الله ﷺ للناس، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة وهي الشجرة، ووَقَّتَ لأهل الشام الجحفة، ووَقَّتَ لأهل اليمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق».[2]

صحيحة علي بن جعفر عن أخيه عليهما السلام: «أمَّا أهل الكوفة وخراسان وما يليهم فمن العقيق».[3]

٥. صحيحة عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «وَقَّتَ رسول الله ﷺ لأهل المشرق العقيق نحوًا من بريدين، ما بين بريد البَعْث إلى غَمْرَة، ووَقَّت لأهل المدينة ذو الحليفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل اليمن يَلَمْلَم».[4]

والذي يفهم من النصوص الشريفة، أمران:

الأوَّل: أنَّ العقيق بأكمله هو الميقات.

الثاني: أنَّ بطن العقيق هو الميقات، وليس العقيق بأكمله.

ولحلِّ الإشكال الأوَّل لا بدَّ لنا من الرجوع للتالي:

---

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي ١١ : ٣٠٨، باب المواقيت، ب١، ح٣.

٢. م.ن، ١١ :٣٠٩، باب المواقيت، ب١، ح٧.

٣. م.ن، ١١ : ٣٠٩، باب المواقيت، ب١، ح٥.

٤. م.ن، ١١ : ٣٠٩، باب المواقيت، ب١، ح٦.

أ. النصوص الشرعية المشتملة على لفظ (بطن).

ب. المعاجم اللغوية.

ج. أهل المنطقة؛ لمعرفة مرادهم من قول: (بطن العقيق)، أو (بطن الوادي)؛ باعتبار أنَّ العقيق أحد أودية الحجاز، وكثيرًا ما يستعمل هذا التعبير في حديثهم الدارج، وفي أدبياتهم، قديمًا وحديثًا.

الاستعمال القرآني لكلمة (بطن):

ورد ذكر كلمة بطن ومشتقاتها في عددٍ غير قليل من آي القرآن الكريم، وفي أكثر من معنًى، ومنها:

١. قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، [الحديد: ١٣].

بمعنى: الجهة.

٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، [الأنعام: ١٥١].

بمعنى: السر.

٣. وقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

بمعنى: المعرفة.

٤. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾، [الفتح: ٢٤].

بمعنى: المكان.

٥. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، [الحديد: الآية ٣].

بمعنى: العلم والقرب.

٦. قوله ﷺ: «وَارْمِهَا مِنْ بَطْنِ الوَادِي»، في موضوع رمي الجمار بمنى.

بمعنى: أسفل؛ لأنَّ الجمرة -سابقًا- كانت تقع عند سفح الجبل، ويبدو أنَّ بعض الحُجَّاج كان يرميها وهو على سفح الجبل، أي أنَّه كان يرميها من أعلى.

استعمال كلمة (بطن) في الأدب العربي:

قال الأعشى:

جَازِعَاتٍ بَطْنَ العَقِيقِ كَمَا تَمْـ ... ـضِي رِفَاقٌ أَمَامَهُنَّ رِفَاقُ

ويقال: جَزَعْتُ الوَادِيَ: إذا قطعته عَرْضًا.[1]

وقال عبدالسلام بن يوسف:

عَلَى سَاكِنِي بَطْنَ العَقِيقِ سَلَامُ ... وَإِنْ أَسْهَرُونِي بِالْفِرَاقِ وَنَامُوا

وقال ثور بن سلمة في رثاء أخيه:

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجَاوِرِي ... مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ

وقال عدي بن زيد:

سَقَى بَطْنَ العَقِيقِ إِلَى أُفَاقٍ ... فَقَاثُورٍ إِلَى لَبَبِ الكَثِيبِ

كلمة (بَطْن) في معاجم اللغة:

وكما وردت كلمة (بَطْن) في القرآن الكريم بأكثر من معنًى؛ فكذلك في المعاجم اللغوية لها أكثر من معنًى، ومن تلكم المعاني: خلاف الظهر، ووسط الشيء، وداخل الشيء، وما خفي من الأمر...، إلخ.

- **قال ابن منظور في لسان العرب:**

بَطَنَ الوَادِيَ: دَخَلَهُ، بَطَنْتُ الوَادِيَ: دَخَلْته. واسْتَبْطَنَ الوَادِيَ: جَوَّلَ فِيهِ،

١. صحاح العربية للجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري، مادة (جزع).

واسْـتَبْطَنْتُ الـشَّيءَ وتَبَطَّنْـتُ الـكَلَأَ: جَوَّلْـتُ فِيـهِ.

والبُطْنُ: مَسَايِلُ المَاءِ في الغَلْظ. والظَّهْرُ من الأَرْضِ: ما غَلُظَ وارْتَفَعَ.

والبَطْن من الأرض: ما لَانَ مِنْهَا وسَهُلَ وَرَقَّ واطْمَأَنَّ».[1]

- **وفي مفردات غريب القرآن:**

البَطْـنُ: «خـلاف الظهـر في كلِّ شيءٍ، ويقـال للجهـة السـفلى: بَطْن، وللجهـة العليا: ظَهْـر، وبه شـبِّه بَطْـنُ الأمـر، وبَطْنُ الـوَادِي».[2]

- **وفي تاج العروس:**

«والبَطِيحَـةُ والبَطْحَـاءُ والأَبْطَحُ، وهذه الثَّلاثةُ ذَكَرها الجوهريُّ وغيرُه: مَسِـيلٌ وَاسِـعٌ فيه دُقـاقُ الحَصَى.

وعن ابن سيده: قيل: بَطْحَاءُ الوَادِي: تُرَابٌ لَيِّنٌ مِمَّا جَرَّتْهُ السُّيُولُ.

وقال ابن الأَثير: بَطْحَاءُ الوَادِي، وأَبْطَحُهُ: حَصَاهُ اللَّيِّنُ في بَطْنِ المَسِيلِ.

ومنه الحديث: «أَنَّه صَلَّى بالأَبْطَحِ»، يَعنِي أَبْطَحَ مَكَّة. قال: هو مَسِيلُ وَادِيهَا.

وعن أَبي حَنِيفة: الأَبْطَحُ لا يُنْبِتُ شيئًا، إِنّما هو بَطْنُ المَسِيلِ.

عـن النَّـضْر: الأَبْطَـحُ: بَطْنُ التَّلْعـةِ والوَادِي، وهـو البَطْحَـاءُ، وهو التُّرَابُ السَّـهْلُ في بُطُونِهَـا مِمَّا قـد جَرَّتْهُ السُّـيُولُ.

يقـال: أَتَيْنَـا أَبْطَـحَ الـوَادِي فنمْنَا عليـه. وبَطْحَـاؤُهُ، مثلُه، وهـو تُرَابُه وحَصَاهُ السَّـهْلُ اللَّيِّنُ».[3]

---

١. لسان العرب: مادة (بطن).

٢. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.

٣. تاج العروس: مادة (بطح).

استعمال أهل الحجاز لجملة (بطن العقيق):

كثيرًا ما يستعمل أهل الحجاز جملة «بَطْن العَقِيق»، ومرادهم بها: المَكَانُ الوَاسِعُ القَرِيبُ مِنْ مَسَايِلِ المَاءِ الصَّالِحِ لِلمَرَاحِ والصَّلَاةِ.

فعندما يقول أحدهم: «أَمْرَحَ عِنْدِي» فهو يقصد بها (نَامَ عِنْدِي)، وعندما يقولون: «مَرَاح الإِبِل» فيعنون بالكلمة (مَبِيتُ الإِبِل).

وعادةً ما يكون عدد أفراد قوافل الحُجَّاجِ غير قليلٍ، وإبلهم كثيرة؛ فهم بحاجةٍ لمكانٍ واسعٍ ومريحٍ؛ ليؤدُّوا فيه الصلاة والمبيت.

وقطعًا لا يعنون بجملة بَطْن الوَادِي (داخل الوادي أو وسط الوادي) كمكانٍ للرَّاحَةِ والمَبِيت؛ لأنَّ أخطر الأمكنة في الأودية هي بطونها، فلذلك تراهم دائماً ينصحون بعضهم البعض بتجنُّب بطون الأودية، ويعنون بها مجرى السيول.

وينصح الدكتور عبدالله المسند (أستاذ الجغرافيا بجامعة القصيم) في تغريدةٍ له

عـلى موقعه في شـبكة التواصل الاجتماعـي أهل البادية بقوله: «لا تتخذوا بطـون الأودية مَسْـكَنًا ولا مُسْـتَوْطَنًا... لا للإنسـان ولا للحيـوان، وأهيب بأهل الحـلال إخراج حلالهم مـن بطون الأوديـة، والمنخفضات، ولا تكونـوا كنبتة رجلة، تنبت في بطـن الوادي، قالت العـرب: «أحمق مـن رجلة».[1]

الصورة لأحد بطون الأودية، ويظهر فيها السيل وهو يجرف الإبل

وذكـر في حديـث عـن عبـدالله بن عمـر أنَّ الرسـول ﷺ كان ينـزل بـذي الحليفة حين ذهابـه للعمـرة أو الحـجِّ، تحـت سـمرة،[2] في موضع المسـجد (مسـجد المعـرس)،[3] ويهبط

١. الرجلـة أو البَقْلَـة الحَمْقَـاء: هـي نبـات حـولي عصـاري، وسـمّيت بالحمقاء؛ لأنَّهـا تنبت في المِسـيلِ، فيقلعهـا المـاء ويجرفها.

٢. نـوعٌ مـن الشـجر كبـيرٌ نسـبيًا، يسـتظلُّ تحته مـن يريـد أن يرتاح لمـدَّةٍ زمنيـةٍ قليلـةٍ، ويكثر هـذا النوع الحجاز.

٣. المعرس: هو المبيت في أوَّلِ الليل.

بطـن وادي العقيـق، فـإذا ظهر من بطـن الـوادي، أناخ بالبطحـاء التي على شـفير الوادي الشرقيـة. فهبـوط النبـي ﷺ لبطـن الـوادي لم يكـن إلّا لملء قربـة المـاء أو الوضـوء، أمَّـا مبيتـه فـكان في (البطحـاء)، وهي منطقة تختلـف عن بطن الـوادي، ويدلُّ عـلى ذلك قول الـراوي: «فـإذا ظهر مـن بطن الـوادي، أنـاخ بالبطحاء».

وأَنَاخَ بالمكان: أي أَقَامَ فيه.

يقول الشاعر:

أَنِـخْ رِكَابَـكَ يَـا مَـنْ شِـئْتَ مَغْفِـرَةً ... بِـأَبِي قُبَيْـسٍ وَاقْصُـدْ ذَلِـكَ الحَـرَمِ

والأَبْطَـحُ -كـما عرَّفته معاجـم اللغة- هـو: سَـهْلٌ، أَرْضٌ مُنْبَسِـطَةٌ فَسِـيحَةُ الأَرْجَاء، يَسِـيلُ فيها المـاءُ تَـارِكًا فيها الرَّمْـلَ وصِغَـارَ الحَصَى.

نعـم، ذكـرت المعاجـم أنَّ أحـد معـاني (بطن الـشيء): داخلـه، كما ورد عـن النبي ﷺ أنَّـه رمـى جمـرة العقبـة مـن بطـن الـوادي؛ لأنَّهـا كانت تقـع قرب سـفح الجبـل، وبعض النـاس كانـوا يرمونهـا مـن على سـفح الجبل.

والـذي أراه أنَّ المـراد من (بطن العقيـق) -هنا- هو: المكان الواسـع والصالح للمبيت والصلاة والاسـتراحة، ويكون بالقرب من مَسِـيلِ الوادي.

وقـول الإمام الحـربي -عند وصفه بريـد البَعْث-: «يقـال: أنَّها أوَّل بطـن العقيق»، فيه دلالـةٌ واضحـةٌ على ما ذهبنا إليه في تفسـيرنا لـ (بطـن العقيق).

أضـف إلى ذلـك أنَّ كثـيرًا مـن الـبِرَكِ بُنِيَـتْ على مَسِـيلِ العقيـق؛ ليتجمع ماء السـيل داخلهـا، وبطريقـةٍ مُدَرَّجَـةٍ؛ لكـي يتمكَّـن أكـبر عددٍ ممكـنٍ من الحُجَّـاج من مـلء قِرَبِهِمْ بالمـاءِ في آنٍ واحدٍ.

يقـول الدكتـور الراشـد ـ بعـد ذكر وصفه الدقيـق لبِرْكَة غَمْـرَة ـ: « تنتشر آثـار المنازل السـكنية في منطقـة مرتفعـة إلى الغـرب من البركـة...، كذلك تنتـشر بقايا المباني السـكنية

حـول البركة».[1]

أمَّا بالنسـبة لموقع المَسْـلَح، فيقول الدكتور الراشـد: «ويبعد الموقع الأثري للمَسْـلَح عن مسـار الطريق خمسـة أكيال تقريبًـا، وترتفع التلـول الصخرية المحيطة بالموقع عن مسـتوى السـهل بحوالي سـتة أمتـار، ويتكـوَّن الموقع من مجموعـةٍ من الآثـار المعماريـة الباقية، وهي عبـارة عـن: البِرْكَة الرئيسـة، ومجموعة مـن الآبار، وبقايا أطـلال المنازل السـكنية، أمَّا بقايا التحصينـات أو القصـور فهي على المرتفع الشـمالي الغربي من الموقـع الرئيسي».[2]

ويفهم من كلام الدكتور الراشـد (أسـتاذ الآثار الإسـلامية في الجزيـرة العربية بجامعة الملـك سـعود)، أنَّ الحُجَّـاج لم يكونـوا ينزلـون بطن الـوادي للاسـتراحة والصـلاة، وإنَّما لمـلء قـرب الماء من بطـن الوادي، سـواء وجـدت بِرْكَـة أم لم توجد.

وهـذا ما شـاهدناه أثنـاء زيارتنا الميدانيـة، حيـث إنَّ بِرْكَة أبي جعفر المنصور في المَسْـلَح تقـع عـلى مجـرى العقيـق، وكذلك بِرْكَـة غَمْـرَة، في حـين أنَّ أمكنـة الميقات الثلاثـة (بريد البَعْـث، المَسْـلَح، غَمْـرَة) وجدنا أنَّهـا جميعًا تقـع في أرضٍ مرتفعةٍ عن بطـن العقيق، وهي واسـعة تصلح مكانًـا للتجمّع والمبيـت والصلاة.[3]

وقول سـماحة المرجع الشـيخ الفيَّاض: «فـإنَّ المتفاهم العرفي من بطن العقيق بمناسـبة الحكـم والموضـوع هـو داخله في مقابـل الخارج عنـه، باعتبـار أنَّ العقيق محدَّدٌ بحـدٍّ معيَّنٍ ومسافةٍ».[4]

ويبـدو لي أنَّ كلامـه هنـا أتى في سـياق حديثه عن حـدود العقيق، وليـس لبيان مدلول كلمة (بَطْن).

---

١. درب زبيدة، الدكتور سعد الراشد :٢٧٦ .

٢. م.ن .

٣. انظر: صورة بِرْكَة غَمْرَة المدرجة .

٤. العروة الوثقى، تعاليق مبسوطة٤ :١٨٤ .

وعليه:

فـإنَّ اسـتعمال (بَطْـن العَقِيـق) في الرواية الشريفة، ليـس فيها دلالة عـلى «أنَّ تمام وادي العقيق ليس بميقـات، وإنَّما الميقـات بطنه».[1]

كـما ذهـب لهـذا المعنى موسـوعة الفقـه الإمامـي، ولا تعنـي وسـط الـشيء؛ لأنَّ أوَّل أمكنـة الميقـات الثلاثـة (بريد البعث) يقـع في أوَّلِ بطـن العقيق من جهة العـراق، ما يعني أنَّ المـراد مـن كلمـة (بطن) هنـا شيء آخر وليس وسـط الشيء، وليس مقابل تمـام العقيق.

وغايـة مـا في الأمر -حسـب فهمـي والله أعلم- أنَّ المـراد من بطن العقيـق -هنا- أمر إرشـادي من النبـي صلى الله عليه وآله للحُجَّاج للاسـتراحة والمبيـت في المكان الأنسـب والأصلح، ولا غرابـة في ذلـك؛ فهو صلى الله عليه وآله ابـن البادية، وأعـرف الناس بـأيِّ الأمكنة هي أصلـح للمبيت.

وبعبـارةٍ مختـصرةٍ: فإنَّ المـراد من قولهـم «بطن العقيق» هـو: الأرض الرملية الواسـعة التـي تقـع بالقرب من مسـايل المـاء، وتصلح للمـراح والصلاة.

حدود ميقات العقيق :

فيـما سـبق دار البحـث حـول الموقع الجغـرافي والواقـع التاريخـي لميقات العقيـق، وما خلصنـا إليـه مـن نتائج مـا يلي:

١. أنَّ المـراد مـن جملـة (بطـن العقيـق) هـو المكان الواسـع الـذي يقع بالقرب مسـيل الـوادي، ويكـون صالحًـا للمـراح والمبيت.

٢. أنَّ بريد البَعْث هو أوَّلُ بَطْنِ العَقِيق، ما يعني أنَّه بداية الميقات.

٣. أنَّ بعض الحُجَّاج كانوا يُحْرِمُون من بريد البَعْث.

٤. أنَّ نهايـة حـدود الميقـات هي غَمْرَة وليـس ذات عِـرْق أو أَوْطَاس، باعتبـار أنَّهما لا

١. موسوعة الفقه الإسلامي، طبقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ٦ : ٤٥٤ .

تقعـان على العقيـق جغرافيًا.

٥. أنَّ التغيـير الـذي حصـل في مبـدإ ومنتهى حـدِّ الميقات عائـدٌ لأسـبابٍ ذكرناها في محلِّها.

وفي ضـوء هـذه النتائـج سـنحاول معرفـة حـدود ميقـات العقيـق طِبْقًـا للروايـات الشريفـة الـواردة عـن أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام، وهـي عـلى ثـلاث طوائـف:

- **الطائفة الأولى: حدَّدت بدايته بـ (بريد البَعْث)، ونهايته بـ (غَمْرَة).**

١. صحيحـة معاويـة بن عـمار، عن أبي عبـدالله عليه السلام قـال: «أَوَّلُ العَقِيـقِ بَرِيـدُ البَعْثِ، وَهُـوَ دُونَ المسْلَخِ بِسِـتَّةِ أَمْيَـالٍ مِمَّـا يَلِي العِرَاقَ، وَبَيْنَـهُ وَبَيْنَ غَمْـرَةَ أَرْبَعَةٌ وَعـشْرُونَ ميلاً: بَرِيدَانِ».[١]

٢. صحيحـة عمـر بـن يزيـد، عن أبي عبـدالله عليه السلام قـال: «وَقَّـتَ رَسُـولُ الله صلى الله عليه وآله لِأَهْلِ المَـشْرِقِ العَقِيـقَ نَحْـوًا مِـنْ بَرِيدَيْن، مَا بَـيْنَ بَرِيـدُ البَعْـثِ إِلَى غَمْرَةَ».[٢]

٣. عـن محمـد بن علي بن الحسـين قال: قـال الصـادق عليه السلام: «أَوَّلُ العَقِيقِ بَرِيـدُ البَعْثِ، وَهوَ من دُون بَرِيـدِ غَمْرَةَ».[٣]

- **الطائفة الثانية: حدَّدت بدايته بـ (المَسْلَح)، ونهايته بـ (ذَاتِ عِرْق).**

١. خـبر أبي بصـير قال: سـمعت أبا عبـدالله عليه السلام، يقـول: «حَدُّ العَقِيـقِ: أَوَّلُهُ المَسْـلَخ، وآخِـرُهُ ذَاتُ عِرْقٍ».[٤]

---

١. وسائل الشيعة، الحر العاملي ١١ : ٣١٢، باب المواقيت، ب٢، ح٢.

٢. م.ن، ١١ : ٣٠٩، باب المواقيت، ب١، ح٦.

٣. م.ن، ١١ :٣١٣، باب المواقيت، ب٢، ح٨.

٤ وسائل الشيعة، الحر العاملي ١١ : ٣١٣، باب المواقيت، ب٢، ح٧.

٢. مُرْسَلَةُ الصَّدُوقِ، عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق عليه السلام: «وَقَّتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله لِأَهْلِ العِرَاقِ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخِرُهُ ذَاتُ عِرْقٍ، وأوَّله أفضل».[١]

٣. عن أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج)، عن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري أنَّه كتب إلى صاحب الزمان عليه السلام يسأله عن الرجل يكون مع بعض هؤلاء، ويكون مُتَّصِلاً بهم، يَحُجُّ ويأخذ عن الجادة، ولا يُحْرِمُ هؤلاء من المَسْلَخ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يُؤَخِّر إحرامه إلى ذَاتِ عِرْقٍ فيحرم معهم لما يخاف الشهرة؟ أم لا يجوز إلَّا أنْ يُحْرِمَ من المَسْلَخ، فكتب إليه في الجواب: «يُحْرِمُ من مِيقَاتِهِ، ثمَّ يلبسُ الثيابَ ويُلَبِّي في نفسه، فإذا بَلَغَ إلى ميقاتهم أظهره».[٢]

- **الطائفة الثالثة: حَدَّدتْ نهايته بـ (أَوْطَاس).**

صحيحة معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «آخر العَقِيق بريد أَوْطَاس، وقال: بريد البَعْث دون غَمْرَة ببريدين».[٣]

ويستفاد من الروايات الشريفة بصفة عامة، ما يلي:

١. أنَّ طول الميقات يبلغ بريدين (٢٤ ميلاً، أي ٤٨ كم).

٢. أنَّ بداية الميقات، إمَّا بريد البَعْثِ، أو المَسْلَخ.

٣. أنَّ نهايته إمَّا غَمْرَة، أو أَوْطَاس، أو ذات عِرْق.

والملاحظ هنا أنَّ هذا الميقات تميَّز عن غيره من المواقيت، بميزتين:

أ. جواز الإحرام من أكثر من مكان يقع على العقيق.

---

١. م.ن، ١١ :٣١٣، باب المواقيت، ب٢، ح٩.

٢. م.ن، ١١ :٣١٣، باب المواقيت، ب٢، ح١٠.

٣. م.ن، ١١ :٣١٢، باب المواقيت، ب٢، ح١.

ب. طوله -حسب المشهور بين الفقهاء (رواية أبي بصير)- حيث إنَّ المسافة بين أوَّله (المسْلَخ)، وآخره (ذات عِرْق) تبلغ (٣٧ ميلاً)، أي ما يعادل (٧٤ كم).

وأيًّا كان؛ فقد جوَّز الفقهاء المتقدِّمين والمتأخِّرين الإحرام من ثلاثة مواضع تقع على العقيق (عقيق عُشَيْرَة)، وهو المعروف والمشهور بينهم، وأنَّ أوَّل تلكم المواضع هو المسْلَخ، تليه غَمْرَة، وآخره ذات عِرْق، وأنَّ أفضله المسْلَخ، تليه غَمْرَة، ثمَّ ذات عِرْق، وقيَّدوا الإحرام من الموضع الأخير؛ لتقيَّةٍ أو ضرورةٍ.

قال الشيخ الطوسي في النهاية: «العقيق، وله ثلاثة أوقات: أوَّلها المَسْلَخ، وهو أفضلها، ولا ينبغي أن يُؤَخِّر الإنسان الإحرام منه إلّا عند الضرورة، وأوسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق، ولا يجعل إحرامه من ذات عِرْقٍ إلّا عند الضرورةِ والتقيَّةِ».[1]

واستدلَّ القائلون بهذا الرأي بمُرْسَلَةِ الصدوق، وخبر أبي بصير المذكورين سابقًا.

ولحلِّ هذا الإشكال أو التعارض بين الروايات الشريفة -كما يبدو من ناحيةٍ فقهيةٍ-، لا بُدَّ من الرجوع للبحوث الاستدلالية لفقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وبلا شكٍّ أنَّ الفقهاء قد سخَّروا جُلَّ طاقاتهم لحلِّ هذا التعارض، كُلاً حسب مبانيه.

وبعد مطالعتي لعددٍ غير قليلٍ من تعليقات الفقهاء على العروة الوثقى -للسيِّد اليزدي-؛ وجدتها تكاد تكون متطابقة في النتائج، باعتمادهم رواية أبي بصير المشهورة كدليلٍ معتبرٍ على أنَّ المَسْلَح يمثِّل أوَّلَ العقيق، تليه غَمْرَة، وآخره ذات عِرْق، وأنَّ أوَّلهُ أفضل.

وكدنا في لحظة من اللحظات نفقد الأمل في العثور على رأيٍ فقهيٍّ يطابق نتائج البحث الجغرافي والتاريخي، وقد جادت قريحة رفيق الدرب في تلكم اللحظات بالأبيات التالية:

---

١. نقلاً عن موسوعة الفقه الإسلامي ٦: ٤٥٣.

أَبْحَرَ فِي لُجَاجِ (بَيْتِ الحِكْمَةْ)،[1] وَلَمْ تَخِرْ فِي الظُّلُمَاتِ الهِمَّةْ
مُسْتَمْسِكًا بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى عَلَى تَقَطُّعِ العُرَى إِلَى أَنْ وَصَلَا
لِبَاسِطِ المَسْأَلَةِ المَقْبُوضَةِ وَمُطْلِقِ الأَدْمِغَةِ المَرُوضَةِ

وعندما وقع بصري على ما جاء في تعليقاتٍ مبسوطةٍ على العروة الوثقى لسماحة المرجع الشيخ إسحق الفيَّاض، وجدت نفسي تركن وتميل لهذا الاستدلال؛ لتوافقه في جزءٍ كبيرٍ منه مع النتائج التي توصَّلنا لها في بحثنا التاريخي الجغرافي، ولسان الحال يردِّد ما قاله الشيخ الوائلي:

حَتَّى تَدَارَكَنَا كَالرَّعْدِ مُنْطَلِقًا صَوْتُ الفَتَاوَى عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ زَأَرُوا
دَوَّى بِهَا نَفَرٌ مِنْ خَيْرِ قَادَتِنَا عِنْدَ الخُطُوبِ فَمَرْحَى أَيُّهَا النَّفَرُ
فَانْجَابَ لَيْلٌ وَوَلَّتْ ظُلْمَةٌ وَمَشَى ضَوْءٌ وَرَفْرَفَ فَتْحٌ أَبْلَجٌ نَضِرُ

استدلال سماحة المرجع الفيَّاض:

يقول سماحة المرجع الشيخ الفيَّاض -دام ظلّه- في تعاليقه المبسوطة على العروة الوثقى في الجزء التاسع في الصفحات (١٨٢-١٨٥): «هذا هو المعروف والمشهور بقصد أنَّ أوَّل الميقات هو المَسْلَح، وآخره ذاتُ عِرْق- بين الأصحاب وقد استدلَّ على ذلك:

١. برواية أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام، يقول: «حَدُّ العَقِيقِ أَوَّلُهُ المَسْلَخُ،

١. بيت الحكمة: مكتبة سماحة الوالد الشيخ عبدالهادي الفضلي دام عزه، وأستطيع أن أقول بعد هذه التجربة في التحقيق أنَّها بحق مكتبة باحثٍ إسلاميٍّ بإمتياز، وما ميّزها عن المكتبات الشخصية وجود ركنٍ خاصٍّ بالكتب التي تتعلَّق بأبحاث الحجِّ، وهذا الأمر غير مستغرب منه؛ فقد ألَّف وحقَّق سماحته في الحجِّ وشؤونه العديد من المؤلَّفات، من قبيل: تحقيقه لمنسك صاحب الجواهر، وتحقيقاته الميدانية لمعالم الحجِّ والزيارة، والجزء الثالث من كتابه الفقهي (مبادئ علم الفقه).

وآخِـرُهُ ذَاتُ عِـرْق»، فإنَّها تحـدِّد العَقِيقَ من حيث المبـدأ والمنتهى بوضوح.

٢. وبِمُرْسَـلَةِ الصَّـدُوق، قال: قال الصـادق عليه السلام: «وَقَّتَ رسـولُ الله صلى الله عليه وآله لِأَهْلِ العِرَاقِ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْـلَخ، ووسـطه غَمْـرَة، وآخِرُهُ ذَاتُ عِـرْقٍ، وأوَّله أفضل».

ولكن للنظر في ذلك مجال:

- أمَّا المرسلة فلا يمكن الاعتماد عليها من جهة إرسالها.

ودعـوى أنَّ ضعفهـا منجـبرٌ بعمـل المشـهور بهـا مدفوعـة بـما ذكرنـاه غـير مـرَّةٍ مـن المناقشـة في كـون عمـل المشـهور بروايـةٍ ضعيفـةٍ جابـرٌ لضعفهـا نظريًـا وتطبيقيًـا.

- وأمَّـا روايـة أبي بصـير، فـإنَّ الراوي عنه عمار بـن مروان وهو مردَّد بين اليشـكُري وبـين الكلبي، وهـو بعنوان اليشـكُري ثقة دون الكلبـي، ولم يثبت أنَّهما عنوانان لشـخصٍ واحـدٍ؛ إذ لا دليـل عـلى الاتحـاد وعلى التعـدُّد، فهل المـراد منـه في الرواية اليشـكري الثقة حتـى تكون الروايـة معتبرة، أو الكلبـي حتى تكـون الرواية ضعيفة.

ودعـوى أنَّ المراد منـه الأوَّل للانصراف من جهـة أنَّه المعروف والمشـهور مدفوعة بأنَّ شـهرة عـمار بـن مـروان بعنوان اليشـكري لم تصـل إلى درجـة كلَّما أطلـق عمار بـن مروان كان المنـصرف منـه اليشـكري، فإنَّـه ليـس مـن الـرواة المعروفين والمشـهورين؛ حيـث إنَّ وقوعـه بعنوان اليشـكري في إسـناد الروايـات قليل.

فالنتيجـة: أنَّـه لا يمكـن حصـول الوثوق والاطمئنـان بأنَّ المـراد منه اليشـكري، غاية الأمـر حصول الظـنِّ بـه ولا قيمة له.

هـذا إضافـة إلى أنَّهـا معارضـة لصحيحـة معاوية بـن عمار، عـن أبي عبـدالله عليه السلام قال: «أَوَّلُ العَقِيـقِ بَرِيـدُ الْبَعْـثِ، وَهُـوَ دُونَ الْمُسْلَخِ بِسِـتَّةِ أَمْيَـالٍ مِمَّـا يَـلِي الْعِـرَاقَ، وَبَيْنَـهُ وَبَيْنَ غَمْـرَةَ أَرْبَعَـةٌ وَعِـشْرُونَ ميـلاً: بَرِيـدَانِ» فإنَّهـا تنـصُّ عـلى أنَّ أوَّل العقيق بريـد البعث لا المسْـلَخ، وبينـه وبـين غَمْـرَة بريدان، ومثلهـا صحيحة عمر بـن يزيد، عـن أبي عبدالله عليه السلام قـال: «وَقَّـتَ رسـول الله صلى الله عليه وآله لأهل المـشرق العقيق نحوًا من بريديـن، ما بين بَرِيـدِ البَعْثِ

إلى غَمْـرَة -الحديث-».

● وعـلى هـذا فإنْ قُلْنَـا بأنَّ رواية أبي بصـير لم يثبت اعتبارها كما هـو الأظهر فالمرجع حينئذٍ هـو صحيحة معاوية.

ومقتضاها أنَّ أوَّل العقيق بريد البَعْثِ لا المَسْلَخ.

نعـم، إنَّهـا سـاكتة عـن آخـره، ولكـنَّ صحيحتـه الأخـرى عـن أبي عبـدالله عليه السلام قال: «آخِـرُ العَقِيـقِ بَرِيـدُ أَوْطَـاس، وقـال: بَرِيـدُ البَعْـثِ دون غَمْـرَة ببريديـن» تَنُـصُّ على أنَّ آخـره أَوْطَاس.

ودعـوى أنَّ كلتـا الصحيحتـين مخالفـةٌ للمشـهورِ المـصرَّحِ بـه في كلماتهـم مـن أنَّ أوَّلَ العَقِيـقِ المَسْـلَخ وآخـره ذات عِرْق، باعتبـار أنَّ الأولى مخالفة لهـم في أوَّلِهِ، وتَنُـصُّ على أنَّه بَرِيـدُ البَعْـثِ دونَ المَسْـلَخ، والثانيـة مخالفـةٌ لهـم في آخـره، وتَنُـصُّ عـلى أنَّه بريـد أَوْطَاس لا ذات عِـرْق، فلذلـك كانتـا مهجورتـين لديهم، وذلك موجبٌ لسـقوطهما عـن الحجِّيَّة؛ مدفوعـة بـما ذكرناه غير مـرَّةٍ بأنَّ الروايـة إذا كانت معتبرة لا تسـقط عـن الحجِّيَّة بمخالفة المشـهور وعـدم عملهم بها.

فـإذن؛ لا منـاص من العمل بهـا. ويكون الناتج مـن ضمِّها لصحيحتـه الأولى أنَّ أوَّله بريـد البَعْثِ وآخـره أَوْطَاس.

● وأمَّـا ذَاتُ عِـرْق، فقـد وَرَدَ في موثَّقـة عـمار قـال: «سـألت أبـا الحسـن عليه السلام عـن المتمتِّـع يجـيء فيقـضي متعة، ثـمَّ تبدو لـه الحاجة فيخـرج إلى المدينـة، وإلى ذات عِـرْق، أو إلى بعـض المعـادن؟، قـال: يرجع إلى مكَّة بعُمْـرَة، إلى أن قال: كان أبي مجـاورًا ههنا، فخرج يتلقَّـى بعـض هـؤلاء، فلمَّا رجـع فبلـغ ذاتَ عِـرْق أَحْرَمَ مـن ذاتِ عِـرْق بالحـجِّ، ودخل وهـو مُحْـرِمٌ بالحجِّ».[1]

فإنَّها تدلُّ على أنَّه من الميقات.

---

١. الوسائل، باب٢٢، من أبواب أقسام الحجِّ، الحديث٨.

وأمَّـا الإحـرام من غَمْـرَة فمضافًـا إلى هاتين الصحيحتـين؛ فقد ورد في موثَّقة إسـحق بـن عمار قال: «سـألت أبا الحسـن عليه السلام عن الإحـرام من غَمْـرَة، قال: ليس به بـأس، وكان بَرِيدُ العَقِيـق أحبَّ إليَّ».[1]

● وأمَّـا عـلى تقديـر أنَّ روايـة أبي بصير معتـبرة؛ فيقع التعارض بينهـا وبين صحيحة معاويـة في تحديـد أوَّل العقيـق، فـإنَّ مقتضى روايـة أبي بصير أنَّ أوَّله المَسْـلَخ، ومقتضـى الصحيحـة أنَّ أوَّلـه بريـد البَعْث، وبعد سـقوطهما فيـه بالمعارضـة لم يثبت عنـوان الأوَّليَّة لـكلٍّ من المَسْـلَخ وبَرِيـدِ البَعْثِ.

وأمَّـا أصـل ميقاتيـة كلاً منهما فهو ثابـت، ولا معارضـة فيه باعتبـار أنَّ التعـارض إنَّما هـو في عنـوان الأوَّليَّة.

ونتيجة ذلك أنَّه يجوز الإحرام من المَسْلَخ، وغَمْرَة، وذاتِ عِرْق.

● وأمَّـا ذات عِـرْق فقـد قيـل: إنَّهـا كانـت اسـمًا لقريـةٍ فخربـت، وأمَّـا غَمْـرَة فهي داخلـة في عمـق العقيـق، وأمَّـا بَرِيـد البَعْثِ فهو اسـم لمبدئه بنـاءً على ما هـو الصحيح من عـدم اعتبـار روايـة أبي بصير، وأمَّـا في الصحيحـة الثانية لمعاوية مـن أنَّ آخـر العقيق بريد أَوْطَـاس فلـم يـرد في شيءٍ مـن الروايـات جواز الإحـرام منه.

● وأمَّـا الإحـرام مـن بَرِيـدِ البَعْـثِ الـذي هـو أوَّل العقيـق فهو الأفضـل، بمقتضى جملـةٍ مـن الروايات.

والكلام لا زال للمرجع الشيخ الفيَّاض -دام ظله- فيقول:

لحـد الآن قـد تبين أنَّ المسـتفاد مـن مجموعة مـن روايات هـذا الباب بضـمِّ بعضها إلى بعـض أنَّ العقيـق الـذي هـو ميقاتٌ لأهـلِ العـراقِ محـدَّدٌ من حيـث المبدأ ببريـد البعث، والمنتهـى ببريـد أَوْطَـاس، والمسـلخ بينهما، وأمَّـا غَمْرَة، فهل هـي نهاية العقيـق؟ وأنَّ بريد أَوْطَـاس داخـلٌ فيهـا؟ أو أنَّ نهايته بريـد أَوْطَاس بعـد غَمْرَة؟

---

١. م.ن، باب٣ من أبواب المواقيت، الحديث٣.

فـلا يمكن اسـتفادة ذلك مـن الروايات، فإنَّ تطبيـق ذلك خارجًا يتطلَّـبُ الرجوع إلى أهل الخـبرة من المنطقة والسـؤال منهم.[1]

وترشـد إلى ذلـك صحيحة معاويـة بن عمار عن عـن أبي عبدالله عليه السلام قـال: «يجزئك إذا لم تعـرف العَقِيق أن تسـأل الناس والأعراب عـن ذلك»...».[2]

فظهـر ممَّـا مـرَّ أنَّ آخـره بريد أَوْطَـاس على ما نـصَّ عليـه في صحيحة معاويـة بن عمار المتقدِّمة.

وأمَّـا ذات عِـرْق، فقـد ورد في روايتـين أنَّ آخر العقيـق ذات عِرْق، إحداهمـا رواية أبي بصـير المتقدِّمة، والأخرى مُرْسَـلَةُ الصـدوق عن الصادق عليه السلام قال: «وَقَّتَ رسـولُ الله صلى الله عليه وآله لِأَهْلِ العِرَاقِ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْـلَخ، ووسـطه غَمْـرَة، وآخِرُهُ ذَاتُ عِـرْقٍ، وأوَّله أفضل»، ولكن كلتـا الروايتين لا يمكـن الاعتماد عليهما.

أمَّا الأولى فقد مرَّ أنَّه لم تثبت صحتها، وأمَّا الثانية فلإرسالها.

نعـم، ورد في موثَّقـة عـمار عـن أبي الحسـن عليه السلام قولـه: «كان أبي مجـاورًا ههنـا، فخرج يتلقَّـى بعـض هـؤلاء، فلمَّا رجـع فبلـغ ذات عِـرْق أَحْرَمَ مـن ذاتِ عِـرْق بالحـجِّ، ودخل وهـو مُحْـرِمٌ بالحجِّ».[3]

إلَّا أنَّه لا يدلُّ على أنَّه آخر العقيق، وإنَّما يدلُّ على أنَّه من الميقات.[4]

وإلى هنا ينتهي كلام سماحة المرجع الفيَّاض.

---

١. نَقَـلَ هـذه الفقـرة مـن كلام الشـيخ الفيَّـاض القائمون على موسـوعة الفقـه الاسـلامي طبقًا لمذهب أهـل البيـت عليهم السلام في المتـن، ولا أدري لماذا قالوا: «وذكـر بعض المعاصرين»، ولم يذكروا اسـم صاحب القـول عـلى غـرار ذكرهم لأسـماء الآخريـن؟! نعم، ذكـروا في الهامش مصـدر النقل ورقـم الصفحة كما بقيـة المصادر المنقـول عنها.

٢. العروة الوثقى، تعاليق مبسوطة ٤ :١٨٢ـ١٨٥.

٣. الوسائل، باب٢٢، من أبواب أقسام الحج، الحديث٨.

٤. تعاليق مبسوطة، الشيخ الفيَّاض ٩ :١٨٢ـ١٨٧، منشورات العزيزي، قم.

أقول: يُفْهَمُ من الجملة الأخيرة من كلام الشيخ المرجع الفيَّاض أنَّ ذاتَ عِرْق تعتبر أحد أمكنة الميقات، وتقع على العقيق، ولكن ليس في نهايته، وإنَّما في مكانٍ مَّا من العقيق!. في حين أثبت البحث الجغرافي أنَّ ذاتَ عِرْق لا تقع البتَّة على العقيق.

تعاليق موجزة على تعاليق المرجع الفيَّاض المبسوطة:

استدلَّ سماحة المرجع الفيَّاض وآخرون على توقيت ذات عِرْق بموثَّقة عمار التالية، قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن المتمتِّع يجيء فيقضي متعة، ثمَّ تبدو له الحاجة فيخرج إلى المدينة، وإلى ذات عِرْق، أو إلى بعض المعادن؟، قال: يرجع إلى مكَّة بعُمْرَة، إلى أن قال: كان أبي مجاورًا ههنا، فخرج يتلقَّى بعض هؤلاء، فلمَّا رجع فبلغ ذاتَ عِرْق أَحْرَمَ من ذاتِ عِرْق بالحجِّ، ودخل وهو مُحْرِمٌ بالحجِّ».[1]

ودعوى أنَّها تدلُّ على كون ذَاتِ عِرْق ميقات؛ مدفوعةٌ بموثَّقة سماعة، ونصُّها كما يلي:

«عن الإمام الصادق عليه السلام: مَنْ حَجَّ مُعْتَمِرًا في شوَّال، ومَنْ نِيَّتُهُ أَنْ يَعْتَمِرَ وَرَجَعَ إلى بِلَادِهِ؛ فلا بَأْسَ بِذَلِكَ.

وَإِنْ هُوَ أَقَامَ إلى الحَجِّ فَهُوَ مُتَمَتِّعٌ؛ لأنَّ أَشْهُرَ الحَجِّ: شوَّال، وذو القِعْدَة، وذُو الحِجَّة، فَمَنْ اعْتَمَرَ فِيهِنَّ فَأَقَامَ إلى الحَجِّ؛ فَهِيَ مُتْعَةٌ.

وَمَنْ رَجَعَ إلى بِلَادِهِ ولَمْ يُقِمْ إلى الحَجِّ؛ فَهِيَ عُمْرَةٌ.

وَإِنْ اعْتَمَرَ في شَهْرِ رَمَضَان، أَوْ قَبْلَهُ، فَأَقَامَ إلى الحَجِّ؛ فَلَيْسَ بِمُتَمَتِّعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَاوِرٌ أَفْرَدَ العُمْرَةَ.

فَإِنْ هُوَ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَتَّعَ في أَشْهُرِ الحَجِّ بِالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ؛ فَلْيَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى يُجَاوِزَ ذَاتَ عِرْقٍ، أَوْ يَتَجَاوَزَ عَسفَانَ مُتَمَتِّعًا بِعُمْرَتِهِ إلى الحَجِّ.

---

١. الوسائل، الباب٢٢، من أبواب أقسام الحجِّ، الحديث٨.

فَإِنْ هُوَ أَحَبَّ أَنْ يُفْرِدَ الحَجَّ؛ فَلْيَخْرُجْ إلى الجعرَانَة فَيُلَبِّي مِنْهَا».[1]

أسبقية موثَّقة سماعة:

إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ موثَّقة سماعة سبقت موثَّقة عمار زمنيًا؛ ما يعني أنَّ موثَّقة عمار جاءت بصدد بيان الإمام الكاظم عليه السلام ما قام به الإمام الصادق عليه السلام من فِعْلٍ في هذا المقام.

ومن أسبقية موثَّقة سماعة نستفيد التالي:

أنَّ مَنْ كان مُجَاوِرًا وأرادَ أَنْ يَحُجَّ فَلَدَيْهِ خِيَارَان: إمَّا أَنْ يَكُونَ حَجُّهُ إِفْرَادًا، أَوْ تَمَتُّعًا.

وعليه:

أ. فَإِنْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَتَّعَ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُجَاوِزَ ذَاتَ عِرْقٍ، أو عسفَانَ، ويُحْرِمَ مِنْ هُنَاكَ.

ب. وَإِنْ أرادَ الإفرادَ بِالحَجِّ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ إلى الجعرَانَةِ.

[1] الوسائل، الباب ١٠ من أبواب أقسام الحجّ، الحديث ٢.

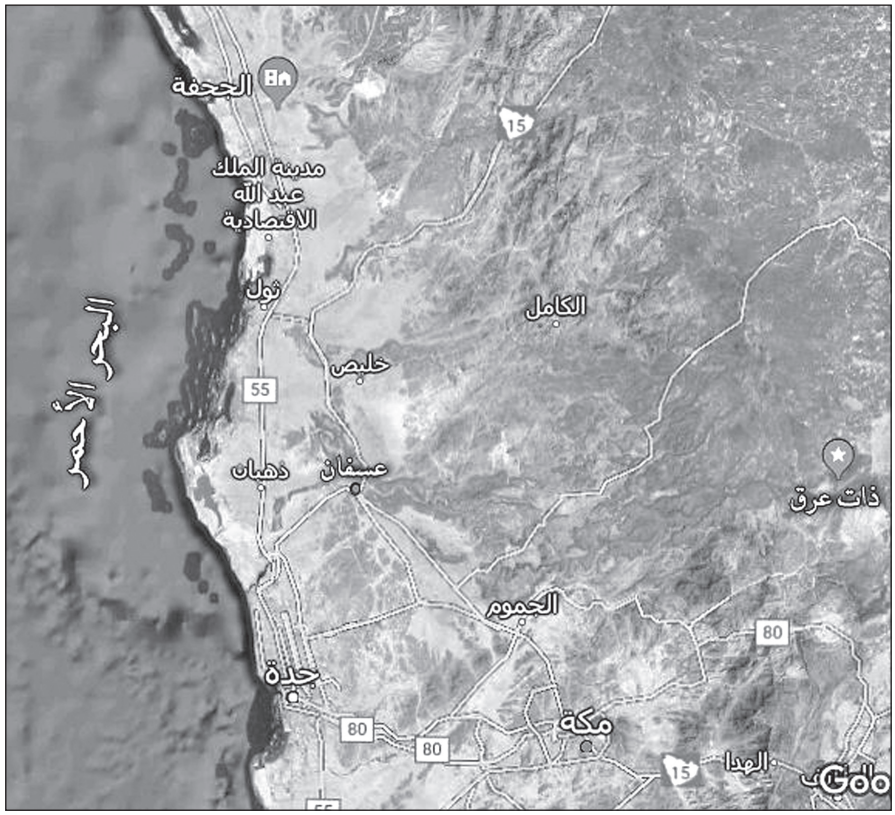

وعليه:

فَـإِنَّ ذَاتَ عِـرْق -الـوارد ذكرهـا في موثَّقـة سـماعة- لا تـدلُّ عـلى أنَّها ميقـاتٌ؛ بدليل قولـه عليه السلام: «... يُجَـاوِز ذَاتَ عِرْق، أو يَتَجَاوَز عسـفَانَ...»، فلو قصـد بكلامه عليه السلام أنَّ ذَاتَ عِـرْق ميقـاتٌ لقال: (ذات عِرْق، أو الجحفة) باعتبار أنَّ عسـفَانَ ليسـت ميقاتًـا، وإنَّما تقع عـلى طريـق ميقات الجحفـة، كـما أنَّ ذَاتَ عِرْق تقع عـلى طريق ميقـات العَقِيق.

بمعنـى أنَّـه عليه السلام لـو قَصَـدَ بكلامـه أنَّ ذَاتَ عِـرْق ميقـاتٌ؛ فيعنـي أيضًـا أنَّ عسـفَانَ ميقـات، في حـين أنَّ الميقـات هو الجحفة وليس عسـفَانَ؛ ما يعنـي أنَّ ذَاتَ عِـرْق -الوارد ذكرهـا في موثَّقـة عـمار- ليـس فيهـا أيّ دلالةٍ عـلى كَوْنِهَـا ميقاتًا.

خلاصة الكلام:

بـما أنَّ أَوْطَـاس وذَاتَ عِـرْق لا تقعـان جغرافيًـا على ضفـاف وادي العقيـق -كما أثبتنا ذلـك-، وبـما أنَّ موثَّقـة عـمار لم تـدلّ عـلى أنَّ ذاتَ عِرْق جزءٌ مـن الميقات؛ فمـن الطبيعي أنَّهـما -أعنـي أَوْطَـاس، وذَاتَ عِرْق- غـير داخلتين في حـدود الميقات.

وعليه: تكون حدود ميقات العقيق، على النحو التالي:

١. بريد البعث تمثِّل بدايةَ ميقاتِ العقيق.

٢. وقريةُ المَسْلَح داخلةٌ في الميقاتِ؛ باعتبارها تقع ما بين بريد البَعْث وغَمْرَة.

٣. وأنَّ غَمْرَة تمثِّل نهايةَ ميقاتِ العقيق.

وبِغَـضِّ النظـر عـن اندثـار بريـد البَعْـثِ بالكامـل حتَّى لم يَعُـدْ له أثـر -إذْ مـن المؤكّد أنَّـه لـو تـمَّ التنقيـب في المنطقـة الواقـع فيهـا؛ فحتـمًا سـيتمُّ العثور عـلى أثـرٍ لبِرْكَـةِ وقَصْرِ عيسـى بـن عـلي سـابقي الذكـر-، وبِغَـضِّ النظـر كذلـك عـن وجـود بقايـا أثـر لقريتي المَسْـلَح وغَمْـرَة، وبِغَـضِّ النظر عن المشـهور فقهيًا؛ فـإنَّ حدود ميقات العقيـق هي كما في صحيحـة معاوية عن الإمـام الصـادق عليه السلام: «أَوَّلُ الْعَقِيقِ بَرِيـدُ الْبَعْثِ، وَهُوَ دُونَ الْمَسْـلَخِ بِسِـتَّةِ أَمْيَـالٍ مِمَّا يَـلِي الْعِـرَاقَ، وَبَيْنَهُ وَبَـيْنَ غَمْـرَةَ أَرْبَعَةٌ وَعِـشْرُونَ ميـلاً: بَرِيدَانِ».

(بَرِيدُ البَعْثِ ← المَسْلَح ← غَمْرَة)

أقـول: إنَّ كلام الإمـام الصـادق عليه السلام في صحيحـة معاوية بن عـمار كان في غايـة الدقَّة مـن ناحيتين:

الأولى: أنَّ تحديـده لبدايـة ميقـات العقيـق ببريـد البعـث كان دقيقًا جدًّا؛ لأنَّهـا تقع في أوَّلِ بَطْـنِ العقيـق من جهـة العراق.

الثانيـة: أنَّ تحديـده المسـافة بين كلٍّ من بريـد البعث والمَسْـلَح، والبالغة (سـتة أميال = ١٢ كـم تقريبًـا)، كان دقيقًـا؛ فقـد قمنـا بقياس المسـافة فوجدنا أنّهـا مطابقة لما قالـه الإمام

الصادق عليه السلام.

وكذلك المسافة بين بريد البعث وغَمْرَة، والبالغة (٢٤ ميلاً = ٤٨ كم)، فهي مطابقة أيضًا لما جاء في الرواية الشريفة.

وفي الختام لنا ملحوظة:

لا أرى -والله أعلم- وجهًا للقول المشهور أَنَّ لميقاتِ العَقِيقِ ثلاثةُ أَمْكِنَةٍ؛ فَكِلتا الروايتين (صحيحة معاوية، أو معتبرة أبي بصير) لا تشيران لمكانٍ مُعَيَّنٍ بِعَيْنِهِ.

نعم، جاء في الروايتين كلمتا (أوَّل، وآخر)، والمراد منهما هنا هو بداية ونهاية حدود الميقات، وليس الأمكنة الثلاثة بعينها.

والأصحُّ -فيما أرى- أن يقال: إنَّ ميقات العقيق هو المنطقة المحصورة بين بَرِيدِ البَعْثِ وغَمْرَة، دون تحديدٍ لمنطقةٍ معيَّنَةٍ بينهما؛ لأنَّ القُرَى الواقعة بينهما تزدهر في حقبةٍ زمنيةٍ مَّا، وتندثر في أخرى، والله أعلم.

***

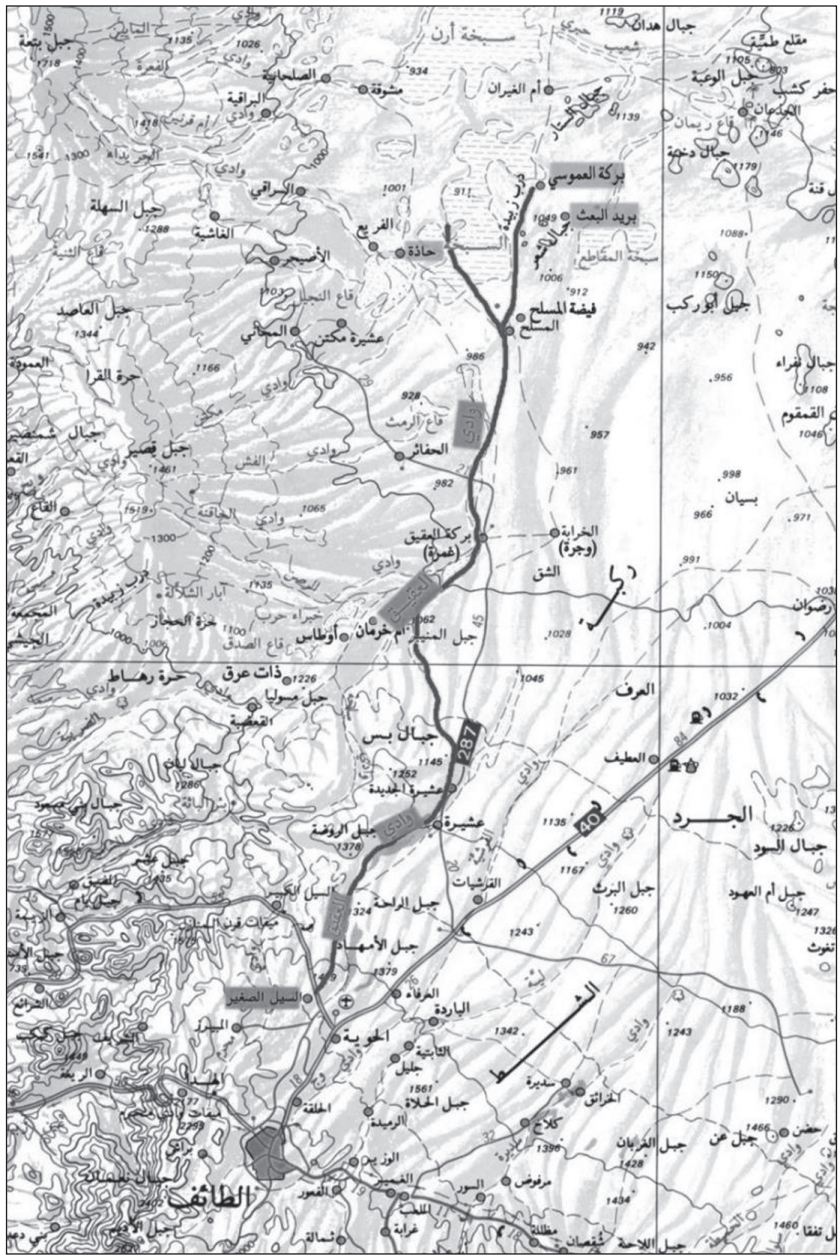

خريطة جغرافية تظهر عليها المواقع التالية: (بَرِيدُ البَعْث، والمَسْلَح، وغَمْرَة، وأَوْطَاس، وذَاتُ عِرْق، ومجرى وادي العَقِيق)

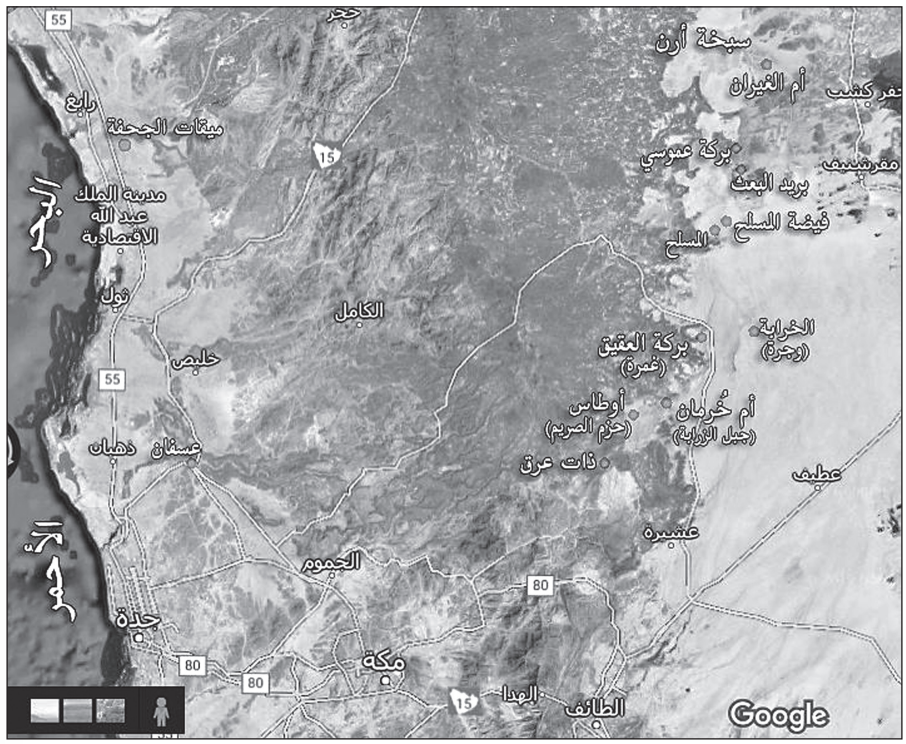

صورة فضائية لمواقع: (بَرِيدُ البَعْث، والمَسْلَح، وغَمْرَة، وأَوْطَاس، وذَاتُ عِرْق، وعسفَان، والجحفة).

والحمد لله ربّ العالمين.

مراجع البحث

١. القرآن الكريم.

٢. لسان العرب، لابن منظور.

٣. المعجم الوسيط.

٤. تاج العروس، للزبيدي.

٥. مناسك الحربي، تحقيق حمد الجاسر، مؤسسة اليمامة، الرياض.

٦. وسائل الشيعة، الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧. سلسلة الينابيع الفقهية، علي أصغر مروارید، دار التراث، لبنان.

٨. موسوعة الفقه الإسلامي، تحقيق مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، إيران.

٩. الموسوعة الفقهية الكويتية.

١٠. العروة الوثقى، السيد اليزدي، الدار الإسلامية، بيروت.

١١. تعاليق مبسوطة، الشيخ الفيَّاض.

١٢. مبادئ علم الفقه، الشيخ عبدالهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات، بيروت.

١٣. هداية الناسكين، الشيخ عبدالهادي الفضلي، دارة الغريَّين للدراسات والنشر، بيروت.

١٤. الفتاوى الواضحة، الشهيد الصدر.

١٥. كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، خراسان.

١٦. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، للشهيد الأول، انتشارات دار التفسير، قم.

١٧. معجم معالم المناسك، حسين المصطفى، دار المؤرِّخ العربي.

١٨. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعة جي، دار النفائس، بيروت، لبنان.

١٩. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، دار أطياف، القطيف.
٢٠. معجم معالم الحجاز، عاتق البلادي، دار مكة للنشر، ١٤٠١هـ.
٢١. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي، دار مكة.
٢٢. معجم البلدان، ياقوت الحموي.
٢٣. المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، ياقوت الحموي.
٢٤. معجم ما استعجم، البكري.
٢٥. معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ.
٢٦. المجاز بين اليمامة والحجاز، عبدالله بن خميس، مطابع الفرزدق، الرياض.
٢٧. نظام البريد في الدولة العباسية، طلال جميل رفاعي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.
٢٨. الأعلاق النفيسة، ابن رسته، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٢٩. كتاب البلدان، اليعقوبي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٣٠. كتاب الخراج، ابن قدامة، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٣١. تاريخ الطبري.
٣٢. درب زبيدة، سعد الراشد، دار الوطن للنشر، الرياض.
٣٣. المسالك والممالك، ابن خرداذبة، مطبعة بريل، ليدن، سنة ١٨٨٩م.
٣٤. بلاد العرب، للأصفهاني، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض.
٣٥. صفة جزيرة العرب، الهمداني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ.
٣٦. دليل هواة الرحلات البرية، من إصدارات هيأة المساحة السعودية، الرياض.
٣٧. تيسير العُلَّام شرح عمدة الأحكام، عبدالله آل بسام، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١٠، ٢٠٠٦م.
٣٨. الموقع الرسمي لوكالة الأنباء السعودية.

٣٩. خلاصة أصول البحث، الباحث، (مخطوط).

٤٠. لقاءات خاصة مع أهل المنطقة.

***

شخصيات من الحرمين الشريفين(٤٦)
أُمُّ هانئ (١)

محمد سليمان.[١]

سيدة قرشية هاشمية، فتحت عينيها في مكة، في بيت يُعدُّ من أرقى بيوت قريش، وفي بيئة علم وشعر وأدب وشجاعة وضيافة، فتشبعت بقيم هذا البيت، وأعراف هذه البيئة وآدابها حتى غدت امرأةً جليلةَ القدر، قويّةً في شخصيتها، حكيمةً في مواقفها، رشيدةً في آرائها.. ثمَّ مسلمة صحابية فاضلة فمهاجرة، لها مواقف خالدة، حظيت بمشهور الأخبار أن يكون بيتها موضع انطلاقة معجزة عظيمة، تحدّث عنها التنزيل العزيز في الآية الأولى من سورة الإسراء:

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

لتخلُد بخلودها، وتُذكر كلما قُرئت السورة مع التدبّر والتأمل في الآية المذكورة، فلقد ارتبط اسم هذه السيدة وبيتها بهذه المعجزة؛ معجزة الإسراء، وهو ما عليه مصادر التاريخ والتفسير والحديث من أنَّ رسول الله ﷺ أُسري به من بيتها على أصحّ

---

١. محققٌ وباحث ديني.

الأقـوال، وحظيـت أيضـاً باحـترام وتقدير رسـول الله ﷺ

فمَـن هـي هـذه السـيدة الصالحة التـي اختصّـت بذلـك مـن دون النسـاء الصالحات والصحابيّـات الجليـلات على كثرتهـنَّ ؟!

***

إنّـَها أمُّ هانئ

ولـدت في مكـة المكرمـة قبـل البعثـة النبويّـة الشريفـة، ولعلّـه بأربع وثلاثين سـنة أي ٥٧٦ م لأبويـن هاشـميين؛ فأبوهـا أبـو طالـب بن عبـد المطلب بن هاشـم بن عبـد مناف بـن قـصي،... يقول ابن هشـام:

فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأُمّه.

وبـلا أدنـى ريـب أنَّ هـذا النسـب وذاك الحسـب في أشرفيتـه وأفضليتـه يحظـى بهـما أبوطالـب وأولاده أيضـاً، ويكفيه فخراً أنّه رضوان الله عليه عمُّ النبيِّ، عمُّ رسـول الله ﷺ وكفيلـه وحاميـه والمدافـع عنـه وعن رسـالة السـماء التـي أُنيطـت بـه ﷺ بشـيراً ونذيراً، تبليغـاً ورحمـةً وكافـةً للناس، فلطالمـا ذبَّ عنه أعـداءه ومناوئيـه؛ لكونه كان سـيدًا شريفًا ذا مكانـة ووجاهـة في قومـه قريش، فهـو من كبار سـاداتهم وأبرز عظمائهم، فـكان مطاعًا مهيبًـا، منيعًـا عزيـزًا فيهـم، وفوق هـذا لإيمانه بأحقيّـة رسـول الله ﷺ ورسـالته المباركة، وأنَّـه لم يـأتِ من السـماء إلّا بالحـقّ والحقّ وحـده وبالهدى.

إذن فقـد كان السـند الواعـي والحقيقي لرسـول الله ﷺ من كبرياء قريش؛ من بطشـها وأذاهـا، حتـى ترك رحيلُه إلى ربِّه في السـنة العـاشرة للبعثة النبويّة أي قبل ثلاث سـنوات مـن الهجـرة رسـولَ الله ﷺ يتحمـل ما تنـوء بحملـه الجبـال! خاصـةً وقد أعقـب رحيلَ عمّـه رحيـلُ شريكـة حياتـه ونصيرتـه أُمّ المؤمنـين خديجة الكـبرى عليها السلام، فـما كاد ﷺ يخفّ حزنـه على عمّـه رضـوان الله عليه حتـى فجع بموتها فسـمّي عـام الحزن!

وأما أمُّها فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فهي المكيّة، الهاشميّة أباً وأُمًّا، وإن تعوّد بنو هاشم أن يصهروا إلى أُسرٍ غيرهم، وكلُّ أولاد أبي طالب منها، ويبدو أنَّه لم يتزوج غيرها. أسلمت فكانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت فكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة المنورة، وهي بدريّة أيضاً... وكانت محلَّ تقدير واعتزاز ومحبّة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف لا تحظى بهذه المنزلة، وهو القائل عنها: «أُمّي بعد أُمّي التي ولدتني»؟!

مثمّناً رعايتها له، شاكراً معروفها معه طيلة سبعة عشر عاماً، فقد كانت تُفضّله على أولادها الأربعة أيما تفضيل، فتركت في حياته آثاراً طيبة، جعلته يُلبسها قميصه بعد وفاتها، ويضطجع معها في قبرها حتى التفت إليه الصحابة، وقالوا له:

ما أرينا يا رسول الله صنعت هذا!

فقال صلى الله عليه وآله: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، وإنما ألبستها قميصي؛ لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها؛ ليُهوّن عليها»!

اختلف في اسمها بين خمسة أسماء، فاختة وهو الأشهر، وهند كما قيل، وحجّة من قال: إنَّ اسمها هند، قول زوجها هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم حين هرب إلى نجران، وأسلمت أُمُّ هانئ زوجته، فبلغه إسلامها، فقال (الطويل):

أشاقتك هندٌ أم أتاك سؤالها كذاك النوى أسبابُها وانتقالها

أو: وانفتالها.

أما كنيتها أمّ هانئ؛ وهاني ابنها الأكبر، فتكاد تكون موضع اتفاق بينهم؛ وقد اشتهرت وعرفت بها. ولم ينادِها رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا بها.

أما أخوتها فأكبرهم طالب وبه كنّي أبوه، ولم يرد له ذكر إلّا أنه أخرجه مشركو مكة كرهاً إلى وقعة بدر الكبرى، وفي خبر أنَّه سأل الله تعالى أن يكون مغلوباً لا

غالباً... ولما انتهت المعركة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين، لم يعثر عليه لا أسيراً ولا قتيلاً، فلعلّه، وكما في بعض الأخبار، ترك المعركة وعاد إلى مكة مع من عاد، وبقي فيها قليلاً، وتوفي إما في مكة، أو في طريقه إلى الشام أواليمن أو غرق في البحر، ولم يعقّب فانقطع نسله.

عقيل، وكنيته أبو يزيد، أعلم قريش بالأنساب وبأيام العرب، أُخرج كرهاً من قبل مشركي مكة إلى بدر الكبرى، وأُخذ أسيراً وأُطلق بعد أن دفع العباس فديته، وأسلم. وقيل: إنه أسلم قبل صلح الحديبية، توفي سنة ستين هجرية.

جعفر، وكنيته أبو عبدالله، ذو الهجرتين، وذو الجناحين، وهو المعروف بأنه الطيار ذو الجناحين، يطير بهما في الجنة حيث يشاء؛ وذلك بعد استشهاده في مؤتة سنة ٨ هجرية.

والإمام عليٌّ عليه السلام، ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وربيبه وأخوه، وأول من آمن به، ووصيّه، وصهره، زوج ابنته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبو الحسنين عليهما السلام، وحظي بأنَّه الإيمان كلّه، مقابل الشرك كلّه، وهو واحد من خمسة أهل الكساء عليهم السلام؛ نزلت فيهم آياتا التطهير والمباهلة، وآية المودّة... ولرسول الله صلى الله عليه وآله فيه أقوال؛ منها: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبيّ بعدي»... «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...»! وأول أئمة المسلمين من أهل البيت عليهم السلام، ورابع الخلفاء بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ربِّه... قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أعلنها صريحةً مدويّةً: «فزتُ وربِّ الكعبة»، حين استشهد في محرابه بالكوفة سنة أربعين هجرية ... فولد عليه السلام في محراب واستشهد في محراب، فكانت حياته بين محرابين إيماناً واعياً، وجهاداً متواصلاً، وعلماً نافعاً، وإماماً للمتقين وسيداً للعارفين...!

ومما لا شك فيه أنَّ الأخيرين؛ أي كلاً من الإمام عليٍّ عليه السلام وجعفر رضوان الله عليه يُعدّان من أبرز أسرة أبي طالب بن عبد المطلب.

ويُقال: إنَّ لها أخاً اسمه طليق، وطليق هذا مختلف في نسبته لأبي طالب، قيل: أمّه أمة لبني مخزوم غشيها أبو طالب فحملته، فادعاه، وادعاه أيضاً رجل آخر من حضرموت، وأرادوا بيعه من الحضرمي، وقيل: أمّه علة وهي أمّ الحويرث بن أبي ذباب بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة. درج ومات صغيرًا، وليس له عقب.

أما شقيقاتها:

فلأمِّ هانئ شقيقتان: جُمانة، وأسماء. وفي قول: أعقب أبو طالب إضافةً إلى أمِّ هاني (هند أو فاختة) جُمانةَ وأمَّ طالب (رَيطة).

ولربما كانت ـ والكلام للشيخ الكرباسي ـ ولادة فاطمة بنت أسد لبناتها على شاكلة أبنائها، كلّ عشر سنوات، وذلك بولادة كلّ منهن بعد كلّ واحد منهم بخمس سنوات، فتكون ولادة أُمّ هانئ عام ٤٨ قبل الهجرة، وجُمانة عام ٣٨ قبل الهجرة، وريطة عام ٢٨ قبل الهجرة، وأسماء إن ثبت أنها ابنته عام ١٨ قبل الهجرة.

وفي طبقات ابن سعد: وذكر أنه كان لأبي طالب من البنات أمّ هانئ وجمانة وريطة، ولعلّ ريطة هي أمُّ طالب كما سمّاها محمد بن عمر في كتاب طعم النبيِّ صلى الله عليه وآله، أنه أطعم أمَّ طالب بنت أبي طالب في خيبر أربعين وسقًا. وأمُّ ولد أبي طالب كلّهم الرجال والنساء فاطمة بنت أسد. ما خلا طريق بن أبي طالب.

جُمانة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية القرشية بلا خلاف بينهم، وأمُّها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ولدتها في مكة سنة ٣٨ قبل الهجرة النبوية المباركة؛ وهي الابنة الثانية لأبي طالب بعد أمّ هانئ، تزوجها ابن عمّها أبوسفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان أخاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً وكان له تربا... فأنجبت له

جعفر بن أبي سفيان، وعبد الله بن أبي سفيان، وعاتكة. وفي قول: إنَّ والدة عبد الله بن أبي سفيان هي فغمة بنت همّام بن الأفقم.

أسلمت جُمانة وهاجرت، وأطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقًا. وقد ذكرها ابن إسحاق فيمن قسم له النبيّ ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً.

قال ابن عبد البرّ: ذكر ابن إسحاق أنَّ النبيَّ ﷺ أعطاها من خيبر ثلاثين وسقًا، ولم يكن ليعطيها إلّا وهي مسلمة. فيما زوجها لم يُسلم، وظلَّ مدافعاً عن عبادة الأصنام، حتى مكث عشرين سنة مناوئًا لرسول الله ﷺ محارباً له؛ لم يتخلّف عن أي وقعة لقتال المسلمين حتى فتح مكة أو قبيلها، فأسلم واعتذر إلى رسول الله ﷺ فحسن إسلامه وثبت في حنين، وتوفي في المدينة سنة ٢٦ هجرية.

وفاتها: عدد ممن ترجم لحياتها لم يذكر وفاتها، فيما آخرون ذكروا، ولكنهم اختلفوا في وقتها، فإما في حياة النبيِّ ﷺ وهذا يتعارض مع ما إذا صحّ من أنَّ بعض التابعين: كعطاء، ومجاهد، وابن كثير، وغيرهم يخرجون إلى التنعيم، على مشارف مكة المكرمة من خيمتها للاعتمار، وهو ما أخرجه الفاكهي في كتاب مكة من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، قال: أدركت عطاءً ومجاهداً وابن كثير وأناساً؛ إذا كان ليلة سبع وعشرين من رمضان، خرجوا في التنعيم واعتمروا من خيمة جمانة وهي بنت أبي طالب.

خاصةً إذا عرفنا أنَّ عطاءً ولد سنة سبع وعشرين، وقد سُئِل عن موعد مولده قال: لعامين خَلَوا من خلافة عثمان، وتوفي سنة أربع عشرة ومائة و قيل: مات سنة خمس عشرة ومائة. وأنَّ مجاهداً ولد سنة إحدى وعشرين وتوفي سنة ١٠٤ هجرية، وأما ابن كثير، فقد ولد سنة ٤٥ هجرية وتوفي سنة ١٢٠ هجرية. فمعناه أنَّها عاشت بعد رسول الله ﷺ ولم تتوفَّ في حياته ﷺ. وإما أنَّها تُوفيت بعد عام ٤٠ أو ٦٠ هجرية.

وسيأتينا آخر المقالة عما قيل من دورٍ لها في واقعة الطف؛ كربلاء الإمام الحسين عليه السلام.

فإن صحَّ فوفاتها بعـد ٦١ هجرية.[١]

زواج أُمِّ هانئ:

كادت أن تكـون زوجـةً لرسـول اللهﷺ عـبر فرصتـين أو ثـلاث فرص، فتكـون أُمًّا للمؤمنـين، وذلـك حين خطبهـاﷺ مرّتـين وفي الثالثة عرضت نفسـها عليـهﷺ لولا آية الهجرة ،كـما ذكرت بعـض مصـادر التاريخ.

الأولى: خطبهـا قبـل البعثـة النبويـة المباركة مـن عمِّـه أبي طالب، فاعتذر كـما في كتاب المحـبر؛ وتحت عنـوان: «وممن لم يتزوجهـا أمّ هانئ، وهي هند بنـت أبي طالب»، وكانﷺ خطبهـا في الجاهليـة إلى أبي طالـب، وخطبهـا هبـيرة بـن أبي وهـب بـن [عمرو بـن] عائذ بـن عمـران بن مخـزوم. فـزوج هبيرة. فقـال لهﷺ: «يا عـم! أزوجـتَ هبـيرةَ وتركتَني؟» فقـال: «يا ابـن أخي! إنـا قد صاهرنـا إليهـم، والكريم يكافـئ الكريم.[٢]

وكـما عـن هشـام بـن محمـد بـن السـائب الكلبـي عـن أبيـه عـن أبي صالـح عـن ابن عبـاس، قـال: خطـب النبـيُّﷺ إلى أبي طالب ابنتـه أُمَّ هانـئ في الجاهليـة، وخطبها هبيرة بـن أبي وهـب بـن عمـرو بـن عائذ بـن عمـران بـن مخـزوم. فتزوّجهـا هبيرة.

---

١. انظـر في هـذا كلـه: السـيرة النبويـة، لابـن هشـام١: ٢، ١١٠: ٢٧١؛ الإصابـة في تمييـز الصحابـة؛ الاسـتيعاب في معرفـة الصحابة: أمُّ هانـئ، جمانة؛ الطبقات، لابن سـعد١: ٤، ١٢٢،١٢١: ٤٩ـ٥١، ٨: ٤٨، ٨: ١٥١؛ أسـد الغابـة، ابـن الأثـير٥: ٦٢٤، ٣: ٤٢٣ـ٤٢٤،٢: ٢٨٧؛ أنسـاب الأشراف، للبـلاذري٢: ٢٣، ٤٢، ٤٣، ٧٧،٧١، ٦٩؛ وانظـر في العـدد الخـاص بالإمـام عـليٍّعليه السلام العـدد ١٤؛ والعـدد١٨: ١٢٢أبـو طالـب مـأوى الرسـول والرسـالة؛ أعيان الشـيعة، للسـيد محسـن الأمين٤: ٢١٩؛ معجـم أنصار الحسـينعليه السلام، (النسـاء) محمدصـادق الكرباسي؛ سـير أعلام النبـلاء، للذهبي: ١١٨فاطمة بنت أسـد؛ جمهرة النسـب، لابن الكلبـي ١: ١٢٨؛ والمعارف، لابن قتيبـة: ١٢٠، ١٥٦، ٢٠٧ـ٢٠٨؛ شرح نهـج البلاغـة، لابـن أبي الحديـد١: ١٥؛ بحارالأنـوار ١٩: ٥٩؛ وانظر في إسـلام زوج جُمانـة: المغـازي للواقـدي ٢: ٨٠٧ـ٨٠٩ وفيـه كلام طويل.

٢. كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي، المتوفى٢٤٥هجرية:٩٧ـ٩٨. بلا سند.

فقال النبيُّ ﷺ: يا عم زوّجتَ هبيرةَ وتركتني؟ فقال: يا ابن أخي، إنّا قد صاهرنا إليهم، والكريم يُكافئ الكريم![1]

وهكذا ذكره الحافظ في الإصابة ٨ : ٣١٧ بالسند نفسه. وغيرها من المصادر.

وقد ناقش بعضهم في السند المذكور، فعدَّه سنداً تالفاً؛ (هشام متروك، وأبوه متهم بالكذب وخاصة فيما يرويه عن أبي صالح، وأبو صالح لم يرَ ابن عباس...).[2]

ولم أعثر على هذا الخبر فيما تيسّر لي من مصادر شيعيّة.

إذن تمَّ زواجها من هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .. ولم تتزوج غيره حتى توفيت.

الثانية: وحتى لما خطبها رسول الله ﷺ مرّةً ثانية بعد أن انفصلت عن زوجها بسبب كفره وإسلامها، ولكن هذه الخطبة انتهت كما هو معنى كلامها؛ باعتذارها بوجود أولادها، وقد لا تستطيع التوفيق بين حقّهم وحقِّ الزوج، وعذره ﷺ إياها.

فعن كتاب المحبر: فولدت لهبيرة هانئاً ويوسف وجعدة. ثم أسلمت، ففرق الإسلام بينهما. فلما جاء الإسلام، خطبها النبيُّ ﷺ إلى نفسها، فقالت: إن كنتُ لأحبّك في الجاهلية، فكيف في الإسلام! ولكني امرأة مصيبة، وأكره أن يؤذوك! فقال ﷺ: «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»!

وكذا قال ابن سعد: ثُمَّ أَسْلَمَتْ، فَفَرَّقَ الإِسْلامُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هُبَيْرَةَ، فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى نَفْسِهَا. فَقَالَتْ: وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لأُحِبُّكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ فِي الإِسْلامِ؟ وَلَكِنِّي امرأة مُصيبة (أي: ذات صبية) وَأَكْرَهُ أَنْ يُؤْذُوكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْمَطَايَا نِسَاءُ قُرَيْشٍ. أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»!

---

١. طبقات ابن سعد ٨ : ١٢٠ .

٢. انظر: لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني ٦ : ١٩٦ رقم ٧٠٠ .

وفي رواية أخرى، أنها قالت: يا رسول الله ﷺ، لأنت أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، وحقُّ الزوج عظيم، فأخشى إن أقبلتُ على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي، وإن أقبلتُ على ولدي أن أضيع حقَّ الزوج! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل في ذات يده». قيل: إنَّ أمَّ هانئ لما بانت عن هبيرة بإسلامها، خطبها رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة مصبية. فسكت عنها.[1]

وفي الكافي: عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام، قال: خطب النبيُّ ﷺ أمَّ هاني بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني مصابة في حجري أيتام، ولا يصلح لك إلّا امرأة فارغة! فقال رسول الله ﷺ: «ما ركب الإبل مثل نساء قريش؛ أحناه على ولد، ولا أرعى على زوج في ذات يديه»!

أقول: كلمتها (في حجري أيتام) ولا يوصف الطفل بأنه يتيم إلّا لأنه فقد أباه قبل البلوغ، فيما الذي فرّق بينها وبين هبيرة هو إسلامها لا وفاة زوجها هبيرة الذي مات في نجران بعد أن فرَّ.[2]

ومدحُ نساء قريش، الوارد في هذه الأخبار، تكرر أيضاً في عدّة روايات أُخر عن رسول الله ﷺ بعيداً عن أُمّ هانئ، منها: عدة من أصحابنا، عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائكم نساء قريش، ألطفهن بأزواجهن وأرحمهن بأولادهن، المجون لزوجها الحصان لغيره، قلنا: وما المجون؟ قال: التي لا تمنع».

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن

---

١. كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي: ٩٨؛ الطبقات ٨: ١٢٠؛ سير أعلام النبلاء: الصحابة: أُمّ هانئ.

٢. الفروع من الكافي، للكليني ٥: ٣٢٦ـ٣٢٧ باب: فضل نساء قريش رقم ٣.

الرحال نساء قريش؛ أحناه على ولد وخيرهن لزوج»!

الحانية أي المشفقة على زوجها وأولادها، قال الجزري: الحانية التي تقيم على ولدها لا تتزوج شفقةً وعطفاً ومنه الحديث في نساء قريش: أحناه على ولد وأرعاه على زوج! و(أحناه) في النهاية: الحانية التي تقيم على ولدها، ولا تتزوج شفقةً وعطفاً، ومنه الحديث في نساء القريش: «أحناه على ولد وأرعاه على زوج». إنما وحد الضمير في أمثاله ذهاباً إلى المعنى تقديره: أحنى من وجد أو خلق أو من هناك. وهو كثير في العربية ومن أفصح الكلام.

المجون: الصلب الغليظ، ومن لا يبالي قولاً وفعلاً.[1]

وفي الثالثة: عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله في وقت لم يجز له نكاحها؛ لعدم كونها من المهاجرات، كما في الآية: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ ا للاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ**﴾.[2]

فأحلّ الله له صلى الله عليه وآله بنات عمّه وعمّاته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهنّ دون من لم يهاجر منهنّ معه.

ففي خبر: ... فلما أدرك بنوها، عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله فقال: «أما الآن فلا؛ لأنَّ الله أنزل عليه: ﴿... **ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ**﴾ ولم تكن من المهاجرات».[3]

أولادها:

اختلف في عدد من ولدتهم أمُّ هانئ بنت أبي طالب بين ثلاثة وأربعة بنين: هانئ

---

١. بحار الأنوار، للمجلسي ٤٣: ١٧، ح١٥، باب ٢: ؛ الفروع من الكافي، للكليني ٥ هامش ٣٢٦ رقم ٢، باب فضل نساء قريش، وهامش الصفحة.

٢. سورة الأحزاب: ٥٠.

٣. الطبقات لابن سعد ٨: ١٥١ـ١٥٣، وغيره.

وبه كانت تُكنى، وعمراً وجعدة ويوسف. ولدت أربعة بنين: جعدة وعمرًا وهانئًا ويوسف، فيما يقول صاحب المحبر: فولدت لهبيرة هانئاً ويوسف وجعدة. وفي قول: أربعة بنين أحدهم جعدة.

فيما ذكر كلٌّ من ابن منده وأبي نعيم: جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ابن بنت أُمِّ هانئ. وهذا القول يردّه ابن الأثير قائلاً: أما قول ابن منده، وأبي نعيم: إنَّ جعدة هو ابن بنت أمّ هانئ، هذا وهم منهما، وليس بابن ابنتها، إنما هو ابنها لا غير، على أنَّ أبا نعيم يتبع ابن منده كثيرًا في أوهامه، والله أعلم.

أقول: ولأنَّ جعدة كان أبرز أولادها، نقف عنده قليلاً، فهو ابن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي. وهو القائل من الطويل:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ... و من هاشمٍ أُمّي لخير قبيل

فمن ذا الذي يَبأى (يبهى) عليَّ بخاله ... كخالي عليٍّ ذي الندى وعقيل؟!

يبأى : يفخر.

صحبته لرسول الله ﷺ

اختلف في صحبته بين قائلٍ بها، وبين قائلٍ بالرؤية، وثالث قال بأنه من التابعين، وهذه بعض أقوالهم: ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ، فقال: جعدة بن هبيرة المخزومي. يُقال: إنه ولد على عهد النبيِّ ﷺ، وليست له صحبة، نزل الكوفة.

في الإصابة: ولد على عهد النبيّ ﷺ، له رؤية بلا نزاع، فإنَّ أباه قتل كافراً بعد الفتح. وقال ابن منده مختلف في صحبته، وقال البخاري: له صحبة. وفي قول آخر ذكره البخاري وأبو حاتم وابن حبان في التابعين. وقال ابن حبان: لا أعلم لصحبته شيئاً صحيحاً اعتمد عليه. وقال البغوي: ولد على عهد النبيِّ ﷺ وليست له صحبة. وفي تهذيب التهذيب: جعدة بن هبيرة له صحبة، و ذكره البغوي في الصحابة لكن

قال: يقال إنه ولد على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وليست له صحبة، وعن أبي داود لم يسمع من النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً.

وأما ابن أبي الحديد فيقول عنه:.. وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح مع أُمّه أمّ هانئ بنت أبي طالب، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزبعرى إلى نجران.

وقال الحاكم في تاريخه يقال: إنَّ له رؤية. فيما قال الآجري: قلت لأبي داود: وجعدة بن هبيرة له رؤية؟ قال: لم يسمع من النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً - قلت - أما كونه له رؤية فحقٌّ؛ لأنه ولد في عهد النبيِّ صلى الله عليه وآله، وهو ابن بنت عمّه، وخصوصية أمّ هانئ بالنبيّ صلى الله عليه وآله شهيرة. وقال العجلي: مدني تابعي ثقة... وذكره العسكري فيمن روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله مرسلاً ولم يلقه.

أما عن منزلته :

عند الإمام عليٍّ عليه السلام وأنَّه من أصحابه، فهو أمر معروف لم يُختلف عليه، فقد روى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «كان مع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة نفر، وكانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية، وعدَّ من الخمسة جعدة بن هبيرة المخزومي. قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك، فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك»!

والخمسة هم كما في رواية عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:«.. فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس، وكان معه هشام بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، ومحمد بن أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة والخامس سلف أمير المؤمنين عليه السلام ابن أبي

العـاص بـن الربيعة».

وقـال الشـيخ الطـوسي في رجالـه:.. في أصحاب عـليٍّ عليه السلام جعدة بن هبـيرة المخزومي ابـن أخـت أمير المؤمنـين عليه السلام، أمّـه أمُّ هانئ بنـت أبي طالب.

وإضافـةً إلى كونـه كان فقيهـاً، كان شريفـاً، كان شـجاعاً، كان شـاعراً، نـزل عـليٌّ عليه السلام بالكوفـة عـلى جعـدة، وأنـه ولّاه خراسـان. ففي أسـد الغابة، قال هشـام الكلبـي: جعدة بـن هبـيرة ولي خراسـان لعـليٍّ، أمـا ابـن أبي الحديـد فيقـول عنـه: وأمـا جعدة بـن هبيرة، فهـو ابـن أخـت أمـير المؤمنـين عليه السلام، أمّـه أمُّ هانـئ بنـت أبي طالـب بـن عبـد المطلـب بن هاشـم، وأبـوه هبيرة بـن أبي وهب... وكان جعدة فارسـاً شـجاعاً، فقيهاً، وولى خراسـان لأمير المؤمنـين عليه السلام... نـصّ عـلى عدالته ووثاقته حينـما أمره الإمام عليه السلام بالصـلاة فجر اليوم الـذي ضربـه ابـن ملجم، بعـد أن قالـت لـه أمّ كلثوم: مـر جعدة فليصـل بالنـاس، قال: نعـم مـروا جعدة فليصـل بالنـاس، وأنَّه صـلّى الغـداة بالناس بعدمـا أُصيـب الإمام عليه السلام.

يقـول الشـيخ المامقـاني عنـه: «... ومن لاحظ شـدّته في حـرب صفّين مـع خاله عليه السلام، ومقاماتـه مـع معاويـة بعد عـام الجماعـة، يعـرف قـوّة إيمانه، ونصرتـه لأهـل البيت عليهم السلام، فـلا أقـل من حسـنه، بـل يمكن إثبـات وثاقتـه وعدالته مـن توليته أمـير المؤمنـين عليه السلام إيّاه خراسـان قبل حـرب صفّين، و شـدّة حبّه عليه السلام له؛ لعـدم تعقّل توليته عليه السلام غـير العدل الثقة الأمـين عـلى رقاب النـاس وأموالهـم، وأعراضهم وأحكامهـم، وقد حظى عنـده عليه السلام بعد صفّـين لمّـا رأى مـن بسـالته وثباتـه، وشـدّة شـكيمته... إلى أن يقـول: حصيلـة البحث لم أجـد مغمـزاً في المترجـم، ومواقفه المشرفة تحـت راية خالـه العظيم صلوات الله و سـلامه عليـه، وأقواله المخرسـة لأعدائـه، وتفانيه في الـولاء لإمام زمانه، و حـبّ أمير المؤمنين عليه السلام لـه، وتقديـم أمير المؤمنـين عليه السلام عنـد ما ضربـه الملعـون ابن ملجم لإكـمال الصلاة، و شـدّة اهتمامـه عليه السلام بـه... كلّ ذلـك يجعلـه فـوق مرتبـة الوثاقـة، فالحكـم بوثاقتـه وجلالتـه هـو المتعين».

معجم رجال الحديث: جعدة بن هبيرة المخزومي، يقال: إنه ولد في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، وليست له صحبة، نزل الكوفة، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، رجال الشيخ؛ وذكره في أصحاب علي عليه السلام قائلاً: ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام، أمّه أمّ هاني بنت أبي طالب عليه السلام. وروى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر بسند قوي، عن عبد الله بن سنان، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من قريش خمسة نفر... وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك».

ودارت مناظرة في وقعة صفين بين الاثنين، عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة، لا تخلو من الصراحة والمفاخرة، وفيها من الحقّ والباطل شيء نافع نوجزها، وقد ابتدأها نصر بن مزاحم يصف جعدة قائلاً: وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبّ الناس إلى عليٍّ عليه السلام. ثمَّ يقول: فغدا عليه عتبة فنادى: أيا جعدة، أيا جعدة! فاستأذن عليًّا عليه السلام في الخروج إليه، فإذن له، واجتمع الناس لكلامهما. فقال عتبة: يا جعدة، إنه والله ما أخرجك علينا إلّا حبُّ خالك... وإنا والله ما نزعم أنَّ معاوية أحقّ بالخلافة من عليٍّ لولا أمره في عثمان. ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرق، إلّا وهو أجد من معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جد عليّ في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعليّ أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.

فقال جعدة: أما حبّي لخالي، فوالله أن لو كان لك خال مثله لنسيتَ أباك، وأما فضل عليٍّ عليه السلام على معاوية، فهذا ما لا يختلف فيه اثنان. وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل. وأما قولك إنه ليس بالشام من رجل إلّا وهو أجد

مـن معاويـة، وليـس بالعـراق لرجل مثل جـد عليّ، فهكـذا ينبغـي أن يكون، مـضى بعليّ يقينـه، وقـصر بمعاوية شـكّه، وقصد أهل الحـقّ خير من جهـد أهل الباطـل. وأما قولك نحـن أطـوع لمعاويـة منكـم لعليّ عليه السلام، فـوالله ما نسـأله إن سـكت، ولا نـرد عليـه إن قال. وأمـا قتـل العرب فـإنّ الله كتـب القتـل والقتال، فمـن قتله الحقّ فـإلى الله.

فغضـب عتبة وفحش على جعـدة، فلم يجبه وأعرض عنه وانصـرفا جميعاً مغضبين... وتهيـأ جعـدة بما اسـتطاع فالتقيـا، وصبر القـوم جميعاً، وباشر جعـدة يومئذ القتال بنفسـه، وجـزع عتبة، فأسـلم خيلـه وأسرع هاربـاً إلى معاوية، فقال له: فضحـك جعدة، وهزمتك (ويهزمـك) لا تغسـل رأسـك منها أبـداً. قال عتبـة: لا والله لا أعـود إلى مثلها أبـداً، ولقد أعـذرت، ومـا كان عـلى أصحـابي مـن عتـب ولكـن الله أبـى أن يديلنـا منهم فـما أصنع! فحظى بهـا جعدة عنـد عليٍّ عليه السلام.

فقال النجاشي: فيما كان من شتم عتبة لجعدة شعراً (ثلاثة عشر بيتاً)، منها:

إنَّ شـتمَ الكريم يا عتـبَ خطبٌ ... فاعلمنـه مـن الخطـوب عظيـمُ

أمُّـه أمُّ هانـئ وأبـوه ... مـن معـد ومن لـؤي صميـم ...

وقال الشنيٌّ في ذلك لعتبة في (اثني عشر بيتاً) كان منها :

مـا زلـــتَ تنظـر في عِطفيـك أُبَّهَـةً ... لا يرفعُ الطرفَ منـك التّيهُ والصّلفُ...

حتـى لقيـتَ ابـن مخـزوم وأيّ فتًـى ... أحيـا مآثـرَ آبـاءٍ لـه سـلفوا.[1]

---

١. أُسـد الغابـة، لابـن الأثـير ؛ الإصابـة في تمييـز الصحابـة ؛ الطبقـات لابـن سـعد ؛ كتـاب المحـبر، للبغـدادي (ت٢٤٥هـ) :٩٧ـ٩٨ ؛ الاسـتيعاب، لابـن عبد البر١ : ٢٤١ رقـم ٢٢٤ :جعدة ؛ شرح نهـج البلاغـة؛ لابـن أبي الحديـد١٠ : ٧٧ـ٧٨ ؛ أعيان الشـيعة، محسـن الأمـين ٤ : ٧٨ ؛ الاختصاص، للشـيخ المفيد : ٧٠ وهامشـها ؛ رواه الكشي في رجاله: ٤٢ ؛ خاتمة مسـتدرك الوسـائل؛ للشيخ النوري ٧ : ٢١٥ رقـم ٣٩٠ ؛ بحـار الأنـوار، للعلامـة المجلسي ٤٢ : ٢٢٦ ؛ ٣٨ ؛ تنقيـح المقال، للمامقاني١٤ : ٣٤٥ـ٣٥١ ؛ معجـم رجال الحديث، للسـيد الخوئـي٤ : ٣٦٤-٣٦٥ رقـم ٢١٠٥ جعدة بن هبيرة ؛ وقعـة صفين، لابـن مزاحـم : ٤٦٣ـ٤٦٦ .

الإسراء :

قدّمتُ ذكر الإسراء المبارك على ذكر إسلامها؛ لأنَّه يمكن أن يكون خير دليل على سابقيتها لاعتناق الإسلام، وأنَّه وقع في مكة قبل الهجرة النبويّة إلى يثرب؛ المدينة المنوّرة بنور رسول الله ﷺ حين حلَّ بها!

وقد ذكرت جميع المصادر هذه الحادثة، وأغلبها ذهب إلى أنَّ رسول الله ﷺ أَسرى اللهُ عزَّ وجلَّ به من بيت أُمِّ هانىء، فإن صحَّ هذا، فقد دلّ على سموِّ هذه المرأة الصالحة ومنزلتها الكبيرة في السماء وفي عين النبيِّ ﷺ وبين الناس، ولا غرابة أن تُكرمها السماء بأن تكون انطلاقة هذه المعجزة الخالدة من بيتها؛ بل كما كانت دارها منطلقاً لرحلته كانت مستقراً لعودته ﷺ حتى تكون أول من يسمع حديث الإسراء والمعراج من الفمِّ الطاهر لرسول الله ﷺ ولتُسجل لها منقبة تكشف عن عظيم ثقته ﷺ بها، وجلالة مكانتها عنده، وتضاف إلى ما تحمله من مناقب جليلة وذات طيبة ونسب رفيع وأسرة زكية، فهي ابنة سيد البطحاء وابنة عمِّ سيد البشر وأخت سيد الأوصياء..!

فآية الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾.[1] آية مكيّة في سورة مكيّة، تُخبرنا بأعظم حدث حيث كمال قدرته عزَّ وجلَّ وجلالة حكمته، تجلّتا في انبثاق إسراء أعزّ خلقه وأفضلهم: ﴿**مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا**﴾ مقدمةً لعروجه ﷺ إلى ما فوق السموات كما في سورة النجم، فكانت له ﷺ منقبةً عظيمةً ومعجزةً مباركةً خالدةً.

وأهمّ شيء علينا الانتباه إليه، ونحن نقرأها بتدبّر أن الله عزَّ وجلَّ حصر ذلك الإسراء بإرادته ونسبه إلى قدرته، وهو دليل على أنّ هذه الحركة المباركة لرسول الله ﷺ بين المسجدين ولخارقيتها المذهلة للمسافة وللوقت، لا تتمُّ ولا يكتمل إنجازها بدءًا

١. سورة الإسراء : ١.

واستمراراً وانتهاءً إلّا بقوّته وقدرته وحكمته سبحانه وتعالى، وليس لبشرٍ مهما أُوتي من علمٍ وقدرةٍ أن يقوم بها، فهي أكبر من قدرات البشر، بل وعصية على التفكير والتخطيط لها، وبعيدة كلّ البعد حتى عن مجرّد تصورها، ثمّ اكتملت بالمعراج إلى حيث السموات العلى؛ ليُشكّلا معاً معجزةً اختصت السماءُ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلته يتفرّد بها دون غيره من أنبياء ومن رسل على عظم قدرهم وجلالتهم وقربهم من الله تعالى، وما أحسن ما قاله ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه، عن عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري،... وأمّ هانئ بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلّ يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسري به، وكان في مسراه صلى الله عليه وآله وما ذكر منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه. فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق. وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين. فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد. حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد.

وما أجلَّ ما ذكره القشيري:.. ويقال أخبر عن موسى عليه السلام، حين أكرمه بإسماعه كلامه من غير واسطة، فقال: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا**﴾،[1] وأخبر عن نبينا صلى الله عليه وآله بأنه ﴿**أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾، وليس مَنْ جاءَ بنفْسِه كمنْ أَسْرَى به ربُّه، فهذا مُتَحَمِّلٌ وهذا محمول، هذا بنعت الفَرْقِ وهذا بوصف الجمع، هذا مُرِيدٌ وهذا مُرَادٌ!.. ثم أراه من آياته تلك الليلة ما عَرَفَ به صلوات الله عليه أنه ليس أحدٌ من الخلائق مثْلَه في نبوّته ورسالته وعلوِّ حالته وجلال رتبته.[2]

هذا وإن وصِفَ كلٌّ من الإسراء والمعراج بالمعجزة؛ لكنهما ضمّا معاجز أُخر ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ**﴾، من عجائب صنعنا وحقائق قدرتنا في السموات والأرض وما بينهما،

---

١. سورة الأعراف: ١٤٣ .

٢. السيرة النبوية، لابن هشام : الإسراء ؛ تفسير لطائف الإشارات، القشيري (ت ٤٦٥ هـ) .

وجاءﷺ منهما بما رآه من مشاهد الآخرة، وبأحكام عباديّة وعقائديّة ومواعظ ومفاهيم وآداباً ... ولعلَّ بذلك تحققت حكمة الإسراء!

وبعيداً عن الأخبار والأقوال المختلفة في مكان انطلاق الإسراء من مكة المكرمة، فإنَّ ظاهر الآية المباركة بل صريحها: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا**﴾، واضح في تحديد انطلاق الإسراء من المسجد الحرام، وجعلت غايته المسجد الأقصى؛ ليبدأﷺ من هناك معراجهﷺ إلى ذلك العالم الغيبي حيث السموات العلى، وحيث سدرة المنتهى.

وقد راحت هذه المرأة الصالحة، تُحدّثنا عن انطلاقة هذه المعجزة من بيتها وهو قول أكثر المفسرين «أنه أُسري به من بيت أمّ هانىء»، وروي عنها وعن غيرها أنَّ الحرم كلَّه مسجد... وأنَّ النبيَّﷺ كان في منزلها ليلة أسري به.

الطبرسي: وقال أكثر المفسرين أسري برسول اللهﷺ من دار أمِّ هانىء أخت علي بن أبي طالب، وزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وكانﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها، وأنَّ المراد بالمسجد الحرام هنا مكة، ومكة والحرام كلّها مسجد.

في كتاب «السيرة النبوية»، لابن هشام في حديثه عن الإسراء والمعراج أنَّ النبيَّﷺ، قد أسرى الملائكة به من بيت «أمّ هانىء» وجاء عن محمد بن إسحاق أنه ما بلغه عن «أمّ هانىء» أنها كانت تقول: ما أسرى برسول الله إلّا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلة في بيتي، فصلّى العشاء، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، فلما صلّى الصبح وصلينا معه، قال: «يا أمَّ هانىء، لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئتُ بيت المقدس، فصليتُ فيه، ثم قد صليتُ صلاة الغداة معكم الآن كما ترين».

ولأمّ هانىء، بعد أن سمعت من فمه الطاهر المبارك حديث الإسراء والمعراج، وكانت بذلك أول من سمعته، موقفها حين ظلّت مشدودةً إلى قلقها عليهﷺ، وحين

أبـدت تخوفها من تكذيب قومه له بسـبب غرابـة الواقعة، ولم تكتفِ بذلـك، حتى أخذت بردائـه صلى الله عليه وآله كـما حدّثت قائلـةً: ثم قام ليخـرج، فأخذتُ بطـرف ردائه، فتكشـف عن بطنه كأنـه قبطيـة مطويـة (ثـوب من ثيـاب أهـل مصر) فقلـت له: يـا نبـيَّ الله، لا تحـدث بهذا النـاس، فيكذبـوك ويؤذوك! قـال: «والله لأحدثنهمـوه». قالت: فقلت لجارية لي حبشـية: ويحـك! اتبعي رسـول الله صلى الله عليه وآله حتى تسـمعي مـا يقول للنـاس، وما يقولون لـه. فلما خرج رسـول الله صلى الله عليه وآله إلى النـاس، أخبرهـم فعجبـوا، وقالـوا: ما آية ذلـك يا محمد؟ فإنا لم نسـمع بمثل هـذا قطّ!

قـال: «آيـة ذلـك أنى مررت بعـير بنى فلان بـوادي كذا وكـذا، فأنفرهم حـسّ الدابة، فنـدَّ لهـم بعـير (شرد ونفر) فدللتهم عليـه، وأنا موجه إلى الشـام. ثم أقبلت حتـى إذا كنت بضجنـان.[1] مـررت بعـير بنى فـلان، فوجـدت القـوم نيامـاً، ولهم إنـاء فيه ماء قـد غطوا عليـه بشـيء، فكشـفتُ غطـاءه وشربتُ مـا فيه، ثـم غطيتُ عليـه كـما كان، وآية ذلـك أنَّ عيرهـم الآن تصـوب مـن البيضـاء، ثنيـة التنعيـم، يقدمهـا جمـل أورق (لونه بين السـواد والغـبرة)، عليه عرارتـان إحداهما سـوداء، والأخـرى برقاء».

قالـت: فابتـدر القـوم الثنيـة، فلم يلقهـم أول مـن الجمل كـما وصف لهم، وسـألوهم عـن الإنـاء فأخبروهـم أنهم وضعـوه مملوءًا مـاءً ثم غطّـوه، وأنهـم هبوا فوجـدوه مغطًى كـما غطّـوه، ولم يجدوا فيـه ماءً. وسـألوا الآخريـن، وهم بمكـة، فقالوا: صـدق والله، لقد أنفرنـا في الـوادي الـذي ذكـر، ونـدَّ لنـا بعير، فسـمعنا صـوت رجـل يدعونا إليـه، حتى أخذناه.

سـيد قطـب: ومما يلاحظ بمناسـبة هـذه الواقعة، وتبـين صدقها للقـوم بالدليل المادي الـذي طلبـوه يومئـذ في قصة العـير وصفتها أنَّ الرسـول صلى الله عليه وآله لم يسـمع لتخـوف أمِّ هانىء رضي الله عنهـا مـن تكذيـب القوم له بسـبب غرابـة الواقعة. فـإنَّ ثقة الرسـول صلى الله عليه وآله بالحقّ

١. انظر كتاب معالم مكة التاريخية والأثرية ١ : ١٥٩ ، ضجنان .

الـذي جـاء بـه، والحقّ الـذي وقع لـه، جعلته يصـارح القـوم بـما رأى كائناً مـا كان رأيهم فيـه. وقـد ارتد بعضهـم فعـلاً، واتخذها بعضهم مادة للسـخرية والتشـكيك.

ولكـن هـذا كلـه لم يكن ليقعد الرسـول صلى الله عليه وآله عـن الجهر بالحـقّ الذي آمن بـه.. وفي هذا مثـل لأصحاب الدعـوة أن يجهروا بالحقّ لا يخشـون وقعه في نفوس النـاس، ولا يتملقون بـه القـوم، ولا يتحسسـون مواضـع الـرضى والاستحسـان، إذا تعارضت مـع كلمة الحقّ تقـال كذلـك يلاحـظ أنَّ الرسـول صلى الله عليه وآله لم يتخذ مـن الواقعة معجـزة لتصديق رسـالته، مع إلحـاح القـوم في طلـب الخـوارق، وقـد قامـت البينـة عندهـم عـلى صـدق الإسراء عـلى الأقـل، ذلـك أنَّ هـذه الدعـوة لا تعتمـد عـلى الخـوارق، إنـما تعتمـد عـلى طبيعـة الدعوة ومنهاجهـا المسـتمد مـن الفطـرة القويمة، المتفقة مـع المـدارك بعد تصحيحهـا وتقويمها. فلـم يكـن جهـر الرسـول صلى الله عليه وآله بالواقعة ناشـئاً عن اعتـماده عليهـا في شيء من رسـالته، إنما كان جهـراً بالحقيقة المسـتيقنة لـه لمجرد أنهـا حقيقة.[1]

دار أُمّ هانئ :

كتـب لهـا أن تكـون أول امـرأة تسـمع حديـث الإسراء والمعـراج لرسـول الله صلى الله عليه وآله ولبيتهـا أن يكـون موضعـاً طيباً لانطلاقـة الرحلة المعجـزة ذهابـاً واسـتقبالاً، انطلق منها رسـول الله صلى الله عليه وآله في إسرائـه ونـزل فيهـا مـن معراجـه، وصـلّى وأكل فيهـا في فتـح مكة، كما عليـه أكثـر الأخبـار والأقـوال، وظلّـت ذكراها تتجـدد كلّ عـام مقترنةً بذكـرى الإسراء والمعـراج حتـى يومنـا هذا وسـتبقى، حـين حظيت بهـذا الـشرف، شرف إسرائـه صلى الله عليه وآله من بيتهـا وفـرج له سـقفه، ليتـمَّ معراجه نحـو السـماء...، وتاريخيًّا كانـت هذه الـدار مباركة، فهـي موضـع أول بئـر حفـرت بمكـة، حفرهـا جدُّهـا الرابـع قصـي، ومـا أن زاد محمد المهـدي العبـاسي سـنة ١٦٤ هجرية زيادتـه العظيمة في المسـجد الحرام، حتـى دخلت هذه

١. مجمع البيان، للطبرسي ؛ السيرة النبوية٢: ٢٦٨ـ٢٧٣ ؛ في ظلال القرآن، سيدقطب : الآية .

الـدار وبئرهـا فيـه، ومـن هـذا يتضـح أنَّ دارهـا التـي كان النبـيّ ﷺ فيهـا ليلـة أسري به ليسـت بعيـدة عن المسـجد الحرام، بل هـي بجواره ذلـك الوقت فعـلى هذا كانـت دار أمّ هانـئ، بجـوار المسـجد الحـرام في ذلك الوقـت، فيكون محلها اليـوم حصوة بـاب الوداع، فيكـون بـين دار أمّ هانئ و بين الكعبة المشـرفة نحـو أربعين متراً تقريبـاً. والله تعالى أعلم.

فقـد قـال عنهـا الأزرقـي في تاريخه وفي عـدّة مقاطـع متباعدة مـن كتابـه: «وكانت بئر قـصي بـن كلاب الأولى التـي احتفرها في دار أمّ هـاني ابنة أبي طالـب. كان موضعها في دار أمّ هـاني بنـت أبي طالـب بالحـزورة، الحزورة وهي كانت سـوق مكـة، كانت بفنـاء دار أمّ هـاني ابنـة أبي طالـب التـي كانـت عند الحناطـين، فدخلـت في المسـجد الحـرام، كانت في أصـل المنـارة إلى الحثمة.

كان يقـال لهـا العجول (مـن العجلة ضد البـطء) (بئر العجـول: كانت بباب رواق أم هانـئ، ثـم دخلت الـدار والبئر في المسـجد في زيـادة المهـدي)، وكانت العـرب إذا قدمت مكـة يردونها، فيسـقون منهـا ويتراجـزون عليها؛ قال قائـل فيها:

أروى مـن العجـول ثمـت انطلـق إنَّ قصيًّـا قـد وفى وقـد صـدق

بالشبع للحي وري المغتبق...

دار أمّ هانـئ بنـت أبي طالـب التـي عنـد الحناطـين عنـد المنـارة، فدخلـت في المسـجد الحـرام حين وسـعه المهـدي في الهدم الآخر سـنة سـبع وسـتين ومائـة... ثم بنـى منحدراً حتـى دخلـت دار امّ هـاني بنت أبي طالب، وكانـت عندها بئر جاهليـة، كان قصي حفرها، فدخلـت تلـك البئر في المسـجد، فحفر المهـدي عوضاً منها البئـر التي على بـاب البقالين، الـذي في حـدّ ركن المسـجد الحرام اليـوم...».[1]

وهـذا مـا ذكره المـؤرخ محمد طاهـر الكردي تحـت عنوان: تحقيـق موضـع دار أُمّ هاني

١. أخبار مكة، للأزرقي ١: ١٢٢ وهامش الصفحة ؛٢ : ٨١، ٢١٥، ٢٣٤، ٢٩٢، ٢٩٤ .

بمكـة، يقـول: الـذي دعانـا إلى العنايـة بتحقيـق موضـع دار أمّ هانـئ أخـت عـلي بـن أبي طالـب رضي الله تعـالى عنهـما، هـو اختـلاف العلـماء في أنَّ النبيَّ ﷺ هـل أسري به من المسـجد الحـرام أو مـن بيـت أمّ هانـئ بنـت أبي طالـب رضي الله تعـالى عنها، فقـد جاءت أحاديـث صحيحـة في هـذا وذاك؟ فأردنا أنَّ نتحقـق موقع بيت أمّ هانـئ بمكة وبعده عن المسـجد الحـرام في زمنـه ﷺ الذي مسـاحته هي مسـاحة دائر المطـاف الذي حـول الكعبة المشرفـة. ثـمَّ يقول: فـإنَّ في معرفـة مـكان دارها جملـة فوائد...

ويواصـل كلامـه إلى أن يقـول: وبعـد التأمل فيـما نقلناه هنا مـن الـكلام، ومراجعة ما طالعنـاه مـن الأبحاث العديـدة، عرفنا موضـع دار أمّ هـاني مما يأتي:

١- مـن قـول الإمـام الأزرقـي المتقدم في الجـزء الثاني مـن تاريخه: ١٨٨ حيـث يقول: ولهـم أيضـاً دار أُمّ هانـئ بنـت أبى طالـب التي كانت عنـد الحناطين عند المنـارة، فدخلت في المسـجد الحـرام حـين وسـعه المهـدي في الهـدم الآخـر سـنة سـبع وسـتين ومائـة أو (١٦٤هجريـة).

٢- ومـن قـول الفاسي المتقـدم في الجزء الأول من كتابه شـفاء الغـرام حيث يقول عن الحـزورة: وكان عندهـا سـوق الحناطين بمكة، وهي في أسـفلها عند منارة المسـجد الحرام التي تـلي أجياد.

٣- ومـن الخريطـة التـي وضعناهـا في بيـان الزيـادات المطبوعـة في كتابنـا «مقـام إبراهيـم عليه السلام» : ٩١ مـن الطبعـة الأولى.

فمـن هـذه الأمـور الثلاثة، ظهـر لنا تماماً مـا لا يقبـل الشـك؛ أنَّ دار أُم هانئ رضي الله تعـالى عنهـا، واقعة بالضبـط عند منارة بـاب الوداع في عصـرنا الحاضر؛ لأنها هـي المنارة المعنيـة في العبـارة المتقدمـة، فمحلهـا في ذلـك الزمـن هـو محلها اليـوم لم يتغـير، والحزورة واقعـة عندهـا، وكذلـك سـوق الحناطين. ومـن نظـر إلى خريطة زيـادات المسـجد الحرام الموجـودة بكتابنـا المذكور «مقـام إبراهيم عليه السلام» والموجـودة أيضاً في هذا التاريـخ، علم يقيناً

أنّ المنارة المذكورة تقع في آخر توسعة المهدي، من ركن المسجد الحرام الجنوبي المقابل لأجياد، فدار أمّ هاني كانت عند هذا الركن، ثم دخلت في توسعة المهدي المذكور مائة وأربع وستين من الهجرة.

وفي محل المنارة، أي في موضع دار أُمّ هانئ حفر قصي بن كلاب البئر التي يقال لها العجول... فتكون المسافة بين الكعبة شرفها الله تعالى وبين دار أُمّ هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها ١٢٠ متراً بالضبط على التحقيق الذي عملناه، وهي نفس المسافة بين الكعبة وبين الحزورة، وهي نفس المسافة أيضاً بينها وبين البئر التي كان حفرها قصي بن كلاب، ثمَّ دفنت ودخلت مع دار أمّ هاني في توسعة المهدي.[1]

وقد حُكي عن حسين شافعي، أُستاذ التاريخ في جامعة أُمّ القرى أنَّه قال: الكلام عن عمود أمّ هانئ بالمسجد الحرام أخذ منحًى غريباً وبعيداً من الواقع، ولا بدَّ من ذكر أصل هذا المكان في كتب التاريخ المكي القديم منها والحديث والأصل في هذا الأمر يعود إلى دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب التي أسلمت يوم فتح مكة المكرمة، وروت أحاديث عدّة عن النبيِّ محمد، وزوجها هو هبيرة بن عمرو المخزومي، وأخوها الخليفة علي بن أبي طالب... أمّ هانئ توفيت بعد عام ٥٠ للهجرة، وبقيت دارها إلى عهد الخليفة المهدي العباسي، حينها رأى توسعة المسجد الحرام للمرة الثانية من الجهة الجنوبية سنة ١٦٤ للهجرة، فاضطر إلى هدم البئر الموجودة بقربها وإدخالها ضمن توسعته، وعرف الباب المجاور لدارها في المسجد الحرام بباب أمّ هانئ تخليداً لذكرها... وأنَّ الباب الذي أطلق عليه اسم أمّ هانئ عُرف بمسميات عدّة عبر العصور التاريخية، منها باب أبي جهل والملاعبة، وكذلك باب الفرج والشريف، لكن أشهرها باب أمّ هاني.

ذكروا هذا الكلام عنه، ولم يبينوا مصدراً له...

---

١. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الكردي محمد طاهر ١ : ٣٥٩ـ٣٦٣ تحقيق موضع دار أمّ هاني بمكة؛ باختصار.

وتحت عنوان: إعادة عمود أمّ هانئ إلى موضعه بالمسجد الحرام الثلاثاء ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٠. فيصل السلمي، مكة المكرمة.

أعادت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي العمود القديم، والذي يطلق عليه البعض (عمود أمّ هانئ) إشارة إلى موضع دار أمّ هانئ بالمسجد الحرام بجوار باب الملك عبد العزيز، حيث أسري بالنبيّ ﷺ منه إلى بيت المقدس، ومن ثمَّ عرج به إلى السماء، وقد رفعت رئاسة شؤون الحرمين العمود التاريخي قبل سنوات ضمن مشروع توسعة المطاف، وحافظت عليه وأعادته إلى موضعه بعد انتهاء أعمال التوسعة.

وأوضح الباحث في التاريخ المكي الدكتور سمير برقة لـ «مكة» أنَّ العمود الذي تمّت إعادة وضعه في توسعة المطاف يمثل رمزية للبقعة والمكان الذي كان فيه دار أمّ هانئ، والذي بدأت منه رحلة الإسراء.

وأمّ هانئ واسمها فاختة بنت أبي طالب وقيل: هند، هي أخت سيدنا عليّ، وبنت عمّ النبيّ ﷺ ويبعد بيتها عن الكعبة ١٢٠ متراً، جهة باب الوداع، كما أفاد بذلك المؤرخ محمد طاهر الكردي المكي في كتابه (التاريخ القويم).

أقول: هذه الدار حظيت بكلّ هذه البركة والخلود، بفضل إسراء النبيّ ﷺ منها، واكتسبت اهتماماً عظيماً من دون الكثير من دور مكة التي اندثرت وضاعت معالمها وإن عظم أصحابها وأهلها، ولتبقى هذه الدار قبلةً للوافدين!

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاءالله تعالى

***

«تعريف بكتاب»
طريق الحجّ الأحسائي(١)

إدارة التحرير

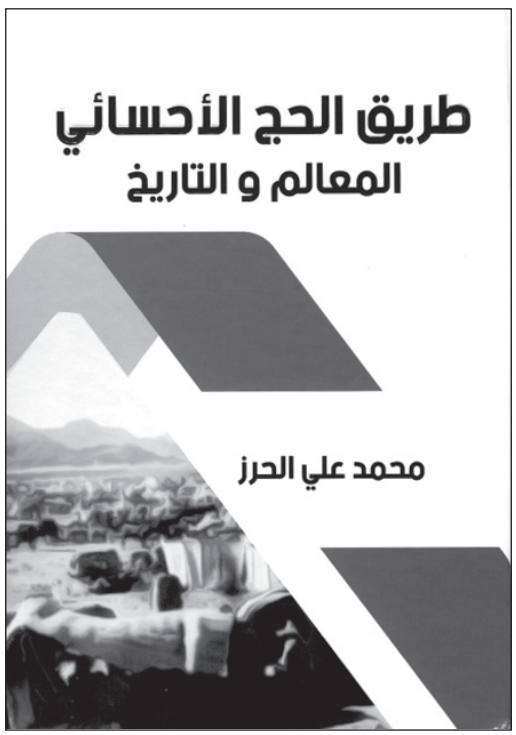

نظراً لمنهج مجلة «ميقات الحجّ»، وعنايتها بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة...، فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به الكتّاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.[1]

إنّ هذا الكتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز، كتاب جيد لما تتوفّر فيه من أهمية تاريخيّة وفوائد ميدانيّة ومعرفة لحدود هذا الطريق ومعالمه، و قديماً كان هذا طريقاً للحجاج الإيرانيين.

فطوبى لمؤلفه الشريف، الذي تحمّل كثيراً من المعاناة؛ لإيجاد هذا السفر القيّم، نسأله تعالى أن يؤجره أجراً كبيراً، ويؤجر سماحة الشيخ حسين الواثقي، الذي اقترح أن يحتلّ هذا الكتاب مكانته في هذه المجلة.

***

جاء في مقدمة البحث:

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهم الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي تحديداً من صعوبات

١. جديد.

ومعوِّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلكلصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي والمصري واليمني والعماني وغيرهم، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق والبحث في هذه النقطة المعتمة...».

الكلمات المفتاحية :

طريق الحاج العراقي، طريق الحاج الشامي، طريق الحاج المصري، طريق الحاج اليمني، ألأحسَاء.

***

ابتدأ المؤلف كتابه هكذا:

... في الرواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقرٌ أبداً».[1]

فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَالْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾.[2]

وحفظهم من أهم حوائج ورغبات العبد، وتكفل رب العباد يحفظهم، فقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ أدنى ما يرجع به الحاج الذي لا يقبل منه، أن يحفظ في أهله وماله، قال: فقلت: بأي شيء يحفظ فيهم؟، قال: لا يحدث فيهم

١. الوسائل٨ : ٩١.

٢. سورة الكهف: ٤٦.

إلّا مـا كان يحـدث فيهم وهو يقيـم معهم».[1]

هـذا النـزر اليسـير أردنـا به إعطـاء تصور عـام عن الثـمار التـي يجنيها المسـلم من هذه الشـعيرة العباديـة، علـماً أنَّ الخوض في فضلها ومنزلتها بابٌ واسـع صنّفت فيه عشـرات الكتـب وكتبت فيـه آلاف المقالات.

طريق الحج الإسلامي

اشـتهر للحـج الإسـلامي خمس طرق يسـير عبرهـا معظم المسـلمين القادمـين للديار المقدّسـة عـبر الـبرّ، وذلك مـن مختلف البلـدان والنواحـي والجهات.

وقـد دوّن المؤرخون في مصنفاتهم تلك الطرق والمسـالك بمزيدٍمن العرض والبسـط، مـع الإشـارة إلى الخدمـات التـي تسـهّل وتسـتقطب مـرور الحجـاج مـن حفـر الآبـار والأوقـاف، إضافـة إلى تأمـين الحمايـة والرعايـة وخدمـات الحـاج المختلفة.

وهذه الطرق الخمس المشهورة سنوردها تباعاً كما يلي:

الأول: طريق الحاج العراقي:

للحاج العراقي ومن يسير في ركبه أو على دربه طريقان، هما:

١ـ طريق حجّاج الكوفة، ويعرف بـ(درب زبيدة):

ويُعـدُّ مـن أهـمّ الطـرق الذي تسـير عليه جمـوع غفيرة مـن الحجّـاج العراقيـين، فمن يسـير عليـه من سـائر الحجّـاج غـير العراقيين حجاج أهـل فـارس وخراسـان، والديلم.[2]

١. الوسائل٨ : ٦٧.

٢. الديلـم أو الديالمـة: هـم إحـدى الشـعوب الإيرانية التي عاشـت في شـمال الهضبة الإيرانيـة، وقد جاء ذكرهـم على ألسـنة المؤرخين حتـى حقبة بدايات انتشـار الإسـلام. للاسـتزادة: انظـر ويكيبيديا على شـبكة الإنترنت.

وبخارى،[1] وما وراء النهر،[2] وإقليم الجبل،[3] مما جعل مسؤولية أمير الحاج كبيرة، خاصّة أنّه طريق موكب الخلافة العباسية والتي اعتنت خلال مسيرتها التاريخية بتوفير الخدمات اللوجستية التي يحتاجها المسافرون المارّون بهذا الطريق الحيوي، وذلك من خلال حفر الآبار وتوفير محطات توقف واستراحة.

ومما تجدر الإشارة له أنَّ هذا الطريق يعتبر من الطرق القديمة، ويعد من أهم طرق الحج والتجارة خلال العصر الإسلامي، وقد اشتهر باسم «درب طبيدة» نسبة إلى السيدة زبيدة،[4] بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج الخليفة هارون الرشيد، لما قامت من إنشاء الموقوفات وحفر الآبار على هذا الطريق.

ويمتد درب زبيدة «طريق الحج الكوفي» من بغداد مروراً على مدينة الكوفة في العراق مروراً بالمملكة الشمالية ووسطها وصولاً إلى مكة المكرمة، ويبلغ طوله في أراضي المملكة أكثر من ١٤٠٠ كلم، حيث يمر بخمس مناطق، هي: الحدود الشماليه، حائل، القصيم، المدينة المنورة، مكة المكرمة.

---

١. بخارى: مدينة في جمهورية أوزبكستان.

٢. بلاد ما وراء النهر: هي منطقة تاريخية وجزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها أوزبكستان والجزء الجنوب الغربي من كازاخستان والجزء الجنوبي من قيرغيزستان. للاستزادة انظر: ويكيبيديا على شبكة الإنترنت.

٣. كمال، سليمان صالح، إمارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٢٤٧ هـ، بإشراف الدكتور السيد محمد أبو العزم داود، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨و. غير منشورة: ١٢٨.

٤. السيدة زبيدة: هي الأميرة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبو جعفر المنصور (١٤٩-٢١٦هـ)، زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وحفيدة مؤسس الدولة العباسية الخليفة أبو جعفر المنصور من خلال ابنه جعفر، تعتبر من أهم نساء الدولة العباسية وأكثرهم شهرة مما كان لها من دور في أمر الخلافة، فهي أمُّ الخليفة الأمين. من أهم أعمالها بناء أحواض للسقاية للحجاج في دربهم من بغداد إلى مكة فيما عرف بدرب زبيدة.

وهـو يسـير على عدد المحطـات والمراحـل العامرة بالمـزارع والخيرات والمياه ليسـتطيع الحاج التـزود بالمؤونة ولـوازم الطريق.

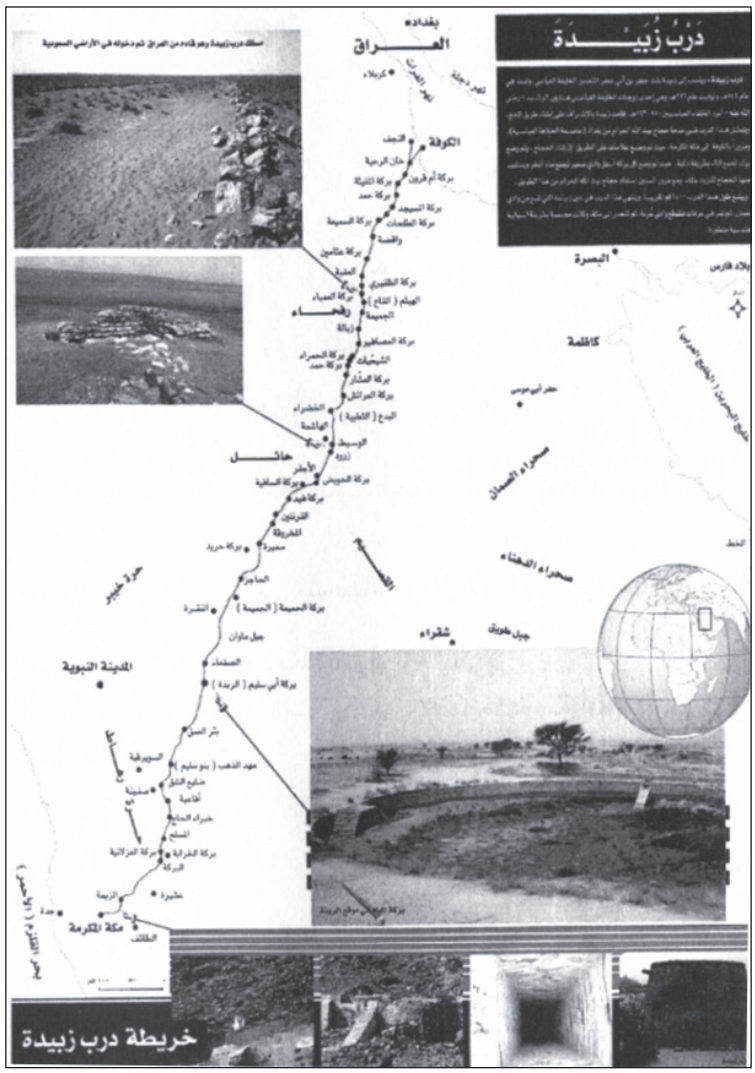

خريطة طريق حاج الكوفة المشهور بـ «درب زبيدة».[1]

١. المغلـوث، سـامي بـن عبدالله بـن أحمد: أطلـس الحجّ والعمـرة، العبيكان للنشـر، الريـاض، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، :١٠١.

إحدى المعالم الأثريّة على درب زبيدة التاريخي

٢ـ طريق حاج البصرة:

وينال هذا الطريق أيضاً أهمية بالغة من حيث الحج والتجارة، ويبدأ الطريق من البصرة مروراً بشمال شرق شبه الجزيرة عبر وادي الباطن مخترقاً عدة مناطق صحراوية أصعبها صحراء الدهناء، ثم يمر بنجد التي تعد من الأراضي الخصبة، وبعدها يتجه الطريق محاذياً لطريق الكوفة ـ مكة، حتى يلتقيا عند محطة أم خرمان أوطاس، والتي تقع على مسافة عشرة أميال من موقع ذات عرق.

يلتقي طريق البصرة بالطريق الرئيسي الممتد من الكوفة عند منطقة معدن النقرة التي يتفرع منها طريق يتجه إلى المدينة المنورة.

ويعدّ من الطرق المهمة التي يسلكها أهالي تلك المناطق إضافة للحجاج خوزستان وعبادان ومن لفَّ لفهم، وهو من حيث العدة والضخامة أقل من الطريق المنطلق من الكوفة إلّا أنه لا يقل عنه أهمية ومكانة لكثرة من يطرقه للأغراض المتعددة، والتي من

أهمّها مـرور قوافل الحج.

خريطة طريق الحاج البصري[1]

١. أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، ص: ١٠٤.

ثانياً: طريق الحاج الشامي:

ينطلق مركب الحاج الشامي من دمشق مركز تجمع الحجيج السائرة على هذا الدرب، وتتحرّك الجموع متهجة في أول مراحله إلى الصين، وهي قرية من أعمال دمشق، وهكذا متّجهة عبر عدد من المنازل والمراحل إلى الحَفير، وهو نهر بالأردن، بعدها يدخلون أرض الحجاز عبر منطقة سرغ،[1] وهي أول الحجاز وآخر الشام، متجهين نحو تبوك، ومنه إلى وادي القرى، ثم يسيرون في منازل متعددة إلى أن يصلوا إلى المدينة المنورة، ومن المدينة يكملون المسير إلى مكة المكرمة على الجادة المعروفة بين الحرمين الشريفين.[2]

والشيء اللافت والملاحظ على معظم الطرق التي يسلكها الحاج خلال مسيره اختلاف بعض المنازل بين الرحالة وقوافل الحجيج بعداً وقرباً، وذلك تبعاً للظروف المختلفة وخبرة الدليل والقائد للرحلة، وإن كانت تتفق في الوجهة والجهة مع تغيّر في القرى وأماكن الآبار.

١. سرغ حالياً تسمى المُدَوَّرة، وهي تقع في أقصي جنوب الأردن بالقرب من الحدود السعودية على طريق تبوك.

٢. عيسى، هيام علي: الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٦هـ / ١٢٥٠م-٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، جامعة القديس يوسف، أطروحة دكتوراه، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ١٤٢.

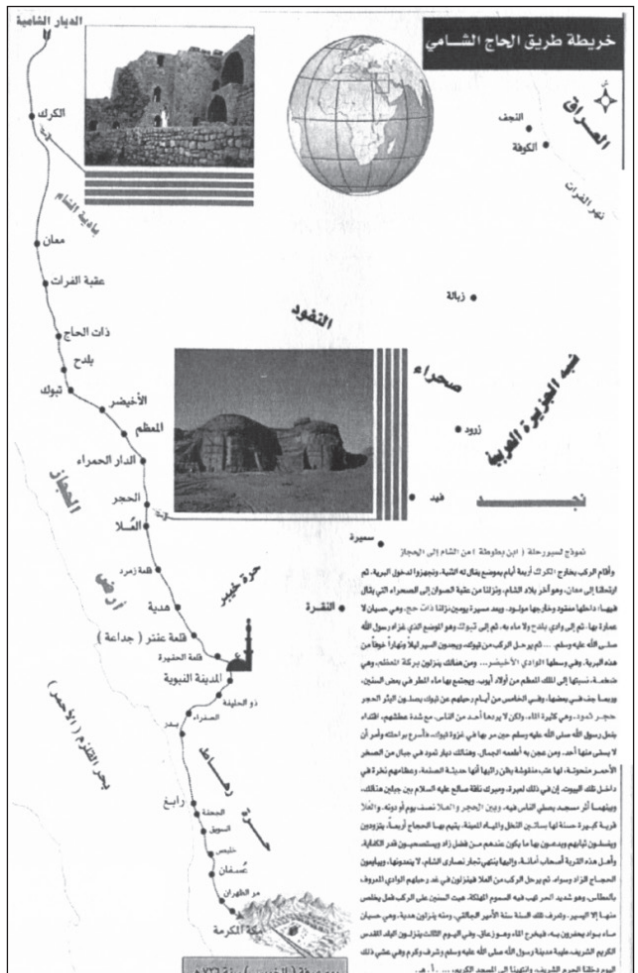

خريطة طريق الحاج الشامي.[١]

ثالثاً: طريق الحاج المصري:

ويعـدُّ مـن أهـمّ الطـرق إلى مكـة المكرمـة عليـه تسـير مواكـب الحجّـاج القادمـة من القـارة الأفريقيـة، كالموكب المغـربي وغيره، وينطلق الموكـب من المنطقة المعروفـة بـ(بركة

١. أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، ص: ١٠٦.

الحاج)،[1] ثـم ينطلـق باتجـاه قنـاة السـويس، إلى أرض الجزيـرة وصـولاً إلى مكـة المكرمـة، وهـو يمـرّ عـبر مجموعة مـن المراحـل ذكـرت في الكتـب المفصلة.

ويعـدّ المحمـل المـصري المرافـق للموكب أهـم المحامـل وأخصّها، حيـث يصطحب معـه في كلّ عـام كسـوة الكعبـة الشريفـة، وقد اسـتمر ذلـك من عهـد المماليـك إلى قريب منتصـف القـرن الرابـع عـشر الهجـري، وتحديـداً عندمـا سـيطر الملـك عبـد العزيـز على الحجـاز سـنة ١٣٤٢هـ، حيثُ توقفت عملية اسـتجلاب الكسـوة من مصر، عـلى أن يتم صنعهـا في داخـل الدولـة السـعودية كما سـيأتي لاحقاً.

خريطة طريق الحاج المصري.[2]

١. العبـدلي، عائشـة مانـع عبيد: إمـارة الحج في عـصر الدولـة المملوكية وأثرهـا على الأوضـاع الداخلية بمكـة المكرمة (٦٤٨ـ٩٢٣هـ) / (١٢٥٨ـ١٥١٧م) دراسـة تاريخية ـ تحليليـة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، الطبعـة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ١٤.

٢. أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، :١١٦.

رابعاً: طريق الحاج اليمني:

للحاج القادم من اليمن عدة طرق، وهي كما يلي:

١ـ الطريق الساحل:

وهو طريق يمرّ بجوار البحر الأحمر محاذياً له من الشرق، ويبدأ من عدن فأَبْيَن مروراً بالمخنق، فإلى عارة، ثم عبرة، فالسقيا، فباب المندب. فسماري، ثم الخوخة والأهواب وغلافقة. وهي فرضة زبيدة، ثم نبعة، فالحردة، ثم الزرعة، ثم الشرجة. بعدها يسير الطريق من الشرجة إلى المفجر، فإلى القنيدرة، ثم عثر، ثم بيض، ثم الدويمة، ثم حمضة، ثم ذهبان، ثم حلين، ثم قرما فدوقة، إلى السرين، وهي ملتقى طريق الساحل مع طريق الداخل، ومنها يفترقان أيضاً كلّ في جهته، حيث يسير الساحلي صوب الليث فاشعيبة إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة.

٢ـ الطريق الداخلي:

وهو التهامي، ويعرف باسم الجادة السلطانية. يبدأ الطريق من تعز ويمر بذات الخيف، فموزع، ثم الجدون، ثم حيس، ثم زبيد. إذ تتجمّع فيها القوافل التي تسلك طريق الجادة السلطانية، ومنها تنطلق في سيرها إلى مكة المكرمة مارةً بفشال والضنجاع، والقحمة، والكدراء والمهجم ومور والواديين، والساعد وتعشر وجازان والهجر وبيش إلى ضنكان، ومنها يتجه الطريق إلى المقعد فحلي العليا ثم يبه ثم قنونا، ثم عشم، ثم دوقة فإلى السرين حيث يلتقي بالطريق الساحلي، ومنها يفترق في مساره الداخلي إلى الليث، فالخضراء، ثم سعيا، فيلملم ـ ميقات أهل اليمن ـ حتى مكة المكرمة.

٣ـ الطريق الأعلى:

ويعرف باسم الطريق الجبلي، ومركز انطلاقه صنعاء ويتجه الطريق إلى صعدة، ومنها إلى العرقة، ثم المهجرة، ثم أرينب، ثم سروم الغيض، ثم الثجة، ثم بيشة ومنها إلى تبالة، فالقريحاء ثم كرى، ثم تربة، ثم الصفن، ثم العنق، ثم رأس المناقب، وهي منتهى الطريق في اتجاه الشمال، وينحرف في سيره صوب الغرب إلى قرن المنازل، وهو ميقات أهل اليمن الذين يمرون من تلك الجهة، ويتجهون محرمين صوب مكة مجتازين الزيمة، والطائف عن طريق السيل.[١]

خريطة طريق الحاج اليمني.[٢]

١. انظر: إمارة الحج في العصر العباسي، مصدر سابق: ١٦٣.

٢. أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، ص: ١١١.

خامساً: طريق الحاج العماني:

١ـ طريق عمان الساحلي:

وهـو طريق سـاحلي لحجـاج عمان يتجـه إلى فـرق، ثم عـوكلان، ثم إلى سـاحل هباه، وبعدهـا إلى شـحر، ثـم تتابع القوافل سـيرها عـلى أحد الطـرق اليمنية الرئيسـة المؤدية إلى مكة .

٢ـ طريق عمان الداخلي:

لطريـق الحـج العُـماني مسـاران: فأحدهما يتجه مـن عـمان إلى يبرين، ثم إلى الأحسـاء. ومنهـا إلى اليمامة. ثـم إلى ضرية.

وتشـير المصـادر الجغرافية إلى أن ضرية كانت لتلتقي حجّـاج البصرة والبحرين، حيث يفترقـون بعدهـا إذا انصرفـوا من الحج، فيتجه حجاج البصـرة شـمالاً؛ وحجاج البحرين باتجـاه اليمين، وكـما كان بإمكان القوافل القادمـة من عمان اجتياز منطقة الأحسـاء لتلتقي بطريق اليمامـة مكة المكرمة.

وهنـا نجـد الإغفال في المصـادر التاريخيـة ـ إلّا القليل منهـا ـ لطريق الحج الأحسـائي والـذي تسـلكه حشـودٌ كبـيرة مـن المسـلمين سـواء مـن الحسـائيين أو مـن العابرين على الـدرب الأحسـائي في طريقهـم إلى الديار المقدسـة، وهو ما سـنحاول كشـف النقاب عن معـالم هـذا الطريق خـلال الصفحـات القادمة.

خريطة طريق الحاج العُماني.[١]

الأحساء نبذة تعريفيّة، الأحساء في اللغة والاصطلاح:

الأَحساء بفتح الألف وإسكان الحاء وفتح السين المهملة، تعني الأرض الرملية التي يوجد تحتها طبقة سفلية من صخر صلد تمسك بماء المطر لوقت طويل، وهذا الماء يمكن الوصول إليه واستخراجه بسهولة ويسر، والحفرة من هذا النوع تسمى حسب المعاجم اللغويّة «حسي» وجمعها «إحساء»، ولكثرة الأحسية في هذا الموقع عرفت المنطقة بـ «الأحساء».

أمَّا الأحساء اصطلاحاً فهي محافظة سعودية تقع شرقي الجزيرة العربية، وتبعد

١. أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، :١٠٨.

عـن العاصمـة الريـاض ٣٢٨كلم. تبلغ مسـاحتها ٣٧٩٠٠٠ كلـم،[١] أي ما يُعـادل ٢٠٪ مـن أراضي المملكـة العربيـة السـعودية، وتُغطّـي صحـراء الربع الخـالي نحو ثلاثـة أرباع المحافظة.

وتنبـع أهميـة موقع الأحسـاء اسـتراتيجيّاً كونهـا تربط بـين المملكة في جزئهـا الشرقي بعـدد من الـدول المجـاورة كالبحرين والكويـت عمان والإمـارات وقطر، كـما تعد أقرب منفـذ بحـري لوسـط الجزيـرة العربيـة، ومن هنـا فهي تعتـبر محطة بـارزة في طريـق الحاج القـادم مـن الـشرق، كما تعـد منطقـةً تجارية هامـة على مسـتوى الخليـج [الفارسي].

أمّـا الحـدود فيحدهـا مـن الجنـوب سـلطنة عُـمان، ومـن الـشرق خليج سـلوى ومن الغـرب صحـراء الدهناء. وهـي تتمثّل في مدينتـي الهُفوف والمبرَّز، وأكثر من خمسـين قرية مختلفـة الحجـم والكثافـة السـكانية، معظمهـا في الاتجاه الشرقي والشـمالي من الأحسـاء.

خريطة الأحساء وحدودها الإداريّة.

١. خريطة الأحساء وحدودها الإداريّة.

*** مقوّماتها الطبيعيّة:**

تشتهر الأحساء بكثرة نخيلها التي تغطي مساحات هائلة من أراضيها وتزيد على ثلاثة ملايين نخلة، وتنتج أكثر من مائة ألف طن من التمور سنوياً، أي ما يُعادل ١٠٪ من إنتاج المملكة، وهي في الأصل واحة طبيعية، ومُصنّفة كأكبر واحات النخيل في العالم.

كما تمتلك الأحساء واجهة بحرية على الخليج [الفارسي] تبلغ مساحتها ١٣٣ كم، وكانت قديماً من أغني مناطق المملكة بالمياه الجوفية، والعيون التي يتراوح عددها بين ٦٠ و ٧٠ نبعاً.

*** تاريخها السياسي:**

تعتبر الأحساء ـ بعمقها التاريخي الممتد ـ حاضرة جاذبة للتجمعات البشريّة، لما تمتلكه أرضها الغنّاء من أسباب للبقاء والديمومة، ما جعلها محطّاً للعيون، حيث تعاقب على حكمها منذ صدر الإسلام مجموعة كبيرة من الدول، كدولة القرامطة والدولة العيونية والجروانية ودولة بني عصفور وآل جبر، وانتهاءً بالعثمانيين والدولة السعودية في عهودها الثلاث.

وسنأتي تباعاً على ذكر المرتبط بتاريخ الحج منها لاتصاله ببحثنا في ثنايا البحث.

*** المعالم الأثرية:**

ضمّت الأحساء عشرات المعالم الأثرية الهامة منها:

ميناء العقير: يقع على ساحل الخليج [الفارسي] على بعد ٦٠ كم من مدينة الهفوف، وهو أحد الموانئ الهامة، الذي يأتي عن طريقه الحجاج إلى الأحساء.

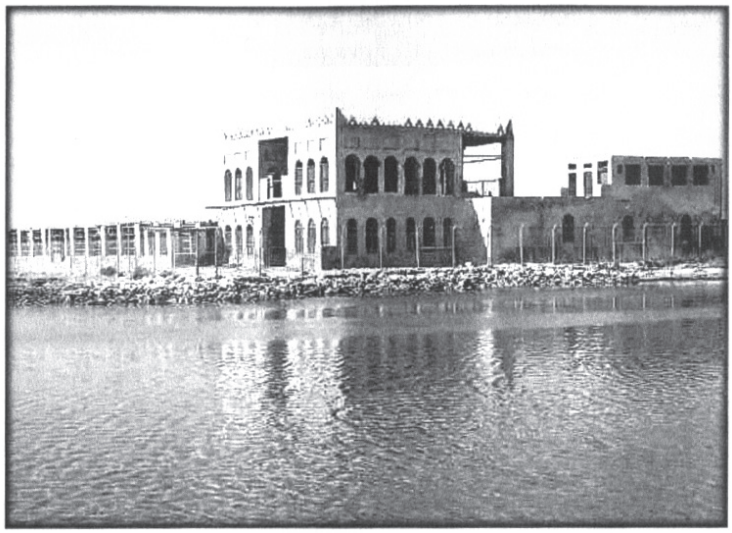

ميناء العقير التاريخي

مسـجد جواثـى: يقـع عـلى بعد نحـو ٢٠ كـم شـمال شرق مدينة الهفـوف، ومـا تزال قـواده قوائمـة إلى وقتنـا الحـالي، وترجـع أهميتـه التاريخية بصفته ثـاني مسـجد أقيمت فيه صـلاة الجمعة في الإسـلام بعد مسـجد رسـول الله، قام ببنائـه بنو عبد القيـس الذين كانوا يكنون الأحسـاء في تلـك الفترة.

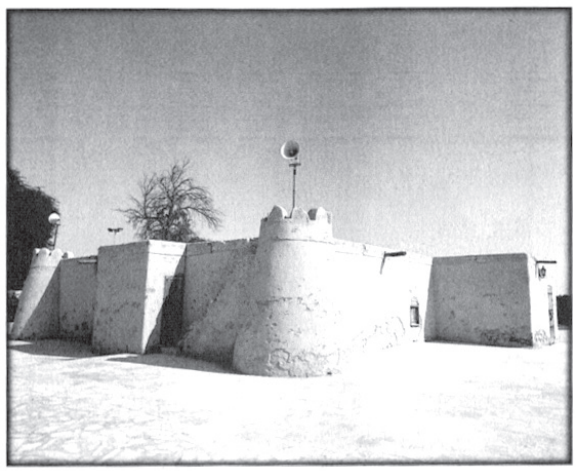

مسجد جواثى

قـصر محـيرس: يقـع في شـمال المـبرز عـلى أعلـى تلـة مـن المدينـة؛ وعـلى بعـد ١٤ كم شـمال مدينـة الهفوف، تم تشـييده عـام ١٧٩٤م وذلـك في أوائـل العهد السـعودي، وهو عبارة عـن قلعـة حربيـة تضـم برجـاً للمراقبـة والرصد.

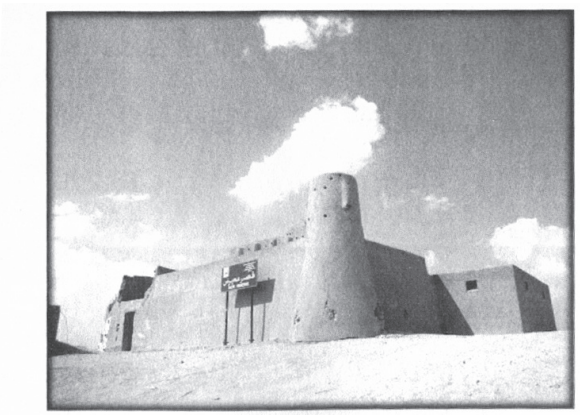

قصر محيرس بالمبرز

قـصر إبراهيـم: ويسـمى أيضـاً قلعـة إبراهيـم نسـبة إلى إبراهيـم باشـا القائـد العثماني الـذي حكـم محافظـة الأحسـاء آنـذاك، ويقـع القصر شـمال مدينـة الهفوف على مسـاحة تقدّر بـ١٦٥٠٠م.

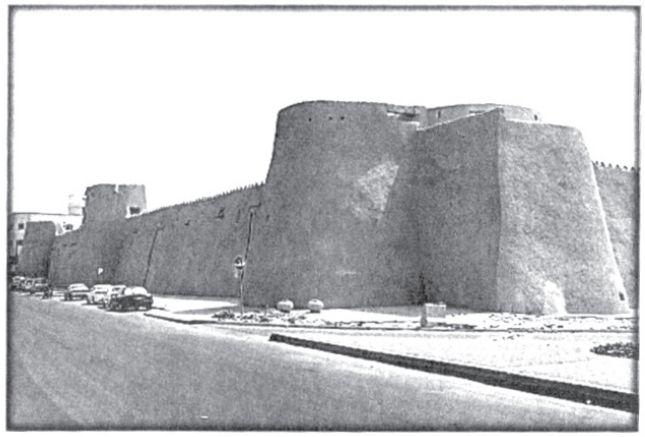

قصر إبراهيم بالهفوف

قـصر صاهـود: يقـع في حي الحـزم بمدينـة المبرز عـلى مسـاحة ١٧٥٠م،[1] تـمّ بناؤه في عـام ١٨٠٠م للدفاع عن المدينـة وحماية الأراضي الزراعية ومراقبة مخيمات البدو الموسـمية.

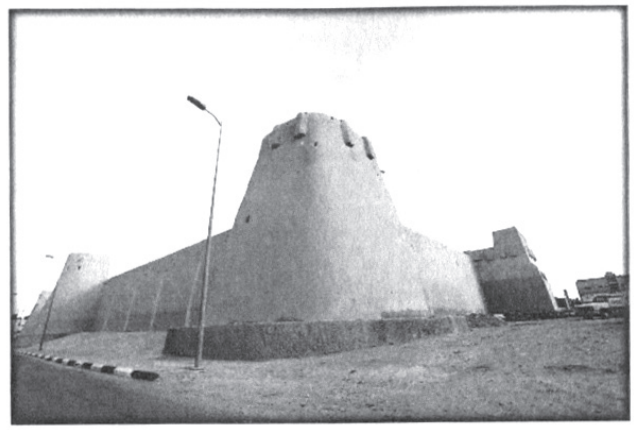

قصر صاهود بالمبرز

إضافـة إلى العديـد مـن المعالم الأثريـة والتاريخية والطبيعية التي تسـتقطب السـياح من مختلف أرجـاء العالم.

هـذا الموجـز المقتضب عن الأحسـاء أوردناه ليتعـرف القارئ الكريم على لمحة يسـيرة عن مكانـة وتاريخ هذه المنطقـة الحيويّة.

في هـذا الفصـل سـنتعرض إلى واقـع طريـق الحجّـاج الأحسـائيين في مراحـل تعاقب الحـكّام والـدول على حكم منطقة الأحسـاء بـدءًا من العصـور الإسـلامية الأولى وانتهاءً بالدولـة السـعودية الثالثـة والتـي نعيش في كنفهـا حالياً وهـي كالتالي:

* العصور الإسلامية الأولى
* دولة القرامطة (٢٨١ـ٤٦٩هـ)
* الدولة العيونيّة (٤٦٩ـ٦٣٦هـ)

١. قصر صاهود بالمبرز.

* الدولة العصفوريّة (٦٣٠ـ...)

* الدولة الجبريّة (٨٢٠ـ٩٣٠هـ)

* دولة آل مغامس (٩٣٢ـ٩٥٣هـ)

* الدولة العثمانيّة الإولى (٩٥٧ـ١٠٨٢هـ)

* دولة بني خالد (١٠٨٠ـ١٢٠٨هـ)

* الدولة السعودية الأولى (١١٥٧ـ١٢٣٣هـ)

العصور الإسلاميّة الأولى

تبوأت الحجاز مكانة كبيرة في قلوب الهجريين، عمادها العلاقة الدينية والاقتصادية التي تعمقت بمرور السنين، فالهجريون منذ القدم ينظرون إلى الحجاز كبعد استراتيجي ودينـي لا غنى لهم عنه، ففيها مهد الرسالة، وإليها تهفو القلوب الواهة، وفي أعتابها تحت الخطايا.

ولم يكن البعد الاقتصادي ببعيد عن هذه العلاقة اللصيقة منذ العهد النبوي الشريف وإشراقة شمس الإسلام الساطعة، فالمصادر التاريخيّة تشير إلى هذه العلاقة الوطيدة، والتي يظهر أنها عريقة وقديمة تمتد إلى ما قبل العصر الإسلامي، وذلك عندما كانت الصادرات الأحسائية من السلع الغذائية والمنتجات الحرفيّة المصنوعة على أيدي حرفييها المهرة ونساجها المشهورين تصدّر إلى باقي البلدان المحيطة من أقصي الجزيرة العربية إلى أقصاها من جميع الجهات، والتي منها الثياب والبرود والأدرعة، فقد كانت تستورد من الأحساء وتصدّر إلى الحجاز، ومنها مكة المكرمة، وقد اشترى رسول الله ﷺ منها بعض السراويل، كما يشير ابن سعد في طبقاته بأنه: بَعَثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَلِيطَ بْنَ عَمْرِو الْعَامِرِيَّ إِلى هَوْذَةَ بْنِ على الْحَنَفِيِّ يَدْعُوهُ إِلى الْإِسْلَامِ وَكَتَبَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ وَأَنَا شَاعِرُ قَوْمِي

وَخَطِيبُهُمْ وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي فَاجْعَلْ لِي بَعْضَ الْأَمْرِ أَتَّبِعْكَ وَأَجَازَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو بِجَائِزَةٍ وَكَسَاهُ أَثْوَاباً مِنْ نَسْجِ هَجَرَ.[1]

كما أنه وفي نفس العهد النبوي الشريف كان سماك بن حرب يشتري البز من مدينة هجر ويبيعها بالمدينة المنورة.[2]

هذه النماذج وغيرها تبين العلاقة الوشيجة بين هجر والدار النبوية بالمدينة المنورة من حيث الاستيراد والتصدير، الأمر الذي يتخلّله التواصل الديني وأخذ التعاليم الدينية في موسم الحج.

كما أنّ العلاقة لم تكن مقتصرة على الفترة الدينية وهي موسم الحج، وإنما تجعل العلاقة التجارية التي تبقيها على تواصل دائم بالحجاز وعلى الخصوص المدينة المنورة لأخذ التعاليم الدينية وللإجابة عن التساؤلات التي ترد أو تطرأ وفق الحاجة والظرف.

لذا لم يكن موسم الحج منذ القدم لدى التجار والحجاج الأحسائيين موسماً عباديّاً فقط، وإنما هو فرصة تجارية تتمثّل في نقل البضائع التي تتميز بها هجر وبلاد البحرين بصفة عامة وبيعها في موسم الحج.

لقد ذكرت المصادر أنه في عصر الخليفة عمر بن الخطاب بلغ خراج هذه البلاد في إحدى السنوات خمسمائة ألف دينار حملها أبو هريرة من هجر إلى المدينة المنورة كما كان تجار هذه البلاد يتردّدون بمتاجرهم على مدن الحجاز بعدة سلع، من أهمّها المسك والتمور والمنسوجات.[3]

---

١. ابن سعد، محمد: الطبقات الكبري، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م: ١ : ٢٥٨.

٢. العامر، طاهر معتوق ميناء: العقير ودوره في اقتصاد الجزيرة العربية، الدار الوطنية الجديدة: الخبر، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م: ص: ١١١.

٣. آل ملا، عبدالرحمن بن عثمان، تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: الكويت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م: ٧٤.

كما أنَّ أهل البحرين كانوا يستفيدون من موسم الحج بالاتصال بالأئمة من آل البيت عليهم السلام من أجل تلقّي الأحكام الشرعية والاستفسار عن أيّة مسائل عالقة لديهم.

ففي كتاب «اسد الغابة» يذكر ابن الأثير أنَّ الصحابييْن جابر بن عبيد، وأبنه عبدالله عندما حجّا، و كانا بمنى، مرّا على الإمام الحسن بن على بن أبي طالب: (ت: ٥٠ هـ) للسلام عليه، فرحّب الإمام عليه السلام بجابر وأوسع له، وأجابه على سؤال فقهي كان قد سأل عنه، وجابر هذا ذكره ابن الأثير في ترجمته في كتابه «أسد الغابة»،[1] أنه كان يسكن البحرين، وأحد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في الوفادة الأولى.[2]

وقد أولى الخلفاء في الدولة الإسلامية طريق الحج عنايةً خاصة، لما يشكّله الحج من أهمية دينية لدى المسلمين، ولما يكتنف هذا الطريق من مخاطر وصعوبات، وما يقع فيه من اعتداءات على الحجاج أثناء التنقّل والترحال بين منزلٍ وآخر ومحطّةٍ وأخرى.

وكانت منطقة البحرين من المناطق التي أُوليت أهمية كبيرة بالعناية من قبل أمراء الحج بصفتهم أصحاب دراية وخبرة بشؤون الحج، وعلى علم واطلاع بما يكتنفه من صعوبات ومشاق وعثرات.

ففي سنة ١٣٥ هـ كان أمير الحج لبلاد البحرين بجميع أجزائها سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس (٨٢ ـ ١٤٢ هـ)، فقد ولّاه الخليفة العبّاسي أبو العباس السفّاح ـ ابن أخيه ـ ولاية البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة ١٣٣ هـ، واستمرت ولايته حتى سنة ١٣٩ هـ،[3] وفي هذه السنة ١٣٥ هـ عيّنه أميراً على الحج، ومما لا شك فيه أن البحرين التي تحت إمرته شملها بركبه ومحمله.

---

١. ابن الأثير، عز الدين، أسد الغابة، دار الفكر: بيروت، ط: ١٤٢٩هـ ـ ١٩٨٩م: ٣ : ٨٩.

٢. الجنبي، عبد الخالق: تاريخ التشيع لأهل البيت في إقليم البحرين القديم، دار المحجة البيضاء: بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥م: ٣٧٠، أسد الغابة، مصدر سابق: ١ : ٣٠٨.

٣. عناد، أ. م. د. وجدان فريق، إمارة الحج في عهد الخليفة أبي العباس السفاح (١٣٢ـ١٣٦ هـ)، مركز أحياء التراث العملمي العربي: جامعة بغداد، (د.ت): ٦.

ومـن الحـوادث اللافتـة التي وقعت سـنة ١٦٧ هــ في عهـد الخليفة المهـدي العباسي، حـين اعتـدى عـرب بادية البـصرة بين اليمامـة والبحريـن، وانتهكـوا المحـارم، وحين بلغ الأمـر الخليفة المهدي أرسـل إليهم جيشـاً لمقاتلتهـم، ولكنهم تكاثروا عـلى جيش الخليفة حتـى انتـصروا عليه وقتلوا عامّة عسـكر الخليفة المهـدي، فقويت بذلك شـوكتهم وازداد شرّهم وسـاعدهم في ذلـك معرفتهم لدروب الصحـراء حيث كانوا يسـكنون بها ولديهم الخبرة الكافيـة بمفاوزها.[1]

وهـذا الطريـق الـذي كان يسـلكه حجاج هجـر قديماً يظهر أنه سـلكه في تلـك الحقبة معهـم حجـاج العـراق في بعـض رحلاتهم للحـج، وهـذا يعدّ من أقـدم الاعتـداء المباشر عـلى قوافـل الحجيـج، مما يؤكـد قـدم المعانـاة التـي كان يلاقيها حجّـاج البحريـن في هذا الطريـق مـن قطّـاع الطرق التي كانت تسـتغل موسـم الحج للسـرقة والسـلب والنهب.

ولعـلّ مثل هذه الحادثـة وغيرها كان وراء ربط الخلفاء في الدولة العباسـية بالخصوص بـين إمـارة البحرين الكـبرى «هجـر وأوال والخـط» ومنطقة اليمامـة، لما يعانيـه الحاج بين هاتـين المنطقتين مـن صعوبات ومشـاكل في الطريق جعل الخلافة العباسـية تلتفت لأهمية الربـط بـين الولايتين تحـت إدارة واحدة تتولى شـؤونهم وتحفظ الطريق بينهـما، حيث بلغ الأمـر مـن الأهميـة أن جعلت له ولاية تعنـي برعايته وحمايته مـن قطّاع الطـرق والسُّرَّاق، «ففـي عهـد الخليفة العباسي الواثـق أبي جعفر هارون بن محمد المعتصـم (٢٢٧ـ٢٣٢هـ)، عـام ٢٣١هــ، عُقِدَ لأحمد بن سـعيد بن سـلم الباهلي على الثغـور والعواصـم وأُوكل إليه ولايـة اليمامـة والبحريـن وطريق مكة»،[2] ثـم ولي المنصب بعدها أسـحاق بـن إبراهيم بن

١. إمارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٤٧هـ، مصدر سابق: ١٧٨.

٢. الوشـميم، الدكتـور صالح بن سـليمان النـاصر: ولاية اليمامة دراسـة في الحياة الاقتصاديـة والجتماعية حتـى نهايـة القرن الثالث الهجري، مكتبـة الملكعبدالعزيز العامة: الرياض، الطبعـة الأولى: ١٤١٢هـ: ١١٦.

أبي خميصة والذي كانَ أيضاً والياً على اليمامة والبحرين وطريق الحج.[1]

وحيث أنَّ قطع طريق الحاج يعدّ من أهم المشاكل التي كانت بحاجة إلى ضبطها في خلافة الواثق العبّاسي، سواء على (الجادة) الكوفة مكة المكرمة، وطريق البصرة الذي كان يضم إليه طريق اليمامة والبحرين ومنطقة نجد بصفة عامة من قبل قبائل بني سليم و غيرهم من الأعراب، وذلك في سنة ٢٣٠هـ، إذ بلغ بهم الأمر الوصول إلى المدينة المنورة ونهبوا أسواقها وفعلوا بها الأفاعيل. بالإضافة إلى استحواذهم على المناهل والقرى الواقعة بالطريق الذي يربط بين الحرمين الشريفين، ولم يتمكن من القضاء عليهم إلّا بعدما أرسل إليهم قائده التركي بغا الذي يعد أحد أبرز القوّاد في الدولة العباسية حينها، وتوجه بعهدها إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وهناك التقى بأمير الحج فيها أمير الحرمين الشريفين محمد بن داود العباسي، وكان معه متولياً لأحداث الموسم إسحاق بن إبراهيم ابن مصعب بن خبيصة مولى بني قشير والذي كان يشغل منصب إمارة اليمامة والبحرين وطريق مكة المكرمة،[2] لتدور بينهم مباحثات ومشاورات حول كيفية إدارة شؤون الحاج وطريقه، أمام الاعتداءات المتكررة عليه.

وفي عهد الخليفة المتوكل جعفر بن محمد بن هارون (٢٣٢ـ٢٤٧هـ)، كذلك نصب محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب على اليمامة والبحرين وطريق الحاج.[3]

وما لا شك فيه إنّ طريق الحج الأحسائي مشمول بهذه المسؤولية، خاصة وأنه ممتد من الأحساء إلى اليمامة إلى الديار المقدسة، مما يجعله في حالة إشراف مباشر على سلامة وأمن طريق الحاج أمام المشاكل التي تعترضه.

كما يؤكّد أنّ الخلافة العباسية كانت تعني بشكل مباشر بهذا الطريق لما وجدت له

١. ولاية اليمامة، مصدر سابق: ١١٧.

٢. إمارة الحج في العصر العباسي، مصدر سابق: ١٨٦ـ١٨٧.

٣. ولاية اليمامة، مصدر سابق: ١١٧.

مـن أهميـة ولكثـرة من يـرد على هـذا الطريق مـن الحجاج مـن مختلـف المناطق الشـرقية للجزيـرة العربيـة، إضافـةً إلى بعـض الحجـاج الذيـن يأتـون إليهـا عـن طريـق البحر من الفـرس والهنـود وغيرهـا مـن المناطـق المختلفة، حتى عـدّ طريق حـاج الأحسـاء «هجر» أحـد الطـرق الرئيسـية إلى الحـج، لأنـه الطريـق الرئيسي للقادمـين من الجانـب الشرقي.

وكانـت مهمـة العنايـة بطريـق الحـاج في العصـور الإسـلامية الأولى تـوكل إلى والي اليمامـة، فـكان يقـوم بتعيـين عـمال الطـرق والميـاه ومراقبـة المسـالك المنوطة بـه في طريق الحـاج، وقـد ظهـرت هـذه العنايـة في الدولة الإسـلامية في وقـت مبكر، وحظيـت موارد الميـاه الواقعـة عليـه بالمراقبة، فقـد طرحت إحـدى القبائل العربيـة عاملاً لبني أمية اسـمه «مجالـد» أسـاء معاملتهـم في قعر البئـر ليلاً، فقال شـاعرهم:

نحـن طرحناه بلا وسـائدْ بجمّـةِ البئرِ ورغـم القائـدْ

وتوحي كلمة «قائد» بأن عامل الماء تصاحبه ثلة من الحرس بقائدها.[1]

ومـن المهـام التـي تـوكل لـوالي اليمامـة حفـظ الأمـن والسـلامة عـلى طريق الحـاج لما يتمتّـع بـه هـذا الطريـق من أهميـة قصـوى للدولـة الإسـلامية، لـذا تـزوّد الدولـة الوالي بالشرطـة ورجـال الأمـن، ويكـون لـه نظـراء ومعرّفـون وغيرهـم ممـا يسـاهم وجودهم في انتشـار الأمـن، وكان عـلى الـوالي أن ينـدب مـن يجـد فيـه الحـزم والكفاية عـلى شرطة الطريـق، فـكان ممـن ولي شرطـة اليمامـة عبـد الله بـن حـكّام، وكان عليه تتبـع اللصوص وقُطّـاع الطـرق والـضرب عـلى أيديهم.[2]

دولة القرامطة (٢٨١ ـ ٤٦٩هـ)

نشـأت الدولـة القرمطيـة نشـأةً قويـة جعلها تمتـد بنفوذها عـلى رقعة كبيرة من جسـد

١. ولاية اليمامة، مصدر سابق: ١٤٠.

٢. ولاية اليمامة، مصدر سابق: ١٤١.

الدولـة الإسـلامية، في ظل ضعف الدولة العباسـية وترهّلها، فقد انطلقـت من الكوفة إلى الشـام ومن الشـام إلى اليمـن ومن اليمـن إلى عمان ومن عمان إلى الأحسـاء. هـذا الامتداد الكبـير والأثر الجسـيم الـذي خلّفتـه في مكة من قتل للحـاج ومن سرقةٍللحجر الأسـود، جعـل دولـة القرامطة جديـرةً بالدراسـة والبحث والتأمـل بغرض فهم هـذا المجتمع وما يعتـوره مـن انحراف فكـري كبير كانت غارقـةً فيه.

لهـذا كتبـت حولهـا الدراسـات والكتـب التـي تتنـاول النشـأة والتطـور والبنيـة الفكريـة لهـا وعلاقتهـا بالدولة الإسـماعيلية، التـي طفا عليهـا التجاذب حينـاً والتنافر حينـاً آخر.

النشأة:

بـدأت نشـأتهم وفقـاً لـرأي معظـم مـن كتـب عنهـم في سـواد الكوفـة، ثـم توسّـعوا وانتـشروا لتطـأ أقدامهم مناطق مختلفة كالشـام والعـراق واليمن وهجر وعـمان و غيرها، وعن نشـأتها يقول سـعد القمـي في كتاب: «المقـالات والفرق»: «وتشـعّب بذلك فرقة... ممـن قـال بإمامة محمد بن إسـماعيل تسـمى القرامطـة، سُـمّيت بذلك لرئيـسٍ كان لهم من أهـل السـواد من الأنبـاط كان يلقّـب بقرمطوية».[1]

بينـما يقـول ثابت بن سـنان أنها نسـبة إلى رجـل: «كان في القرية رجل يدعـى «كرميته» لحمـرة عينيـه، ... ثـم خفف فقيل قرمـط»،[2] ومن هذا الرجل اشـتق اسـم القرمطة».

أمـا أبـن العديـم في كتابـه: «بغية الطالب» يقـول: «وإنـما سـموا القرامطـة: زعمـوا

١. القمـي، سـعد بـن عبـد الله الأشـعري: كتاب المقـالات والفرق، سـححه وقـدم له و علـق عليه، د. محمـد جواد مشـكور، مطبعة حيـدري: طهـران، الطبعـة الأولى: ١٣٤١هـ: ٨٣.

٢. زكار، جمـع و تحقيـق ودراسـة د. سـهيل: أخبـار القرامطة في الأحسـاء والشـام والعـراق واليمن، دار الإحسـان: دمشـق. الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: ٨٤.

أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي، و نسبوا إلى قرمط، وهو حمدان بن الأشعث، كان بسواد الكوفة، وإنما سمي قرمطاً لأنه كان رجلاً قصيراً وكان رجلاه قصيرتين، وكان خطوه متقارباً، فسمي بهذا السبب قرمطاً».[1]

وعن مبدأ نشأتهم يقول ثابت بن سنان ابن قرة الصابئ (ت٨٦٥هـ): «في سنة مائتين وثمانية وسبعين من الهجرة، فيها تحرّك بسواد الكوفة قومٌ يعرفون بالقرامطة، وكان مبتدأ أمرهم فيما ذكر أنّ زعيم هذه الطائفة قدم من بلدة من خوزستان إلى عاصمة الكوفة».[2]

بينما يذهب ابن القيم الجوزي في سبب تسميتهم بالقرامطة إلى ستة أقوال، منها إن أول من أشار لهم بذلك محمد الوراق المقرمط وكان كوفياً.[3]

والذي نستفيده من هذه الأقوال إنّ القرامطة كانت نشأتها بسواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ، ثم توسعت إلى الشام، وقوت شوكتها في الأحساء التي هي محل تركيزنا وبحثنا والذي يعنينا من تاريخ القرامطة وصلته بتاريخ الحاج الأحسائي.

ظهور القرامطة في هجر:

من الشخصيات التي علقت بذاكرة الأحساء السياسية خلال فترة حكم القرامطة والتي امتدّت لقرابة القرنيْن من الزمان (٢٨١ ـ ٤٦٩هـ)، والتي كان لها دور بارز في صناعة الأحداث التي شكّلت منعطفاً تاريخياً هامّاً ولافتاً لتلك المرحلة الحسّاسة... ما يلي:

---

١. أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن: مصدر سابق: ٤٤.

٢. أخبار القرامطة: مصدر سابق: ٣٠.

٣. الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد: القارمطة، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي: بيروت، الطبعة الخامسة: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٣٨.

أبو سعيد الجنابي:

بـدأت القرامطـة في البحريـن على يد أبي سـعيد الجنـابي القرمطي الذي خـرج في هجر سـنة ٢٨١هــ، وجعلهـا منطلقـاً لحركته وهجماتـه، واسـتطاع أن يكـوِّن له جماعـة تلتفّ حولـه، بعدهـا شَرَع في تصفيـة أعدائـه أو مـن لا يؤمنـون بدعوتـه، حتـى بسـط نفـوذه عليهـا، بعدهـا انطلـق إلى القطيف ليمارس معها نفـس المنهج الدموي من القتل والسـلب والنهـب، حتـى انضوت تحـت سـلطته، فبنى سـلطته ودولته عـلى بثّ الرعـب في قلوب الآمنـين عـن طريـق التصفيـة الجسـديّة وهـدم وتخريـب الـدور وحـرق النسـل والـزرع ممـا جعـل اسـمه منبعثـاً للرعـب والهلـع في القلـوب، وقد ركّـز جهـة إرعابه عـلى طريق الحجاج، لكونـه المـكان الـذي يلتقي فيـه الناس مـن جميع الأقطـار، فقام بإنشـاء عاصمة جديـدة لدولتـه في هجـر سـماها «المؤمنيـة»، ثـم أخذ في توسـعة مملكتـه ليتجه شـمالاً إلى البـصرة ليسـتحوذ المناطـق القريبة منهـا، وهكذا علا صيته واشـتهر اسـمه، وأصبح محل خشـية الجميـع لسـطوته وجبروته وقوة بطشـه.

ففي أحداث سنة ٢٨٧هـ، يقول ابن مسكويه:

«ودخلـت سـنة سـبع وثمانـين ومائتين وفيهـا غلظ أمـر القرامطـة بالبحريـن وأغاروا عـلى نواحـي هجر وقـرب بعضهم مـن نواحي البـصرة، ولّي المعتضـد العبّـاس بن عمرو الغنـوي اليمامـة والبحريـن لمحاربـة أبي سـعيد الجنـابي والقرامطة، وضـمّ إليه زهـاء ألفيْ رجـل، فشـخص العبّـاس إلى البصرة ومنهـا إلى البحريـن واليمامة».[1]

هنـا أدركـت الخلافـة العباسـية مـدى نفـوذ الدولـة القرمطيـة وأنهـا في توسـع دائـم وخطرهـا الجسـيم عليهـا، لـذا عمـد الخليفـة المعتضـد إلى إحضـار العبـاس بـن عمـرو الغنـوي مـن بلاد فـارس وتعيينه أميراً عـلى البحريـن واليمامة بغرض التصـدي للقرامطة

١. ابـن مسـكويه (ت٤٢١هــ)، أحمـد بـن محمد: تجـارب الأمـم وتعاقب الهمـم، تحقيق: سـيد كسروي حسـن، دار الكتـب العلمية: بـيروت: الطبعـة الأولى: ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٣هــ: ٤ : ٣٨٢.

وكسر شوكتهم.

ولإنجاح المعركة استعان الغنوي بجندٍ من البصرة، فانضم إليه ألف فارس منها وسار لمواجهة الجنابي، ولكن لم يحالفه الحظ وهزم ومني بخسارة كبيرة في الجند قبض على إثرها عليه وسلب جميع جيشه من قبل قرامطة هجر.

وفي سنة ٣٠١هـ، قُتِلَ أبوسعيد الحسن بن بهرام الجنابي على يد خادمه في الحمام.[١]

أبو طاهر سليمان الجنابي:

استطاع أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الاستيلاء على هجر والقطيف وسائر بلاد البحرين، بعد أن نحّي أخاه سعيد عن السلطة الذي لم يكن يرتضي النهج الذي سلكه والده من العدوان على الحجيج وسياسة النهب والسلب الأمر الذي جعله غير مرضي لدى القرامطة، فنُحِّي وَجُعِلَ أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان مكانه.

وكان شخصيةً قوية يتمتع بذكاء حاد، وبطش شديد، ففي سنة ٣١٢هـ توجّه في جيش كبيرٍ إلى مكة المكرمة بعد انقضاء موسم الحج بغرض سلب الحاج أثناء رجوعهم من الديار المقدسة. يقول ثابت بن سنان: «تحرّك أبو طاهر القرمطي إلى الهبير، ومعه جيش عرموم، ليلقى الحج في رجوعه في مكة، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج، وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم، فنهبهم».[٢]

الأمر الذي أدخل الرعب في قلوب حاج العراق، فقرر من تأخر منهم تغيير الطريق متخذين طريق الكوفة، فما كان من أبي طاهر إلّا أن كمن لهم وأوقع بهم القرامطة وأخذوهم وأوقعوا فيه القتل، وساق أبو طاهر معه جميع جمال الحاج، وما

١. أخبار القرامطة، مصدر سابق: ٣٥.

٢. أخبار القرامطة، مصدر سابق: ٣٧.

أراد من الأمتعة والمال والنساء والصبيان، وساقهم معه إلى هجر، وترك من بقي من الحاج في موضعهم حتى مات معظمهم من الجوع والعطش وحرّ الشمس، وكان حينها عمر أبو طاهر سبع عشرة سنة.[1]

وهنا قد استشري شرّ القرامطة أيّما استشراء، وعلى الخصوص أبو طاهر القرمطي، فعمد الخليفة كواحدة من الخطوات العملية لمواجهة قرامطة البحرين أن نصب يوسف بن أبي الساج على نواحي المشرق من هجر والخط واليمامة، وأذن له في جباية أموالها وصرفها على قواده وجنده، وسيره إلى واسط ليسير إلى هجر، لمحاربة أبي طاهر الجنابي، كما جعل له خراج قم وقاشان، وماه البصرة، وماه الكوفة، وماه سبذان ليجري منها نفقات تجهيز المعركة.[2]

وهذا يعطي نظرة عن القوة التي بلغها القرامطة في البحرين من حيث القوة والعناد وكثرة الجند ليكون الاستعداد لها بهذه الإمكانيات الكبيرة.

لتدور المعركة رحاها سنة ٣١٥هـ، فكانت الغلبة حليفةً لأبي طاهر الذي هزم جيش يوسف وقام بأسره، والكثير من أصحابه، وفي هذه السنة امتنع أهل العراق من الحج.

الاعتداء على مكة المكرمة:

وكان الاعتداء الأكبر للقرامطة على الديار المقدسة في مكة سنة ٣١٧هـ، وقد خرج ركب الحاج من بغداد وأمير الحاج حينها منصور الديلمي، فلحقهم القرامطة يوم «التروية» يقول ثابت بن سنان: «فلحقهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية، أي قبل طلوعهم عرفات بساعاتٍ قليلة، فقاتلهم أمير مكة ومن معه، ولم يكن إلّا القليل

١. أخبار القرامطة، مصدر سابق: ٣٧.

٢. أخبار القرامطة، مصدر سابق: ٤٥.

حتى هزمهم، وأعمل فيهم السيف، ونهب الحجيج، وقتل الحجاج حتى في المسجد الحرام، وفي البيت نفسه، ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثث القتلى، وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة، وينشد ويقول:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلقَ وأفنيهم أنا

وصعد رجل ليخلع ميزاب البيت، فوقع صريعاً ميتاً، ودفن باقي القتلى في المسجد الحرام بدون تكفين، ولا صلّي عليهم، وأخذ كسوة الكعبة فقسّمها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة، وخلع الحجر الأسود من البيت، فوضعه على سبعين جمل، فسيّرهم به... إلى هجر».[1]

وظلّ الأمر في يد القرامطة مما جعل الحجّاج يتهيبون من الذهاب إلى مكة، يقول ابن خلدون بعد سنة ٣٢٠هـ:

«وانقطع الحج من العراق بعدها إلى أن كاتبَ أبو علي يحيى الفاطمي سنة سبع وعشرين من العراق أبا طاهر القرمطي أن يطلق السبيل للحجاج على مكسٍ،[2] يأخذه منهم، وكان أبو طاهر يعظّمه لدينه ويؤمله فأجابه إلى ذلك وأخذ المكس من الحجاج ولم يعهد مثله في الإسلام وخطب في هذه السنة بمكة للراضي بن المقتدر وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المقتضي من بعده ولم يصل ركب العراق في هذه السنين من القرامطة، ثم ولي المستكفي بن المكتفي سنة ثلاث وثلاثين على يد توروز أمير الأمراء ببغداد، بخرج الحاج في هذه السنة لمهادنة القرامطة بعد أبي طاهر ثم خطب للمطيع ابن المقتدر بمكة مع معز الدولة سنة أربع وثلاثين، وذلك عندما استولى معز الدولة ببغداد وقلع عين المستكفي واعتقله ثم تعطل الحج بسبب القرامطة، وردوا الحجر الأسود سنة تسع وثلاثين بأمر المنصور العلوي صاحب إفريقية وخطابه في ذلك لأميرهم أحمد

١. أخبار القرامطة، مصدر سابق: ٥٣.

٢. المَكْس: الضريبة، وجمعه: مكوس.

بـن أبي سـعيد ثـم جـاء الحاج إلى مكة سـنة ثنتـين وأربعين مع أمـير من العـراق وأمير من مصر».[1]

يصف «ناصر خسرو» مدينة الأحساء في القرن الخامس الهجري فيقول:

«ومـن اليمامـة إلى الحسـا أربعـون فرسـخاً، ولا يتيسّر الذّهـاب إليهـا إلّا في فصل الشـتَاء حِـين تتجمّـع ميـاه المطـر فيـشرب الناس منهـا، ولا يكـون ذلـك في الصَّيف، والحسـا مَدِينَـةٌ فِي الصحـراء، ولبلوغهـا مـن أَي طريق ينبغـي اجتياز صحراء واسـعة والبصـرة أقـرب البـلاد الإسـلامية التـي بهَا سـلطنة إلى الحسـا وبينهما خمسـون ومائة فَرسَـخ وَلم يقصـد سـلطان مـن البصرة الحسـا أبداً، والحسـا مدينة وسـواد أيضـاً وبها قلعـة ويحيـط بهَـا أربعـة أسـوار قويـة متعاقبـة مـن اللَّبـن المُحكم البنـاء بـين كل اثنين منهـا مَـا يقرب مـن فَرسَـخ، وفي المدينة عيون مَـاء عظيمة تكفي كل منهـا لإدارة خمس سـواق ويسـتهلك كل هـذا المَـاء بهَـا فـلا يخـرج منهـا ووسـط القلعـة مدينـة جميلة بها كل وسـائل الحيـاة التـي في المـدن الكبيرة وفيهَـا أَكثر مـن عشرين ألف محـارب، وقيل إِنّ سـلطانهم كان شريفـاً وقـد ردّهـم عـن الإسـلام، وقـال إني أعفيتكـم مـن الصلاة والصـوم ودعاهـم إلى أنّ مرجعهم لَا يكون إلّا إليه وإسـمه أَبُو سـعيد وَحين يسـألون عَـن مذهبهـم يقولـون: إنـا أبوسـعيديون! وهـم لا يصلـون ولا يصومـون ولكنهـم يقـرّونَ بمحمـدٍ المصطفـىﷺ وبرسـالته، وقد قـال لهم أبوسـعيد: إني أرجـع إليكم، يعنـي بعـد الوفاة وقـبره داخـل المدينة».[2]

ثـم يصـف نـاصر خسرو في «سـفرنامه» مـن كان قد نـذر نفسـه لتعهد الحـاج في دولة

---

١. المغـربي، عبدالرحمـن بـن محمـد بـن خلـدون الحضرمـي المتوفي سـنة ٨٠٨هــ: تاريـخ ابـن خلدون، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات: بـيروت، الطبعـة الأولى: ١٣٩١هــ ١٩٧١م: ٥ : ١٠٠.

٢. علـوي، نـاصر خسرو: سـفرنامة، ترجمة: د. يحيى الخشـاب، الهيئـة المصرية العامة للكتـاب: القاهره، الطبعة الثانيـة: ١٩٩٣م: ١٤٢.

القرامطة رغم ما يحفّ الأمر من مخاطر، فيقول:

«وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة ذو خطبة إلّا أَن رجلاً فارسياً اسمه علي بن أحمد بنى مسجداً وهو مسلم حاجٌ غنِيٌ كَانَ يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا».[1]

ومثل هذا الوصف الذي ذكره ناصر خسرو لا يمكن القبول به بالمطلق وحمله على المسلّمات، والحكم على تاريخ منطقة ذات تاريخ إسلامي حافل بهذه السطحية والفكر الساذج، وأنهم يصبحون بين ليلة و ضحاها كفّاراً لا يقيمون الصلاة ولا يصومون متناسين تاريخاً إسلامياً حافلاً سطّرته قبيلة عبد القيس في التاريخ الإسلامي، وإنما يمكن حمل قوله إنّ ناصرخسرو جاء في حقبة رعب وخوف شديد كان الناس يتستّرون على معتقداتهم ودينهم خشية القرامطة الشديدة الفتك بكلّ معارض لها و لمنهجها.

كما أنَّ نظرة ناصرخسرو يمكن حملها على أنه احتكّ بفلول القرامطة الوافدين على المنطقة، وليس الأهالي الوادعين و من دخل آبائهم في الإسلام طواعية غير مكرهين ولا مجبرين، فسطّروا تاريخاً مشرّفاً في صفوف القتال بين يدي رسول الله ﷺ ومن جاء بعدها من الخلفاء، عبر مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية في مختلف الأقطار.

وهكذا استمر القرامطة في تماديهم نحو الديار المقدسة بالقتل تارة والنهب والسلب تارة أخرى، ورغم اختلاف النظرات حول القرامطة ودورهم وانتمائهم الفكري، تبقي بصمتهم السيئة واضحة وقويّة على بلاد الحرمين، لم يغسلها إلّا القضاء عليهم إلى الأبد على يد البطل الأحسائي عبد الله بن علي العيوني ليؤسّس لدولة جديدة فتية عرفت بالدولة العيونية نهضت على أنقاض الدولة القرمطية.

---

١. سفرنامه، ناصر خسرو، مصدر سابق: ١٤٣.

الدولة العيونيّة (٤٦٩ـ٦٣٦هـ)، نبذة تاريخيّة:

قامت الدولة العيونية على أنقاض الدولة القرمطية بعد آن ثار عليها الأمير عبدالله بن علي العيوني، وذلك مع بداية اتمام ٤٦١هـ، يدعمه في ذلك أبناء عمّه من قبيلة عبد القيس وأبناء عشيرته العيونية، وقد قام بشنّ عدّة هجمات على الأحساء، إلّا أنه لم يظفر بها، حتى استعان بالدولة العباسية التي أمدته بجيشٍ قوامه سبعة آلاف مقاتل، بعد آن وافق السلطان السلجوقي جلال الدولة أبو الفتوح ملكشاه على إرسالها لحرب القرامطة بقيادة إكسلار الذي توجه إلى الأحساء عام ٤٦٩هـ.

وهكذا استمر في شنّ الهجمات بغرض الاستيلاء على القطيف والأحساء إلى استطاع السيطرة عليهما، ونصَّب نفسه حاكماً على بلاد البحرين؛ في تفاصيل ذكرتها الكتب، لتحظى المنطقة بسلطة وحكومة جديدة.

أبرز الحكّام العيونيين:

تعاقب على حكم الدولة العيونية والتي استمرّت قرابة ١٦٧ عاماً أكثر من عشرين حاكماً عيونيّاً، وذلك ابتداءً من تأسيسها عام ٤٦٩هـ على يد أميرها عبد الله بن علي العيوني وحتى اضمحلالها إثر الأخطار الخارجيّة والنزاعات الداخليّة في عهد الأمير عماد الدين محمد بن مسعود بن أحمد سنة ٦٣٦هـ.

وفي خضم هذه السنوات الطويلة للدولة العيونية وما شابها من وقائع وأحداث هامّة بأمكاننا أن نلحظ تذبذبها بين القوة وبسط النفوذ والضعف والترهل من خلال تسليط بعض الضوء على أبرز حاكها الذين لا يمكن تجاوزهم خلال دراسة الدولة العيونيّة نظراً للوقائع التي حدثت أبّان تسنّمهم كرسي الإمارة، وما استتبع ذلك من تداعيات سياسيّة واعتبارات مجتمعيّة فرضتها الأحداث آنذاك.

من أولئك الحكّام العيونيين ما نستعرضه في هذا الإيجاز، وهم ثلاثة أسماء شكّلت

مساحة كبيرة على خارطة التاريخ للدولة العيونيّة، وهم:

الأمير عبدالله بن علي العيوني (٤٧٠ـ٥٢٠هـ)

وفي تفصيل موجز عن الأمير الشجاع عبدالله بن علي العيوني، إنه خلال القرن الخامس الهجري شهدت الدولة القرمطية ضعفاً كبيراً نتيجة تخلي بعض حلفائها عنها منها فتور العلاقة التي كانت تجمعها بالدولة الفاطمية، وبالتالي فُقدت حليف قوي.

كما شهدت صراعات داخلية بين أفراد الأسرة على السلطة مما شجع المعارضين للوجود القرمطي في بلاد البحرين للثورة عليهم والعمل على تقويض نفوذ هذه الدولة.

ففي بلاد البحرين بجزيرة أوال تحرك أبو البهلول العوام بن محمد الزجاج، بمحاولة الانشقاق من نفوذ القرامطة والاستقلال عن السلطة العليا في الأحساء لهم، وقد استطاع أن يحدث لهم جلية قوية.

وفي القطيف كان تحرك يحيى بن العياش من عبد القيس الذي استطاع إسقاط حكم القرامطة في القطيف وقيام إمارة آل عياش في العقد السادس من القرن الخامس الهجري، والذي اتصل بالدولة العباسية طالباً النصرة على القرامطة.

في نفس الوقت بدأ تحرك الأمير العيوني في الأحساء، والذي استطاع استثمار الأحداث لصالحه والاستفادة منها بعد أن أخذ يتهاوى ويتزعزع سلطان القرامطة في دولة مترهلة فاستطاع خلال عمل متواصل ودؤوب استمر لمدة سبع سنوات من العمل على تقويض أركان القرامطة في المنطقة،[1] بعد أن استعان بمختلف الأطراف المعارضة للقرامطة كالدولة العباسية والدولة السلجوقية، بل وحتى الفاطميين الذين أصبح لديهم نقمة على القرامطة، ودخل معهم في معارك عديدة بدأ بالقبائل الحليفة للقرامطة كبني

١. المديرس، د. عبدالرحمن بن مديرس: الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م ـ ١٢٣٨م، دارة الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ: ٨٥.

عامـر وفلـول القرامطـة في المناطـق المحيطـة حتى حصـر من بقـي منهم في الأحسـاء.

وبنـاءً عـلى ذلـك قـام بمحاصرتهـم و تضييـق الخنـاق عليهم ممـا جعلهـم يتحصنون في الأحسـاء، وجعـل الخيـار في المفاوضـات وتوقيـع معاهدة مقابل السـماح لهـم بمغادرة البـلاد، واسـتطاع بذلـك سـنة ٤٦٩ هـ، مـن الدخول قـصر الإمـارة، لتبدأ دولتـه مرحلة الاستقرار سـنة ٤٧٠ هـ.

بعـد أن قـام الأمـير عبـد الله بالقضاء عـلى دولـة القرامطة خوّلـه ليكون مقبـولاً لدى الخلافـة العباسـية مـن جهـة والسـلجوقية مـن جهـة أخـرى، ولربهـا اسـتخدمته الدولة العباسـية كعنـصر ضغـط عـلى القبائـل المنتشرة بـين البـصرة وبـلاد البحرين التـي كانت مصـدراً للقلاقـل؟ والفتـن في جنـوب العـراق وعلى طول طـرق الحج،[1] لمـا كان يتمتع بـه من منعـه وقوة بعـد قضائـه عـلى القرامطة.

الأمير محمد أبو سنان العيوني (٥٢٠ ـ ٥٣٨ هـ)

تولّـى أبـو سـنان محمـد العيـوني السـلطة في بـلاد البحريـن في أعقـاب اغتيـال والده الفضـل، فقـد اشـتهر هـذا الأمـير العيـوني الشـجاع ببسـالته ونشـاطه في القضـاء عـلى المفسـدين والمعتديـن في أصقـاع الجزيـرة العربيـة وعلـى الخصـوص المعترضـين طريـق الحـاج، حتـى قـال في شـأنه عـلي بـن المقـرب العيـوني:

منَّا الذي أصحـب المجتازَ من حلب إلى العـراقِ إلى نجـدٍ إلى أَدَمَـا.[2]

فقـد كانـت القوافـل التي تقطع الطريـق بين الأحسـاء إلى نجد إلى مكـة المكرمة تعاني مـن مشـاكل قطّاع الطرق الذيـن ينهبون أمتعة العابريـن ويسرقونهـا دون رادعٍ من دين أو خشـيةٍ من سـلطان، فكان له اليـد الطولى في مواجهتهـم والتصدّي لهـم والقضاء عليهم.

١. الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: ١٠٧.

٢. أدما: هي قرية لبنانية من قري قضاء كسروان في محافظة جبل لبنان.

يقول شارح الديوان:

«في الحديث عن محمد بن أبي سنان العيوني أنه كان على صلاتٍ قوية مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله، واشتهر بقضائه على قطاع الطرق الذين يتعرضون الحجاج في طريقهم إلى مكة، وأخذ على أيدي مفسدي العرب حتى صار الراكب يسير إلى عمان من الأحساء وإلى العراق وإلى نجد وإلى الشام فلا يفزعه أحد، وكذلك القافلة أين أدركها الليل باتت لا تخاف من أحد».[1]

أثر مقتل أبي سنان العيوني:

مقتل الأمير محمد بن الفضل أبو سنان سنة ٥٣٨هـ، يعدّ بمقام الضربة القوية للدولة العيونية، وبداية تفكك أجزاء الدولة العيونية، ففي الأحساء تولى الأمير علي بن عبدالله العيوني مقاليد الحكم والذي بايعه أهلها لكونه أكبر أفراد البيت العيوني، في حين تمكن الأمير الحسن بن عبدالله العيوني من السيطرة على جزيرة أوال بعد معركة الأحساء، أما القطيف فقد بايع أهلها الأمير غرير بن الفضل شقيق الأمير أبي سنان بن الفضل العيوني.[2]

الأمر الذي نجم تفكك الدولة العيونية إلى ثلاث دويلات، مما فتح المجال أمام البدو والقبائل المحيطة بها أن تستغل هذا الضعف لصالحها، غير عابئة بتاريخ العلاقة الطيبة بينها والدولة العيونية السابقة، طالما وجود فرصة لصالحها لممارسة النهب والسلب.

---

١. قوافل الحج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساكر، مجلة الدرعية، السنتان السادسة والسابعة، العددان: الرابع والخامس والعشرون، ذوالحجة ١٤٢٤هـ، ربيع الأول ١٤٢٥هـ، فبراير ـ مايو: ٢٠٠٤م: ٦٧.

٢. خليل، د. محمد محمود، تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمي إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩ـ٩٦٣هـ/ ١٠٧٦ـ١٥٥٥م)، مكتبة المدبولي: القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م: ١٧١.

فعلى سبيل المثال العلاقة التي بين العيونيين وأمراء ربيعة تحولت من حالت الحبّ والودّ إلى العداء بعدما خرج أمراء ربيعة عن طاعة الدولة العيونية ونفوذها، وأصبحوا يهدّدوا طرق التجارة والحجيج.[1]

ولم تهدأ تلك الفوضى إلّا مع إطلالة عام ٥٨٧هـ، بصعود الأمير محمد بن أحمد العيوني الذي أعاد للدولة العيونية مجدها وكان بمثابة المؤسس الثاني للدولة العيونية.

الأمير محمد بن أحمد العيوني (٥٨٧ـ٦٠٥هـ):

هو الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالله العيوني، ثاني أبرز شخصية في تاريخ الدولة العيونية بعد المؤسس الأمير عبدالله بن علي العيوني لما قام به من تثبيت دعائم الدولة، وتنظيم إدارتها، فقد استطاعت الدولة العيونية في عهده أن تحافظ على مكانتها وسمعتها في الجزيرة العربية كقوة حامية عن الحجاج وطرق الحاج ضد قطاع الطرق واللصوص المنتشرين في ربوع الجزيرة العربية والذين كانوا يثقلون كاهل الحجاج بالضرائب، وسلب المال، وقد يصل إلى القتل أحياناً.

لذا شجع الخليفة العباسي الناصر أمير البحرين محمد بن أحمد العيوني على قمع بعض القبائل العربية القاطنة في بلاد البحرين وجنوب العراق التي تشكل خطراً على طرق القوافل الممتدة من العراق عبر الجزيرة العربية، وعهد إليه حماية أرياف البصرة وخفارة الحاج.

ومقابل ذلك فرض له الخليفة السلجوقي الناصر لدين الله: «كلّ سنة من ديوان الزمام ببغداد ألفاً ومائتي ثوب من معمول مصر وخوارزم وأكثرها أبريشم، وفرض له في البصرة ألفاً وخمسمائة حمل حنطة وشعيراً وأرز وتمر مدة حياته».[2]

---

١. تاريخ الخليج[الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢٩٣.

٢. الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: ١٣١.

وهـذا يؤكّـد متـن العلاقة بـين الخليفـة الناصر والأمـير العيـوني الذي اثبـت وجوده، وللمصالح المشـتركة بـين الطرفين.

وقـد تجلّـى دول الأمـير الأحسـائي في أحداث سـنة ٥٩٨هـ، بالتصـدّي لتحالف قبل مـن بنـي ربيعـة بزعامة دهمش ابـن أجود وزعـماء آخرين، وشـاركتهم بعـض بطون طيئ و زبيـد. ويبـدو أنّ من أسـباب قيـام الأمير العيوني بهـذا العمل قيام تلـك القبائل بمهاجمة أراضي عقيـل في جنوب العـراق وفي منطقة الفرات.

وكانـت قبائـل عقيل متحالفـة مع الأمـير العيوني، بل قيـل: إنّ الأمير محمـداً كانت له الزعامـة عـلى تلـك القبائـل، ولهذا فقـد بعثـوا إلى الأمير العيوني يسـتنهضونه عـلى محاربة قبائل ربيعـة وحلفائهم.

غـير أنّ سـبباً آخـر ربما كان الدافـع الرئيس لأمير البحريـن لمحاربة تلـك القبائل، فقد اشـتكى الحاج من بطـش قبائل طيئ بقوافل الحج ونهبها، فأرسـل الخليفة الناصر رسـولاً إلى الأمـير العيـوني يحثّـه عـلى النهـوض للتصدي لهـم وقتالهم، فاسـتجاب أمـير البحرين لذلـك، وجمع جيشـاً عظيـماً من قبائـل البحرين، وزحف بهم شـمالاً في اتجـاه مواطن طيئ وخلفائهـم بعـد أن انضمـت إليـه بطون عقيـل، والتقـى الأمير العيـوني التحالـف القبلي بالقـرب مـن الكوفة، واسـتطاع الأمير محمـد أن يلحق بهـم هزيمةً مريـرة اضطر زعيمهم دهمـش للالتجـاء إلى قـبر الإمـام عـلي عليه السلام بالنجف، فحـاصره الأمـير العيـوني، ثم قبض عليـه، وأرسـله إلى الخليفـة العبـاسي الذي طلب منـه عدم التعـرّض للحاج، فاسـتجاب لذلك، فاطلـق سراحه.[1]

ولم يكتـفِ الأمـير بالقتال والمواجهة وإنما سـعى لتسـهيل طريق الحـاج وحماية القوافل

١. الدولـة العيونيـة في البحريـن، مصـدر سـابق: ١٣٢، المناعي، سـامي جاسـم عبدالعزيـز، ابن مقرب العيـوني شـاعر الخليـج العـربي في العصور الإسـلمية حياته و شـعره، جامعـة قطر: الدوحـة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٨٢م: ١٥.

قـام بكسـب وجذب القبائـل التي تقطـن الصحراء ومنهم بنـو عامر بـن صعصعة وعائذ وخفاجـة وقبيلة قيـس وقبيلة ربيعة.[1]

وهـؤلاء القبائـل كانت لهم سـيطرة تامة عـلى صحراء الأحسـاء والطريـق المتجه نحو تهامـة وعـمان، وهـذا دليل عـلى نفوذ وسـيطرة الدولـة العيونيـة في عهد هـذا الأمير يقول الحميـدان: «لـذا فقـد وصـف ابـن المقـرب في إحدي قصائـده بـلاد البحرين بأنهـا أرض عامر لأنهـم أهل الباديـة وأصحـاب خفارتها.

إنّ خضـوع الحـكّام العيونيـين لمطالـب بنـي عامـر مـؤشر واضـح عـلى عجزهـم عـن إخضاعهـم بالقـوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسـة لاترضية معهـم. وأنّ ذلك يمكن أن يترجم عـلى أنّ بنـي عامر قـد أصبحوا يتحملـون مسـئولية حماية أريـاف البحرين وقوافـل التجّار والحجـاج مقابـل مبالغ معينـة يحصلونها مـن المزارعين والتجّـار والسـلطة الحاكمة».[2]

ولعـلّ مـن أبـرز معـالم نهضة وقـوة الأمير محمـد أنَّه اسـتطاع فـرض نفوذه وسـيطرته عـلى جنـوب العـراق، ونجـد وبعـض بادية الشـام، كـما وحّـد البحريـن وجعـل القبائل القاطنـة في باديتهـا طوع أمـره، وقد خـشي الجميع مواجهتـه أو عصيانه، فاسـتطاع بذلك الحفـاظ عـلى أمن المـدن والقرى في بـلاد البحرين التي عانـت فيما مضى مـن هجوم تلك القبائل وتحرشـها بالبسـاتين والزروع.

مـا اسـتطاع الأمـير تأمـين طريق الحج الـذي يأتي مـن العـراق أو ينطلق مـن البحرين إلى بيـت الله الحـرام حيـث خضعت تلـك المنطقة لنفـوذه وسـيطرته، مما زاد مـن علاقات الـودّ مع الخليفـة العباسي.[3]

---

١. تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢١١.

٢. إمارة العصفوريـين ودورها السـياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربيـة، عبداللطيف الناصر الحميدان، مجلة كلية الآداب في جامعة البـصرة، س١٣، ع١٥، ١٩٧٩م: ٨٣.

٣. تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٢١٧.

كـما يمكـن القـول إنّ مـن أفضـل مميـزات عـصر الأمـير محمد، تمتـع حجـاج بيت الله الحـرام بالأمـن والطمأنينـة في ذهابهـم أو قدومهـم من البيـت الحرام، حيـث عمل الأمير عـلى توفـير سـبل السـلامة وتأمـين الطرق مـن القبائـل العابثـة بالحجـاج، فلم تجـرؤ أي قبيلـة عـلى المسـاس بـروّاد بيـت الله حتى مـات الأمـير محمد.[1]

الإمارة العصفورية (٦٣٠هـ ـ خلال القرن الثامن الهجري)

يرجـع نسـب الإمـارة العصفوريـة إلى زعيمهـما الشـيخ عصفور بن راشـد بـن عميرة بـن سـنان بن غفيلـة (عقيلـة) بن شـبانة بـن قديمة بن شـبانه بـن عامر.[2]

فكانـت القطيـف أول محطـات سـيطرتهم عـلى المنطقة، فقد خضعت لسـلطتهم سـنة ٦٣٠هـ، ثم كان لهم السـيطرة على الأحسـاء بعـد دخولها دخول الفاتحـين على يد زعيمها الشـيخ عصفـور بن راشـد بن عمـيرة، وذلك بعـد أن تواطأ أيـان؟ الأحسـاء واتفقوا على تسـلم المدينـة لزعيـم بني عامر القـوي عصفور بن راشـد.

ذكـر القلقشـندي نصّـاً يـدلُّ على سـيطرة العصفوريـين على الأحسـاء في تلـك الفترة حيـث قـال: «وقـد ملكـوا البحريـن بعد بنـي أبي الحسـين، غلبـوا عليهـا تغلباً، قـال ابن سـعيد: «وكان ملكهم في نحو الخمسـين من المائة السـابعة، ملكها منهـم عصفور وبنوه»، ثم زاد القلقشـندي في موضع آخـر، وقال: «وهـم أصحاب الأحسـاء وهي دار ملكهم».[3]

قامـت الدولـة العصفورية في أعقاب نهايـة الدولة العيونية، وفي هـذه المرحلة لم نعرف الكثـير عـن دورهـم في قيـادة الحجـاج إلى بـلاد الحرمـين، سـوى مـا ذكـره ابـن خلدون

١ . تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، محمد بن عبدالله آل عبدالقادر: ١ : ١٠٤.

٢ . الظاهـري، أبـو عبـد الرحمن بـن عقيل: أنسـاب الأسر الحاكمة في الأحسـاء، تقديم حمـد الجاسر، دار اليمامة: الرياض، الطبعـة الأولى: ١٤٠٣هـ: ١١٦.

٣ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٦٤.

(ت٨٠٨هـ)، عن بن سعيد أنه التقى بركب البحرين في المدينة النبوية فسألهم: «سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وستمائة عن البحرين، فقالوا الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عامر بن عقيل، وبنو تغلب من جملة رعاياهم، وبنو عصفور منهم أصحاب الأحساء».[1]

وبالرغم من ندرة المعلومات عن إمارة العصفوريين في الأحساء، فضلاً عن معالم الحج الأحسائي في عصرهم، إلّا أننا نستطيع أن نتكهّن إنّ الحج نَعُمَ بالأمن فترة العصفوريين، لا أقلًّا من البدو والأعراب في المناطق المحيطة والواقعة بين الأحساء واليمامة، وذلك بعد أن بسطوا نفوذهم إلى اليمامة وخضعت المنطقة لسيطرتهم وحمايتهم.

وقد امتدت سيطرة الدولة العصفورية على إقليم نجد وأرض اليمامة من بني كلاب،[2] يدلّ على خضوع إقليم اليمامة (نجد) لسيطرة العصفوريين حوالي عام ٦٥٠هـ، والجدير بالذكر هنا أنّ ابن سعيد ـ الذي أشار إلى نفوذ العصفوريين ـ زار الشرق بين عامي ٦٤٨ ـ ٦٥٢هـ، ومن تلك المدن التي زارها المدينة المنورة عام ٦٥١هـ، ووصف ابن سعيد الحياة في نجد وبلاد البحرين وصفاً دقيقاً من خلال الأشخاص المقيمين في تلك المناطق، والذين قابلهم في مدينة الرسول، وكتب ما دوّنه بناءً على وصفهم، فكان مما دوّنه قوله: «بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر، ولم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين، ومنهم الآن ملوك الصقعين»، وذلك في إشارة إلى تمدّد ملكهم وقوتهم في المنطقة، وهذه المنطقة هي محل طريق الحاج الأحسائي بالمناطق التابعة لها، ومما يؤكّد هذا الكلام أنَّ الحقبة العصفورية عرفت بالرفاه الاقتصادي، وهو أمر يتطلّب الاستقرار الأمني من قطّاع الطرق واللصوص التي تتربص بالقوافل

١ . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: ١٤٨.

٢ . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: ١٤٨.

المارة ذهاباً وإياباً، والحج كفريضة دينية كانت محل عناية واهتمام في تذليل الصعاب.

وهذا الأمر لم يستمر للعصفوريين لفترة طويلة، فقد تمَّ طردهم من جنوب نجد من بيشة بقوات حاكم إقليم عسير، وبقيادة أحد ولاته وهو الوالي محمد بن سعد الشرقي، الذي أجلا القبائل النجدية عن بيشة، بل واستطاع أيضاً السيطرة على مدينة «أوضاح» جنوب نجد، والتي تقع على طريق التجارة والحجيج والتي أهتم بها العصفوريون نظراً لحرصهم الشديد على حفظ الحجيج، وتنشيط التجارة وإخضاع أهم المدن الواقعة على طرق التجارة لسيطرتهم وذلك من أجل منفعتهم الاقتصادية التي بنوا عليها قوتهم السياسية والعسكرية.[1]

مما يؤكد ما وصل إليه العصفوريون من قوة اقتصادية تكوينهم علاقة اقتصادية بدولة المماليك في مصر والشام، يقول ابن فضل الله العمري عن تلك العلاقة في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» حيث قال: «وأما عرب البحرين فهم قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التجار، ويجلبون جياد الخيل، وكرام المهاري، واللؤلؤ وأمتعة من أمتعة العراق والهند ويرجعون بأنواع الحباء والأنعام والقماش والسكر، وغير ذلك ويكتب لهم بالمسامحة فيردّون ويصدّون».[2]

وهذا النص فيه عدّة دلالات هامة من أبرزها «فيردون ويصدون» في إشارة إلى تكرار الرحلة وأنّ الصفقات الاقتصادية بينهما طويلة، وأمر آخر «من أمتعة العراق والهند» التي يحتمل أنّ بعضها كان يردهم عن طريق الحجاج الذين يصلون الديار المقدسة من طريق الأحساء، فيكون كنوع من التمويل والتجارة مبادلة البضاعة الأحسائية ببضاعة هندية أو عراقية، فيكون منها من الوفرة أن يستفاد منه للتجارة مع المناطق الأخرى.

١ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٧٥.

٢ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٧٩.

والجدير بالذكر أنّ الأمير العصفوري محمد بن أحمد العقدي، كان يذهب بنفسه إلى مصر لتدعيم أواصر الصداقة مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس.[1]

ولم تكن العلاقة العصفورية المملوكية اقتصادية بعيدة عن القدرة العصفورية على طريق الحج والسيطرة عليه سواء عن طريق الأحساء لمن يأتون عبر البحر، أو طريق الحاج العراقي الذي كانت لهم سيطرة عليه.

يقول الدكتور محمد محمود خليل: «و لابدّ هنا من الإشارة إلى أنّ سلاطين المماليك كانوا حريصين أيضاً على تدعيم علاقتهم مع الأمراء العصفوريين، لكسب مزيد من النفع والنفوذ العسكري والاقتصادي عن طريق ما للعصفوريين من نفوذ على طريق الحجيج والتجارة في العراق والخليج الفارسي وبلاد البحرين، وما تمتعت به الإمارة العصفورية من قوة عسكرية تستطيع حماية مصالح المماليك، خاصة بعد ما دخل العصفوريون في حلف مع آل جروان أصحاب الأحساء.

ويؤكد ذلك ما أورده المقريزي في كتابه السلوك، بأن العصفوريين كانوا يتعرّضون للقوافل التجارية وقوافل الحجيج التي تسير تحت راية الدولة المغولية، وذلك لإضعاف النفوذ المغولي من ناحية ولكسب رضا السلطان المملوكي من ناحية أخرى، وذلك بناءً على أوامر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي أراد إضعاف الهيمنة المغولية في شبه الجزيرة العربية، وخاصة في المناطق الخاضعة لحلفائه العصفوريين.

ويبدو لنا أنّ السلطان المغولي أبا سعيد كان يعي ذلك الوضع جيداً لذا دخل ذلك السلطان المغولي مع السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون في صلح سنة ٧٢٠هـ، وقد ذكر ذلك الصلح المؤرخ أبو الفدا في تاريخه حيث قال: «وفيها ٧٢٠هـ في يوم الاثنين تاسع ذي الحجة، وصل إلى إسماعيل السلامي، رسول من جهة أبي سعيد ملك التتر، ومن جهة جوبان، وعلي شاه بهدية جلية، وتحف ومماليك وجواري مما

١ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٨٠.

يقارب قيمته خمسين تمانًا، والتمان هو البدرة، وهي عشرة آلاف درهم، وسار بذلك إلى السلطان [الناصر محمد بن قلاوون]».

ويبدو أنّ السلطان قلاوون بو سعيد عندما اطمأن على إصلاح العلاقات مع السلطان المملوكي قلاوون سارع بتسيير القوافل التجارية وقوافل الحجيج عبر الأراضي الخاصة لبني عصفور أحلاف المماليك.

ويوضّح المؤرخ المقريزي تلك الأحداث حيث يقول: «إنّ قافلة الحجيج العراقية خرجت من البصرة سنة ٧٢١هـ، تحت راية المغول، فقام العصفوريون وحلفاؤهم من العرب باعتراضها، كما جرت العادة بذلك، حيث خرج العصفوريون بألف فارس من أجل نهب تلك القافلة ذات الراية المغولية.

فما كان من رئيس قافلة الحجيج العراقي إلّا أن سارع بإخبار العصفوريين ومن معهم من أحلاف، بأنّ تلك القافلة خرجت بموافقة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وأنه في حالة وفاق وصلح مع السلطان المغولي أبو سعيد، ونتيجة لذلك أخلا العصفوريون سبيل تلك القافلة وتنحوا جانباً عن طريقها، بل بالغوا في الأمر وقالوا: لأجل الناصر نخفركم بغير شيء، فبلغت قافلة الحجيج مكة بسلام، وعندما بلغ أمر تلك القافلة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، سرَّ وابتهج من فعل العصفوريين وقولهم، وبالغ في الإنعام على بني عصفور».[1]

وهذا النص يبيّن مدى اتساع السيطرة التي بلغها العصفوريون على طريق الحاج في الأحساء والعراق، وأنهم يشكلون قوة ضاربة أمام المعتدين والمخالفين لهم.

لذا و إن خفيت عنا معالم الحج الأحسائي في هذه الحقبة، لكن ندرك قدر الأمن والرحة الذي وصل إليه الحاج الأحسائي ومن يسير ضمن ركبه خلال الحقبة العصفورية.

١ . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٣٨٤ـ٣٨٦.

وبالرغـم مـن كلّ شيء يبقى تاريـخ الدولة العصفوريـة يكتنفه الكثير مـن الغموض، والتسـاؤلات عـن الموقع الجغرافي لدولتهـم في مقابل الدول التي حكم الأحسـاء في نفس الفـترة، وعـن طبيعة العلاقة التي تربطهـم ببعضهم البعض، ثم هل مـارس العصفوريون قطـع طريـق الحـاج أو كانـوا يفرضـون ضريبـة على قوافـل الحجيـج مقابل تأمـين الحماية لوصولهـا، وغيرهـا مـن الجوانـب المختلفـة، فـلا زالـت المصـادر شـحيحة عـن جوانب تاريـخ هـذه الدولة الأحسـائية التـي كان لهـا نفـوذ قـوي وسـلطة واسـعة عـلى أطـراف الجزيـرة العربية.

من أدب الحجّ

إعداد : الشيخ حسين الواثقي

صورة الشاعر السيّد طالب الحسني الحيدري الكاظمي

قال الشيخ حسين الواثقي في كتابه: «رحلات الكرام إلى بيت الله الحرام»، الحجازيّات، للشاعر السيّد طالب الحسني الحيدري الكاظمي، تمهيد: الحجازيّات من فنون الأدب العربي، و قد برز في هذا المجال عدّة من الأدباء منهم:

١ـ عمر بن أبي ربيعة المخزومي (ت ٩٣ هـ) وقد رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنّه يتعرّض لنساء الحاجّ و يتشبّب بهنّ، فنفاه إلى دهلك، ثمّ غزا في البحر، فاحترقت

السفينة به وبمَن معه، فمات فيها غرقاً.

٢ـ الشريف الرضي محمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ)، أشعر قريش، وصاحب الآثار الجليلة، منها: «نهج البلاغة» التي جمعها من الخطب والرسائل والكلم القصار لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ ومنها: ديوانه المطبوع «الحجازيات».

ولا غرو، فإنه كان منصوباً من قِبل الخليفة العباسي أميراً على حُجَّاج المسلمين جميعاً، من سنة ٣٨٠هـ إلى حين وفاته سنة ٤٠٦ هـ.

وقد اعتنى بدراسة الحجازيّات للشريف الرضيّ عدّة من الأدباء ...

... وقد حجّ السيد طالب في سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١م، ففي رحلته إلى الديار المقدسة وعودته منها أنشأ الحجازيات وأهداها إلى المحرَّمات اللاتي حرمه من النظر إليهنّ الحياءُ من الله وحُرمةُ المكان والزمان، ووصّى أن تدفن معه هذه الأوراق؛ لأنّها شرف دنياه و ذخيرة آخرته. فهو ملتزم بأحكام الدّين المحمدي، ولكن للخيال وللشعر دنياهما. وأحد دواوينه: «من وحي آل الوحي»، وقد اختصّ الجزء الرابع منه بالحجازيّات، مطبوع في مطبعة شركة مجموعة العدالة للطباعة والنشر، في بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ١٦٥ صفحة.

وهذا الكتاب الجليل جدير بأن تتوجّه إليه الأنظار، ممّن يزاول النظم والأدب، وله علقة بآداب الحرمين المعظّمين.

من كتاب الحجازيّات

الموسم المقدّس:

أينَ الشريف الرضيُ و ابنُ أبي ... ربيعةٍ عن مفاتنِ الحضَرِ
ليشهدا الموسمَ المقدسَ في ... «مكةَ» في لُجةٍ من البشر

حيثُ تطوفُ الحِسانُ محرمةً للحجِ بيضَ الثيابِ و الأُزُرِ
كأنهن الحَمامُ منسرباً يمشينَ بينَ الدلالِ والخفَرِ
إذنْ لذابا هوَىً ولافتتنا بما يخطُ الجمالُ من صورِ
حيثُ يغطِّي الشعاعُ أعينَنا ويستحيلُ الحصَى إلَى دُرَرِ

***

كانت مرايا الوجوهِ تشغلُني أنْ شُغلَ الآخرون بـ «الحجر»
إنْ أنا أعمضتُ عِفةً و تُقى عصَى فؤادي فهبَّ للنظرِ

***

البلوى:

أستغفرُ اللهَ ربّي هل أُكلِّمُها ونحنُ نسعى وفي عينيَّ عيناها
إذا أدرتُ لها وجهي تعاكسُني لكنْ تريني ابتساماً حينَ ألقاها
ما كانَ أخضريشفي النفسَ موسمنا ولم يكنْ حافلاً بالشوقِ لولاها
من نظرةٍ سحرتْ عينيَّ طلعتُها لستُ الوحيدَ فآلافٌ ضحاياها
تدعو مفاتنُها قلبي فاتبعُها كأنني قد نسيتُ الحجَ واللهَ
عواطفي جارياتٌ في عروقِ دمي وتستحيلُ جحيماً عندَ لُقياها
وحقِّ بيتكَ والمسعى سعيتُ لها والطُهرُ يشهدُ أني صرتُ أهواها
خلقتَها ـ هكذا ـ تغري أنوثتُها فمنكَ بلواي إنْ نعشقْ وبلواها
كم امتحانِ معاناةٍ نمرُ بهِ رفقاً بقلبينِ في وادي الهوى تاها
وعُضَّ يا ربِ طرفاً عن تهافُتِنا ولاتؤاخذْ ضعيفاً وجهُه شاها
تُلقي الفراشةُ في نارٍ مؤججةٍ بالنفس راضيةً والحتفُ عُقباها

مـن أجـلِ لحظـةِ إشـباعٍ للذتِهـا تـذوبُ في ناريهـا طوعـاً وإكراهـا
كلٌ يعـودُ غـداً لكـنْ تظـلُ هنـا خُطـىً إليـكَ بايـمانٍ خطوناهـا
حتى لدى الموتِ لا أنسـى ابتسامتَها وفي مُحيَّـايَ مُنشَّـدٌ مُحيَّاهـا

***

عبادة:

يُلبِّـي ـ أينـما وجَّهـتُ وجهـي ـ لسـاني ذاكـراً آلاءَ ربي
وحـينَ يلـوحُ لي وجـهٌ جميـلٌ فقلبـي مـنْ يجيـبُ ومـنْ يُلَبِّـي
وفي كلِّ الـدروبِ تملكتنـي مفاتـنُ حسـنِها الأخَّـاذِ يسـبي
ومـا مـن موقـفٍ إلاّ وعقـلي تجاذبَـهُ الهـوى مـن غـيرِ جـذبِ
ومـا مـن «مشـعرٍ» إلّا وفيـه قـد ارتـادَ الجـمالُ ضفـافَ هُـدبي
وحـارَ القلـبُ حتـى صـارَ نهبـاً وسـارَ وراءَ سربٍ بعـدَ سربِ
كأني للجـمالِ أتيـتُ أسـعى أرى المحمـولَ مـن شرقٍ و غـربِ
فيـا ربّي بصنعتِـك افتتـاني بـما أبدعتَـه حـيَّرتَ لُبِّـي
إذا مـا الحسـنُ ألهـاني و أغـرى أحاسيسـي فليـس الذنـبُ ذنبـي
وقـد علَّقـت في الأضـلاعِ قلبـاً يحـسُّ ويكتـوي فرحمـتُ قلبـي
وقلـتُ اللهُ أبـدع كلَّ وجـهٍ يُحِـبُ ولا حيـاةَ بغـيري حُـبِ
عبدتـُكَ بالجـمالِ أراكَ فيـهِ وحسبـي أنـيَ المفتـونُ حسبـي

***

عبادة الجمال:

كلُ «المواقف» للغرامِ مواقفُ ... للحسنِ ساعيها سعى و الطائفُ

فِتَنُ الجمالي و كلُّ ما هو تحفةٌ ... تغري العيونَ لها هناكَ متاحفُ

من كلِّ ناحيةٍ وكلِّ قبيلةٍ ... ملِكاتُ حسنِ خلفَهن وصائفُ

نطقَ الجمالُ يقولُ هل من واصفٍ ... متحدياً ماذا يقولُ الواصفُ؟!

وجهٌ كلؤلؤةٍ يُضيءُ ومثلُه ... جسدٌ كلحنٍ وقعُه متآلفُ

حرَمٌ يلذُ الخائفونُ بأمنهم ... فيهِ فؤادي في حماهُ الخائفُ

كم مقلةٍ دمعت وكم من مهجة ... ذابت وقلبٍ فيه عِرقٌ نازفُ

ولقد يرى من غيري قصدٍ طلعة ... فيغيبُ عن معنى الوقوفِ الواقفُ

ما بينَ عصيانٍ يهيمُ وطاعةٍ ... قذفته في لُجَجِ المتاهِ قواذفُ

للوقتِ قدسٌ والمكانِ مثيلُه ... ولقلبِه ولمقلتيهِ عواطفُ

ويعيشُ عالَمَ قلبِه لا ربِّهِ ... في محنة كم زلَّ فيها العارفُ

وكأنه في مهرجانٍ للهوى ... هو كالغريقِ تجاذبته عواصفُ

فاللهُ يجبرُ كلَّ كسرٍ لم تفتْ ... أحداً هنالكَ من سناهُ عوارفُ

مطرُ العطايا حينَ يهطلُ غامرٌ ... يتنعمُ الشاتي به والصائفُ

عشقُ الجمالِ عبادةٌ قدسيّةٌ ... وبغيرِ صدقٍ كلُّ عشقٍ زائفُ

***

التوجه إلَى الله:

قطعنا الصحاري موحشاتٍ كأننا ... قضينا علينا بالهلاكِ المروعِ

قدمنا وشوقٌ دافع في نفوسنا ... يحفزنا والليل سكرانُ لا يعي
وأجهدَنا المسرى وكان جهادُنا ... لوجهكَ فارحمْ لوعةَ المتلوعِ
تجرِّعُنا كأسَ الردى بينَ ساعةٍ ... وأخرى ونشقى موضعاً بعد موضعِ
أتينا إلى مغناك نسعى بأرؤسٍ ... تعرَّتْ وعن عينيكَ لم تتبرقعِ
تركنا وراءَ الظهرِ دنياً نحبُها ... إلى أرفعِ الأبوابِ نسعى و أوسعِ
فخذ بأكفٍّ قد تقطَّعتِ العُرى ... ولم يبق فيها غير ذلِّ التسكعِ
جميعُ الكُوى لي من علٍ قد تفتَّحتْ ... فابصرتُ أبعادَ الجلال المبرقعِ
لمستُكَ بالكفينِ واجهني السنى ... فكانَ دليلاً مقنعاً أيَ مُقنِعِ
وشعشعت الأنوارُ فيَّ كأنني ... نبيٌّ ولولا رحمةٌ لم تشعشعِ
وأنتَ محيطٌ بي ولستَ بحاجةٍ ... لتعرفَ أني صادقٌ حينَ أدَّعي
عليم بأسراري لأنك خالقي ... خبير بطاقاتي لأنكَ مبدعي
كأنّ الصحاري أبحر من متاهةٍ ... وليسَ لقلبي زورقٌ غير أضلعي
جناحاي من وهم أطير إلى الذرى ... ومنها تطيح الريحُ بي فوقَ بلقعِ
يقولون نسعى نحو أفضل موقع ... وأنت محيط شاغل كلّ موقعِ
تعبتُ من المسرى الحثيث ولم أجد ... لرجليَّ من مرسىً أخير وموضعِ
فقدتُ ربيعَ العمرِ في عيدِ زهوه ... وضِعت و قد فارقتُ أهلي و مربعي
إلى وجهك اللهم كلّ توجهي ... ومن قدس الأقداس كلّ تبضعي
أتيتُ وظهري مثقل بخطيئتي ... أقدِّمُ أعذاري وما شئت فاصنعِ
فهل أنت إلاّ عاذري و مسامحي ... ولولاك لم تهدرْ مسارات منبعي
وهيهات مالي للأولاد و الحمى ... وللأهلِ من عودٍ إذا لم تكن معي

***

العروج:

رحلتي للحجاز رحلةُ فيضٍ ... وعروجٍ إلى ذُرى الألطافِ
بجناحينِ من حنينٍ و شوقٍ ... وإزارينِ من تُقىً وعفافِ
تاركاً كلّ ما أحبُ ورائي ... حاملاًتوبتي وصدقَ اعترافي
خلفَ ظهري داري و قُدَّام عينيَّ ... ديارُ الأجدادِ و الأسلافِ
و ذنوبي رأيتُها كوريقاتِ ... خريفٍ طالته ريحُ الفيافي
طهَّرتني رعايةُ اللهِ غذَّتني ... يداهُ بكلِّ صافٍ وضافِ
ولدتني ولادةً بعدَ أخرى ... في سنى واقعٍ من الأطيافِ
ويطولُ المدى ولايتناهى ... في السماواتِ رحلتي و طوافي
وكأني خرجتُ من هذه الأرضِ ... و حلَّقتُ ناشداً أهدافي
رافعاً راحتيَّ ملتمساً ... رحمةَ ربٍّ لمنْ بهِ عاذَ كافِ
صهرتني نارُ الهدايةِ صارَ ... الطينُ نوراً فررتُ من خَزَّافي

***

البيت العتيق:

وقفتُ على «البيت العتيق» فهالني ... سفينةَ قدسٍ في محيط من الناسِ
عليه جلالُ الله بادٍ و نورُه ... مجمَّعَ ألوانٍ و مرتادَ أجناسِ
تزاحمَ فيه الخلقُ من كلِّ وجهةٍ ... ليقتبسوا أسمى وأقدسَ أقباسِ
على قدميهِ كم أتاهُ مهروَلٌ ... و كم يتمنّى لو أتاهُ على الراسِ

تطـوف حواليـه بـكلِّ تواضـع ... ولم تكتحـل عينـاك إلّا بأقـداسِ
تُلامـسُ بالخـدِّ الجـدارَ فتنتـشي ... كأنّـك قد لامسـتَ أعطـرَ أنفاسِ
تمـرُّ عليـهِ باليديـنِ تعلّقـاً ... تُقبِّلـهُ مـن غـير وعـيٍ و أحسـاسِ
ومـا هـو إلّا بُنيـةٌ مـن حجـارةٍ ... ولكنّهـا أغـلى مـن التبـرِ و المـاسِ
تسـاوي لديـه الخلقُ عبداً وسـيداً ... هنالـك تقـوى اللهِ أعـدلُ مقيـاسِ
تعيـشُ مـن الخـوفِ القلـوبُ مآتماً ... ومـن أمـلِ الغفـران تحيـا بأعراسِ

***

في الأستار:

أيهـا البيـت أنـت للتعظيـمِ ... ـ أهَّلتـكَ السـماءُ ـ والتكريـمِ
الألـوف الألـوف نحـوك تسـعى ... لاسـتلامِ الأركانِ في تسـليمِ
أينـما تسـقط الأكـف جبـاهٌ ... وشـفاه لسـادة ونجـومِ
ولـدى الحِجـرِ قد تمثـل «إسـماعيلُ» ... يحثـو أمـامَ «ابراهيـمِ»
عـرف الصـدق في النوايـا تعـالى ... بـاريُ الخلـقِ مـن محيـط عليـمِ
شـلَّ سـكِّينةَ القضـاء و نجَّـى ... وفـدى المبتـلى بذبـحٍ عظيـمِ
يـا إلهـي أسـتار بيتـكَ منهـا ... قـد تعلقـت بالرجـاءِ الكريـمِ
جنـتُ ظمـآن غلَّتـي تتلظَّـى ... وحنايـاي في اشـتعال الجحيـمِ
فاسـقني مـن نعيـم بـرّك وانظـر ... بالتغـاضي إلى العُبيـدِ اللئيـمِ
فـوق ظهـري مـا يكسـر الظهـر تلٌ ... مـن ذنـوبٍ وألـف غـاوٍ رجيـمِ
فأعـدني إلى ديـاري سـليماً ... وبقلـبٍ مـن كلِّ غـيٍ سـليمِ
لم جـد في جـوارِ بيتـك غـير ... المتعـالي عليـك و المذمـومِ

لا ضيـوفُ الرحمـن هـم في نجـاة مـن أذى جاهـلٍ وحقـد زنيـمِ
في الأكـفِ السـياط تـأكل لحـماً لحجيـج تمسَّـكوا بالحطيـمِ

***

عرفة:

في عرفـات الله نحيـا «عَرَفَـه» اللهُ أعـلى شـأنَه و شرَّفَـهْ،[1]
يـومٌ يحـبُ اللهُ فيـه مـن سـعى يضاعـفُ الأجـرَ يجيـبُ مـن دعـا
عـلى الشـفاه الحمـد والثنـاءُ وفي الخـدودِ الدمـعُ والبـكاءُ
تجـردَ العبـدُ أمـامَ ربـهِ عـن بالِـهِ الدنيـا اختفـت وقلبـهِ
فكلُّـهُ توجـهٌ للهِ ولم يعـدْ ذاك المريـدَ اللاهـي
يرمـي عـن المتنـينِ أثقـالَ الخنـى معترفـاً بـكل مـا كان جنـى
أن صدقـتْ نيتُـه وآبـا وعـادَ للهِ وقـد أنابـا
واللهُ منـه بالـذي يخفيـهِ أعلـمُ إن الله يحيـا فيـه
يغفـرُ مـا مضـى مـن الذنـوبِ يسـترُ مـا فيـه مـن العيـوب
يعصمُـه مـن ارتـكابِ المعصيَـهْ مُدْنيـةٌ ألطافُـهُ و مُقصيـه
يـزرعُ فيـه الحـبَ للخـيراتِ موفِّقـاً للصـومِ والصـلاةِ
يعـودُ للحيـاةِ مـن جديـد يطـلُ إطلالـةَ صبـحِ العيـدِ
والله يعطـي عبـدَه العطايـا ويصطفـي البعـضَ مـن البرايـا
دعـوتُ بالـذي دعـا الحسـينُ وهـو شـفيعي لـو يحـينُ الحَيْن

---

١. يعني يوم عرفة.

كلامُـه وحـيٌ مـن القـرآنِ ومثلـهُ عـالٍ عظيـمُ الشـانِ،[1]
وكان مـن جواهـرِ الـكلامِ يصـدرُ عـن معجـزةٍ امـامِ

***

في رحاب الحجَر الأسعد:

تذكّـرتُ «زين العابدين» وقد سـعى إلى «الحجَـرِ» المعهودِ والنـاسُ أفواجُ
فأخلَـوا طريقـاً موصـلاً لاسـتلامه كما انحسرت عن شـاطئ البحرِ أمواجُ
لـكانَ هـو السـاعي إليـه لـو أنـه يعـي وهو صخرٌ للأحاسـيسِ محتاجُ
هـوى عارفيـه هزَّهـم وولاؤهـم فلـم تبـقَ أقفـالٌ تحـولُ و أزلاجُ
وعـاد هشـام خائبـاً متعثـراً وقـد عاقـه بحـرٌ مـن النـاسِ عجّاجُ
ولم يغنِـه ملـكٌ وجنـدٌ وقـوةٌ فأقعـى ككلـبٍ وهو غضبـان مهتاجُ
تجاهـل زيـنَ العابديـن وهالَـه جـلالٌ تغشـاه مـن الله وهّـاجُ
وقـد زاده شـعر الفـرزدق ثـورةً وفي الشـعرِ إسراءٌ لحـقٍ ومعـراجُ،[2]
إمـامٌ عليـه مسـحةٌ مـن قداسـةٍ لـكل الـورى فيـه طريـقٌ ومنهـاجُ

---

١. إشارة إلى دعاء الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) يوم عرفة.

٢. عندمـا فشـل هشـام بن عبدالملك مـن الوصول إلى الحجر لاسـتلامه، عاد ادراجـه إلى مكانه بين جنده و مـن معـه من أتبـاع السـلطان. وبعد هنيهـة فوجئوا بوصـول الإمام علي بن الحسـين زيـن العابدين بـدون حاشـية و جنـد، وقـد انفرج الناس ليسـتلم الحجر بدون مشـقة. فقيل لهشـام من هـذا؟ فقال: لا أعرفـه، وكان الفـرزدق قريبـاً منه فأجابه بقصيدته الميمية الشـهيرة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه و الحل و الحرم
هذا عليٌ رسول الله والـــــده أمست بنورِ هداه تهتدي الأممُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهــلَه بجدّه أنبيـاء الله قد ختموا ...

إلى آخر القصيدة.

لسانُ تقى في كلِّ جارحةٍ له ... لسانٌ بذكرِ اللهِ والحمد لهَّاجُ
وينصرُ من يختاره الله رحمةً ... له ينسجُ النور السماويَ نسَّاجُ
يُسبِّبُ أسباباً لعبدٍ أحبَّه ... وهل غيره للكربِ والغمِ فرَّاجُ
«بموقفه» كان الفرزدقُ شاعراً ... له العرشُ في الشعرِ المخلَّد والتاجُ
خشونتُه في الحقِّ أعطَته رقّةً ... فريشتُه وردٌ ويمناهُ ديباجُ
ومن لم يكن ذا موقفٍ في سلوكه ... فزئبقه في الخيرِ والشرِ رجراجُ
ولولا تراخي قادةِ الفكرِ ما انبرى ... «زيادٌ» لحكمِ المسلمين و «حَجَّاجُ»
ولو كان أمَّارون ناهون ما هوى ... إلى الأرضِ مخضوبَ العمامةِ «حَلاّجُ»

***

قرارة الإحساس:

في حمى بيتك المعظَّم عبدٌ ... جاءَ يسعى إليك يا ربَّاهُ
حاملاً أثقل الذنوب وبالتوبة ... والخوف قد محا ما جناهُ
ساعياً مقبلاً عليك بوجهٍ ... غسلته بدمعها عيناهُ
حلَّ ضيفاً على حماك وفي ... بابِكَ أقعى يرجو رضا مولاهُ
فعليهِ بكلِّ لطفك أقْبِلْ ... لا تضيِّعهُ لا تخيِّبْ رجاهُ
كم إلهٍ من قلبه قد توارى ... ليسَ في قلبه سواكَ إلهُ
هو في كلِّ خطوة كلِّ شبرٍ ... صارخٌ: يا كريمُ يا اللهُ
ويُلبِّي مع المُلَبِّينَ مذهولاً ... وعيناهُ صارتا في قفاهُ
بين يأسٍ مروَّع ورجاء ... ضاقَ في الموقفِ الرهيبِ مداهُ
وله في قرارة النفسِ حسٌّ ... أنَّ ربًّا قد غاب عنه يراهُ

أنَّ مـن قـد سـعى إليـه رحيـمٌ سـوف يراعـاهُ سـوف لا ينسـاهُ

***

﴿وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾:

خُلُـقٌ عظيـمٌ للنبـيِّ محمـدٍ ولآلـهِ أطـراهُ ربُ النـاسِ
سرنـا عليـه فنحـن مـن أهـل التقى نختـارُ مـن بـين الـدروبِ القـاسي
نهـوى الجـمال لأنـه مقياسـنا لـولاه مـا كنـا ذوي إحسـاسِ
وإلـى الكـمالِ تقودنـا أقدامُنـا ولادرب شـوك أو شـفار مَـواسِ
الله طهَّرنـا وفي ألباننـا تجـري مخافتُـه مـع الأنفـاسِ
قـدسُ الـولاءِ لآلِ بيـتِ محمـدٍ وجلالُـه قـد كانَ تـاج الـراسِ
فـاذا سـعينا أو إذا طفنـا سـعت معنـا وطافـت هالـةُ الأقـداسِ
ونغـضُّ أبصـاراً فـلا ينتابنـا مـسٌ مـن الهفـواتِ والأرجـاسِ
صُـبُراً مـع الزمـنِ الغشـومِ حياتُنـا بـين السـهام الـزرق والأقـواسِ
مـا بـينَ تنعـاب الغـراب وشـؤمه يجـري الطغـاةُ بنـا إلـى الإرمـاسِ
مـا رفَّ بيرقُنـا إذا لم يشـتعلْ بـدمِ الشـهادةِ فهـو كالنـبراسِ
في كلِّ أرضِ الله أيـن تلفتـتْ عـينٌ ضريـح مجاهـد ومُـواسِ
ويظـلُ بـينَ النـاسِ رمـزَ محبـةٍ أرسـى مـن الجبـل الأشـمِ الـراسِ

***

الخاتمة:

ربي تقبَّـل حَجَّتـي هـذهِ فليـسَ لعـودةٍ عنـدي اشـتياق

حتى لو أنَ «الروح» قد سارَ بي ... مُيَمِّماً «مكة» فوقَ البراق
ليست تساوي نجد أو غيرها ... حفنةَ رملٍ من رمالِ العراق
رأيتُ أفظاظاً بلا رحمةٍ ... لم يعرفوا غيرَ العمى والنفاق
سماحةُ الإسلامِ لم ترتفع ... رايتُها فيهم وحبُّ الوفاق
قد أضمروا الكُرهَ ولم ينعقدْ ... على الجباهِ السودِ إلّا الشقاق
هم وحدَهم أهلُ الهدى والتقى ... وبالعصا كلُّ ولٍي يُساق
لولا نُسيماتُ دروبِ الهوى ... لضيَّقَ الشجوُ عليَّ الخناق
يأخذُني الحُسنُ على غِرَّةٍ ... كأنني من سِحرِهِ في وِثاق
عيناي في عُرسٍ وفي مهجتي ... مأتمُ وجدٍ وشظايا احتراق
خشونةُ الرملِ تحمَّلتُها ... شُغلتُ عنها بالجسومِ الرِقاق
أينَ توجهتُ أرى أعيناً ... تسوقُني للحتفِ سوقَ النياق
من كلِّ أرضِ اللهِ يكوي الهوى ... قلبي وحُسنٌ عسليُ المذاق
يسعينَ يرمينَ الحصى والحصى ... أراقَ من حُرِّ دمي ما أراق
حُرمةُ حَجِّي أجمتْ نظرتي ... وكنتُ لولاها حللتُ النطاق
جرتْ مقاديري على رِسلِها ... وفزتُ بالسبقِ وما من سباق
أحلى وجوهِ الغيدِ تجري معي ... كالرزقِ يأتي دونَ تحريكِ ساق

***

عبدُكَ في الأعتابِ يا سيدي ... يسألُكَ الرحمةَ والانعتاقْ
جاءَكَ يسعى حاملاً وزْرَه ... فوَسِّعِ الضمَّ له والعناقْ
آمالُه واسعةٌ لم تضِقْ ... يوماً وعنها الأفقُ الرحبُ ضاقْ

إنْ أنـتَ بالخيبـةِ قابلتَـه حمَّلتَـه العـبءَ الـذي لا يُطـاقْ
يقـري العبيـدُ الضيـفَ إنْ أمَّهـمْ حسـبيَ أني تحـتَ أعلـى رواقْ

***

«من وحي آل الوحي، الجزء الرابع»، الحجازيات
السيد طالب الحيدري الحسني الكاظمي
الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، بغداد

الرسم البيانى لمجلة «ميقات الحج»

١ ـ ٥٠

فهرس العناوين العامّـة

العنـاويـن	عدد المقالات	النسبة المئوية
١. كلمة التحرير	٩	٪١
٢. الحج في كلام الإمام الخميني «قدّس سرّه»	٥٠	٪٨
٣. الحج في كلام الإمام الخامنئي «مدّظله العالي»	٥٠	٪٨
٤. القرآن و الحج	٤٦	٪٧
٥. الحج في السنّة الشريفة	٣١	٪٥
٦. فقه الحج	٩٥	٪١٥
٧. مفاهيم الحج و الدروس المتعلقة به	١١٤	٪١٧
٨. حوارات و أخبار و رسائل	٣٢	٪٥
٩. الحج و التأريخ	٧٨	٪١٢
١٠. شخصيات من الحرمين الشريفين	٤٨	٪٧
١١. الحج في الأدب العربي	٣١	٪٥
١٢. جغرافية الحج و معالمه المقدسة	٣٥	٪٥
١٣. الفهارس و المعاجم	٣١	٪٥
عدد المقالات :	٦٥٠	٪١٠٠

الرسم البياني لمجلة «ميقات الحج» ١ ـ ٥٠

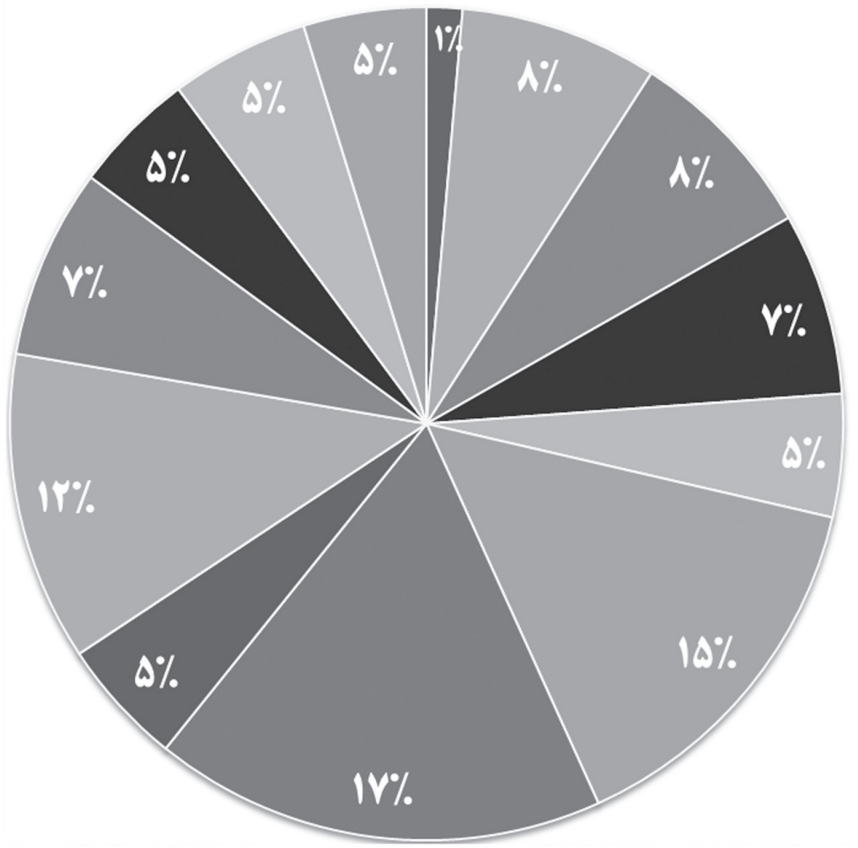

Abstracts

Diagram (Chart) for Hajj Miqat Journal

Index of general addresses

Abstract:

" Hajj through Al-Ahsa "

By: Mohammad Ali Alherz

Abstract

I always had the idea of addressing the issue of Al-Ahsa pilgrimage from a historical point of view; describing a rich connection between Ahsa and Hijaz which is one the most significant routes to perform Hajj. There are also many hardships and obstacles for Al-Ahsa pilgrims which share the common ground alongside other Hajj pilgrims who journey from other regions toward Mecca. It is an important research as many experts of the history of Hajj and its routes are negligent about such hardships and there are few writings with regards to such routes. Therefore, many authors just talk about well-known routes like Syrian, Iraqi, Egyptian, Yemeni, Jordanian and other ones without analyzing this threshold since it is a rugged way that is unclear spot.

Keywords:

Iraqi route to Hajj, Syrian route to Hajj, Egyptian route to Hajj, Yemeni route to Hajj, Al-Ahsa.

From Hajj rituals

Provided by: Shaikh Hussain Al-Watheqi

Abstract:

"Omme Hanni"

By: Mohammad Soleman

Abstract:

A grand lady who is born in Quraish tribe from Hashim dynasty. She was born in Mecca in the noblest house of Quraish that is well-known for its knowledge, poetry, decency, bravery and hospitality. She was also immersed in such traits within the house, so much that she grew up as a high-rank woman with high-profile personality and wise opinions. Then she became a Muslim, companion, prominent and immigrant (in the side of the holy Prophet). According to truthful narrations, her house was the bastion for the occurrence of an extraordinary miracle; an occasion the holy Quran in the first verse of chapter Isra' talks about it: "Glorified be He Who carried His servant by night from the inviable Place of Worship to the far distant place of worship the neighborhood whereof We have blessed, that We might show him of Our tokens! Lo! He, only He, is the hearer, the Seer."[1] She would be remembered as long as this holy verse stands and she would be reminded as many as this verses has to be recited. There is a high relevance between her name and house with such miracle and there are reliable quotations that holy prophet initiated his ascension from her house. She could also win the respect of holy prophet.

So who is this noble lady who is characterized above other pious and righteous women as they are many?

1. Quran, 17/1.

Aqiq Miqat: A historical study and field research

By: Javad Fazli

Abstract:

One the most important issues of Hajj is the sites that Holy prophet Muhammad has stepped in, moving toward Mecca to perform Hajj. It is therefore, obligatory to start Hajj rituals from one of them (wearing Ihram) and impermissible to pass them without performing certain rituals.

Many research projects and books have been conducted about the geographical zone of every Miqat and due to the change of these milestones through times, it is better for the contemporary researchers to investigate from time to time so that our grand jurists would also benefit for their studies and lessons.

Our article researches about Aqiq Miqat that is the matter of disagreements among scholars whether from the timing aspect or about its borders to help the mainstream mentality.

Abstract: Aqiq Miqat, Barid Al-Ba'th, Al-Maslakh, Ghamarah, Zat Irq, Autas.

"Reminder or Dhikr" (1)

By: Hassan Alhaaj

Abstract:

The repetition of the word "Reminder or Dhikr" in verses regarding Hajj may project the intensity of divine attention toward His creatures and what benefits them. This is uniquely true about Hajj pilgrims who pay a holy visit to honorable shrines like Arafat, Masha'r Al-Haram and Mina, let alone Masjed Al-Haram and Ka'ba… and also to prohibit them from harmful actions and motivate them to bring forth whatsoever is rewarding. Therefore, the best act within these holy shrines is the "Dhikr and Reminding Allah" especially alongside with other people who also intend the pilgrimage of the holy Ka'ba and other nearby sanctuaries; individually or collectively, masculine or feminine. "Seeking the grace and pleasure of their Lord".[1]

1. Quran, 5/2.

Shia community has been charged of baseless accusations

By: Mohammad Ali Almeqdadi

Abstract:

In recent centuries, Shia community has been charged of baseless accusations… one of which is the impurity of the holy Ka'ba! This article aims at disclosing the lies within through firm and jurisprudential argumentations. It is vivid that there are numerous reasons and well-established arguments about the topic. Initially, we should note the verse in Holy Quran that invites all believers and Muslims to unite and integrate under one umbrella against their enemies:"And hold fast, all of you together, to the rope of Allah, and do not separate"[1]

Keywords: Impurity of Mosques, holy Ka'ba, Verses, Narrations, Jurists' views, Reasons and Arguments.

1. Quran, 3/103.

In His name

Miqat[1] Ul-Hajj

Month of Moharram, 1443

Year: 29, No: 56

Type: semi-annual

Scientific journal of cultural, historical, political, and social affairs in Hajj

ISSN: 2538-1733

1. A sacred boundary near Mecca which is almost the beginning of rituals.